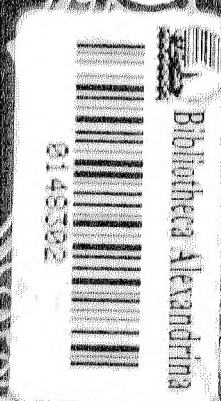


مَصَادِرُ
نَهْجِ الْبَلَاءِ
وَأَسَانِيدُهُ

تَأَلَّفَتْ
السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ مَسِينَةُ الْهَظِيبِ

الجزء الثالث

دار الأضواء
بيروت - لبنان



مصادر
« نهج البلاغة »
وأسانيده

مَصَادِرُ
نَهْجِ الْبَلَاغَةِ
وَأُسَانِيدُهُ

تَأَلِيفُ
السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُسَيْنِيِّ الْحَطِيبِ

الجزء الثالث

دَارُ الْأَضْوَاءِ
بَيْروت - لُبْنَان

الطبعة الثالثة
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الأضواء

الغبيّره - مشارع عبد الله الحاج - بناية الرّوضة
ص.ب. ١ ، ٢٥ / ٤٠ - بريقيا ، الغبيّره - حنكر

ما قيل في الكتاب

(١)

القي إلى هذا الكتاب الكريم من سماحة العالم الاستاذ
الشيخ محمد سعيد دحدوح الحلبي دام مجده ننشره مشفوعاً
بالشكر الجزيل ، والثناء الجميل .

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد سعيد دحدوح

حلب - النوحية ، زقاق المصبنة

٢٥ شوال ١٣٨٨ هـ - ١٣ / ١ / ١٩٦٩ م .

بسمه تعالى وله الحمد ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله
البررة الطيبين ، وصحابه المتقين .

أخي ووليي في الله تعالى السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب وفقه الله
لما فيه رضاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخي : إن الإنسان حينما يحب انساناً ، وحينما يهيم بشخص يجب ان
يعرف جميع صفاته ، ويعلم كل أحواله ، وإذا لم يمكنه ذلك وأراد ان

يعرف الحقيقة النصوص سأل عنه أعرف الناس به ، وأقربهم منه ؛ حتى يكون على بينة من أمره . وأن علياً سلام الله عليه له محبوبون - والحمد لله - وله مبغضون - والعياذ بالله - وهذا شأن كلّ عظيم ، وقد أصاب من أحبه ذلك ، والشریف الرضي - طيب الله ثراه - حينما ألف كلام أمير المؤمنين وجمع نهجه قام جماعة من الناس ليطفثوا هذا النور^(١) بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ، وقام جماعة آخرون - في كل عصر - لنصرة علي ، وبيان حقه ، وإظهار محامده وفضائله ، ولا عجب إذا كنتم من هؤلاء لأنكم غصن من تلك الدوحة الطاهرة ، وفن من هاتيك الشجرة الطيبة التي (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فقد قمتم بعمل تؤجرون عليه ، وتشكرون دائماً وأبداً بما قدمتم لأبناء الجليل الصاعد من حقائق واضحة ، وحجج دامغة تبين أن الشریف الرضي حاشاه أن يفترى على علي عليه السلام وهو ابنه أو أن ينسب إليه ما لم يقله وهو المتأدب بأدبه ، ولكن بعض الناس المتغرضين أبت نفوسهم إلا أن تبدو ، وأبى نفاقهم إلا أن يظهر ؛ فافتروا على الشریف الرضي كما افتروا من قبله على الامام علي . وجئت أنت - أيها السيد الشریف - تبرئ السيد الشریف ، وتبين (ما حاق بالذين مكروا) وتدحض شبههم الواهية ببيان الحكيم ، وكلام المطلع البليغ الضليع فله درك ؛ وعلى الله جزاؤك .

وقد سمعت بكتابك عن طريق مجلة (العربي) وسألت عنه رجل السيادة والعلم السيد هادي فياض وهو أكرمهم الله إرساله إلي ، فلك الشكر على ما قدمت وله الشكر على ما أهدى . هذا وقد ذكرت أن له أجزاءً فرجائي

(١) لعل ساحتها يشير إلى ما ورد في الزيارة الجامعة : « كلامكم نور وامركم رشد » .

أرسال ما صدر ، او يصدر بعد الأول ، وهنا احب ان الفت نظر سيدنا
ان من جملة من الف عن الشريف الرضي الكاتب والشاعر السوري اديب
التقي البغدادي فقد اخرج سنة (١٣٨٠) إلى عالم التأليف مؤلفاً سماه
(الشريف الرضي) عصره ، حياته ، منازعه ، أدبه بـ (٣٧٤) صفحة ،
فرجائي ان تطلع عليه ، وتشير اليه في الطبعة الثانية — إن شاء الله — فانه على
ما أرى كتاب قيم بتحليل جميل ؛ ومطاف خير بتاريخ ذلك الشريف...
وفي الختام دم لمحبكم .

محمد سعيد دحلوح

(٢)

أبى الخطيب العمري الاستاذ الكبير الدكتور الشيخ
أحمد الوائلي أن يكتبني بما قدمه من المساعدة المادية
حتى عرض مساهمته الأدبية فتفضل بهذا التاريخ (١).

فضيلة الخطيب الاستاذ السيد عبد الزهراء المحترم ،
تحية وتقدير .

وبعد : تلقيت هديتكم الثمينة الجزئين الأول والثاني من كتاب (مصادر
نهج البلاغة) وبعد الاطلاع عليهما قدرت جهدي ، وحسن انتقائك في
المادة ، وذوقك في الاسلوب ، ورجوت من الله تعالى أن يجعله من ذخائرك
(يوم لا ينفع مال ولا بنون) .

وتقبل بالختام تحياتي مذيلة بتاريخ الكتاب ، وشكراً .
أيا عبد زهراء بنت النبي وتلك العبودية المستساغة
لقد صغت من راعات العقود وأبدعت في رصفه والصياغة
بكل صحيح وتاريخه (وسمت مصادر نهج البلاغة)

١٩٦٨

أحمد الوائلي

(١) كما أن له الفضل الأكبر ، والصنع الجميل في إخراج الكتاب كاملاً بعبقريته
الثانية كما تري ، فعل الله سبحانه أجره ، وعلي شكره وإن كنت واثقاً أنه لا ير يدمني (جزاء ولا شكورا) .

(٣)

تفضل الاستاذ الفاضل السيد طاهر أبو رغيف
برسالتين حول الكتاب نكتفي بنشر واحدة منهما
مع الشكر الجزيل .

سيدنا المبعجل العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني المحترم
السلام عليكم ورحمة الله .

« وأبلغ خطاباً فالبلاغة سلمت لكفيك منها مقودا وعنانا »

... وبعد تطلع وانتظار تسلمت « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » الذي
بشرت به انديتنا منذ عامين ، فرحت اتلو سوراً من بيانك الذي كان
قبساً من بلاغة علي عليه السلام ، واستعرض صوراً من الأسانيد التي دحضت
بها شبهات المرجفين ، فكان ما قدّمت من عرض ، وما شرحت من إيضاح
في المستوى الذي لا يرقى اليه غبار الطعن ، ولا يحيط به ظلام الشبهات...

انه لجهاد كبير بطريقة مبتكرة تحققت اغراضه على يديك اذ رميت
فأصبت شغاف القلب من خصومك على بعد مرمالك ؛ برغم ما في طريقك

من عقبات تغلبت عليها بالصبر والمثابرة (وكان فضل الله عليك عظيماً)
حيث هداك لما اختلف فيه من الحق فكنت من حزبه الذي ارتضى لتقييم
الحجة على الذين اتخذوا مما تشابه من (النهج) نافذة للطعن به ؛ وسبباً لنشر
الظلام من حوله ابتغاء الفتنة ليطفثوا نور الله الذي اشرق به كلام الامام
عليه السلام .

ويسرني بهذه المناسبة أن أقدم لك التهنئة لما أحرزت من فوز في المجال
الذي كنت مدخراً له كما نوّه بذلك الامام الحجة الشيخ محمد الحسين
كاشف الغطاء نور الله ضريحه والسلف الصالح الذين سألوا الله تعالى أن يختار
عبداً يجد فيه عزماً وحزماً لحمل هذا العبء الثقيل فكنته والحمد لله .

البصرة ١ شهر رمضان المبارك : ١٣٨٨ .

طاهر ابو رغيث

(٤)

تفضل العلامة الخطيب السيد علي الهاشمي دام علاه بهذا
التاريخ ، وله مني الشناء والدعاء .

للسيد الندب سفر	بدا ليجلو الدياجر
(مصادر) منه وافت	عباقرة كالأزاهر
لكل خبر صحيح	به (الصحاح) تفاخر
(نهج البلاغة) نهج	لكل ناه و آمر
وحجة تتجلى	منه لأهل المنابر
يا رائد الفضل أرخ	(فقل بخير المصادر)

١٣٨٨

علي الهاشمي الخطيب

الكاظمية

(٥)

وردتنا من الكاتب الشهير الدكتور مهدي محبوبه
هذه الرسالة وسبق أن تفضل بمثلها فله بما تفضل سابقاً
ولاحقاً وافر الشكر .

لحضرة العالم الفاضل والخطيب البارع السيد عبد الزهراء الحسيني المحترم ،
استوحيت من الأمل حقيقة ، ومن التتبع والبحث واقعاً ملموساً عندما
أوصلني المطاف إلى عظيم سفركم ، وجليل بحثكم (مصادر نهج البلاغة
وأسانيده) وكنت له كالصّادي في حمارة الصيف ، أريد الارتشاف من
مائه الزلال ، وقد طلبته في كثير من المكتبات فلم أوفق للحصول عليه ،
حتى أوليتموني به ، ولما تصفحته أوردني بحق إلى ما أصبو إليه فهو خلاصة
جهد الباحث المتطلع الهادف العارف لما فيه من الأدلة المادية المقنعة التي تزيل
الشك ، وتبديد الأوهام . وقد يزيد ما توصلتم إليه التتبع لاستخراج ما في
بطون المخطوطات الكثيرة التي ابتلعتها مكتبات الشرق والغرب ، وكثل :
لا زالت جارتنا تركيا تحوي من هذا التراث العظيم ما نفتقر إليه . وإن
لهذا البحث الفريد جذوره الممتدة والتي تحتاج إلى كثير من الصبر والإناة
للكشف عنها وقد عملتم ما بوسعكم . ونظراً لما لهذا البحث من أهمية في

تاريخ الشرع الاسلامي ، والادب العلوي فلا بأس من الاسترسال بما بدأت به ، ولا بأس بغض النظر عما لم يصل اليه تتبعكم حتى تصلوا إلى إثبات ذلك لأن الكتاب موضوع لذلك .

وأخيراً أرجو أن توفقوا لقطع موارد الشك لدى الجميع باستيفاء الأدلة كما أوردتم ذلك مشكورين في الخطبة (الشقشقية) كما أرجو أن تكون طباعة كلام الامام عليه السلام أكثر وضوحاً ، واسمحوا لتأخر شكري واسلموا لأخيكم المخلص .

بغداد : ٢٤ شوال ١٣٨٨ : ١٢ / ١ / ١٩٦٩

الدكتور : مهدي محبوبة

(٦)

أنعم علينا الطبيب الماهر ، والأديب الشاعر الأخ
الاستاذ الميرزا محمد الخليلي بهذا التاريخ . فنشكر له
لطفه وعطفه :

كم شكّ في النهج قوم من مبغض ومكابر
فالبعض ينسب له رضي إذ كان حائر
وأخر قال هذا ملفقات الأواخر
لذاك قام الخطيب الأديب نهضة خادر
فانظر بعقلك واسأل ذوي الحجى والبصائر
فسوف ترضى ضميراً لا بل سترضى ضمائر
فاقرأ وأرخ وفاقاً (للنهج هذي المصادر)

١٣٨٧

التجف الأشرف

محمد الخليلي

كتب وتقاريط

تفضل جماعة من العلماء والادباء بكتب قيمة ، وتقاريط مهمة ،
منشورة ومنظومة نشير إلى اسمائهم الكريمة بحسب تاريخ ورود رسائلهم ،
مع جزيل الشكر ، وجميل الثناء :

- ١ - آية الله : السيد علي شبر - الكويت .
- ٢ - حجة الاسلام : السيد محمد مهدي الاصفهاني - الكاظمية .
- ٣ - حجة الاسلام : السيد محمد الشيرازي - كربلاء .
- ٤ - العلامة : السيد حمود الصراف - الرميثة .
- ٥ - العلامة الباحث الشيخ محمد حسن آل ياسين - الكاظمية .
- ٦ - الاستاذ السيد محمد الحيدري - مكتبة أهل البيت العامة - بغداد .
- ٧ - العلامة الشيخ محمد حيدر - سوق الشيوخ .
- ٨ - العلامة الشيخ علي المرهون - القطيف .
- ١٠ - الاستاذ قاصد ياسر الزبيدي - الناصرية .
- ١١ - العالم الفاضل الشيخ عبود الساعدي - سامراء .
- ١٢ - الاستاذ السيد هاشم الشديدي - بلد .
- ١٣ - الاستاذ السيد جعفر السيد صادق - بلد .
- ١٤ - الاستاذ السيد شمس الدين الخطيب - بغداد .
- ١٥ - العلامة الشيخ حسن الناصري - الناصرية .
- ١٦ - العلامة الشيخ مهدي السماوي - السماوة .
- ١٧ - الخطيب الاستاذ الشيخ عبد الأمير الجمري - البحرين .

١٨٦ - فَمِنْ خُطْبَتَيْهِ لِبَعْضِ عِلْمِيهِ السَّبْلَاجُ

أَوْصِيَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى
 آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنِعَمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبِلَايَةِ لَدَيْكُمْ .
 فَكُمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ : أَعُورْتُمْ لَهُ
 فَسْتَرَكُمُ ١ ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمُ . وَأَوْصِيَكُمْ
 بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَكَيْفَ غَفَلْتُمْ
 عَمَّا لَيْسَ يُغْفَلُكُمْ ٢ ، وَطَمَعْتُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمَهَّلُكُمْ .
 فَكَفَيْ وَأَعْظَا بِمَوْتِي عَايَنْتُمُوهُمْ . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ
 غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ
 يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ
 دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ ٣ ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا
 يُوَحِّشُونَ . وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ

(١) البلاء - هنا - : الإحسان ، واعورتم : انكشفتم وبدت هوراتكم ، تقول :
 أعور الفارس إذا بدت مقاتله .

(٢) أغفله : سها عنه وتركه .

(٣) أوحش المكان : هجره ، وأوطنه : صار ينزوله به وطنًا .

أَنْتَقِلُوا . لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ أَنْتَقَالًا ، وَلَا فِي
حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ أَزْدِيَادًا . أَنْسُوا بِالْدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ،
وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى
مَنَازِلِكُمْ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ، وَالَّتِي رُغِبْتُمْ فِيهَا
وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَاسْتَمُوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى
طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ غَدًا مِنْ الْيَوْمِ
قَرِيبٌ . مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامِ
فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورِ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ
فِي الْعُمُرِ .

هذه الخطبة رواها أبو منصور الثعالبي في (الإعجاز والإيجاز) : ص ٣١
عن غير (نهج البلاغة) بدليل التفاوت وهو أنه ورد في روايته « ونعمه
عليكم » و « كيف تغفلون عما ليس يغفل عنكم » و « طمعت فيمن ليس
يمهلكم » .

١٨٧ - وَمِنْ كَلَامِ الْمُعَلِّمِ السَّابِقِ

فَمِنْ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ .
وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِي بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالْأَصْدُورِ إِلَى أَجَلٍ

مَعْلُومٌ ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى
يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ ،
وَالْهَجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ ١ . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ
الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ الْأِئِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا ٢ . لَا يَقَعُ اسْمُ
الْهَجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ ، فَمَنْ
عَرَفَهَا وَأَقْرَبَهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الْأَسْتِضْعَافِ
عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاها قَلْبُهُ .

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَضْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ
أَمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ
أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ .

أَيُّهَا النَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَا نَا بِطُرُقِ
السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا
فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا ٣ ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا .

(١) أي لم يزل حكم الهجرة باق .

(٢) الإئمة - بكسر الهمزة - : الحالة - وبضمها - : الطاعة ، والمعنى أن الهجرة فرضت
لمصلحة المكلفين ، ولا حاجة لله فيمن أسر إيمانه في بلاد الكفر أو أظهره في بلاد الإسلام .

(٣) تطأ في خطامها تتعثر به ، كناية عن إرسالها وعدم قائد يقودها ، والأحلام العقول .

هذه الخطبة رواها الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) ص ٣٢ باختلاف بسيط . مع رواية الرضي ففيها مثلاً : « فاذا كان للمرء براءة من أحد » . وفي (النهج) : « فاذا كان لكم ... » وفيها « ما كان لأهل الاسلام مستسر » ورواية الرضي « لأهل الأرض ... » .

قال ابن ابي الحديد معلقاً على قوله عليه السلام : « إن أمرنا صعب مستصعب ... » الخ . هذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً ، وقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها « ... إن قريشاً طلبت السعادة فشقيت ، وطلبت النجاة فهلكت ، وطلبت الهدى فضلت » إلى ان يقول عليه السلام : « إن أمرنا صعب ... » الخ

كما نقل قوله هذا أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة (٢٩٠) أي قبل صدور (نهج البلاغة) بمائة وعشر سنوات في (بصائر الدرجات) ص ٣١ فما بعدها من عدة طرق وجعل له عناوين خاصة وفي ص ٢٠٢ عن مسعدة بن صدقة صاحب كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) الذي مر ذكره فيما تقدم من هذا الكتاب ^(١) وكذلك رواه الصدوق في (العيون) ج ١ ص ١٦٤ وفي الحصال (ج ٢ ص ١٦٤) كما تقدم مصادر قوله عليه السلام : « سلوني قبل ان تفقدوني » ^(٢) .

وجاء قوله عليه السلام : « إن أمرنا صعب ... » في (الغرر) ص ٨٠ على هذه الصورة : « إن أمرنا صعب مستصعب خشن نخشون ، سرّ مستسرّ ، مقنّع لا يحمله إلا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان » .

(١) انظر ج ١ ص ٥٢ .

(٢) انظر ج ٢ ص ١٧٩ - ١٨٢ .

كما روى قوله عليه السلام : « سلوني ... » ص ١٤٠ في حرف السين
بصورتين وفيهما زيادة على ما في (نهج البلاغة) .

١٨٨ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ .
عَزِيزُ الْجُنْدِ عَظِيمُ الْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ .
لَا يَنْهِيهِ عَنْ ذَلِكَ أَجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَالْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ
نُورِهِ . فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا
عُرْوَتَهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذُرْوَتَهُ ١ . وَبَادِرُوا أَلَمُوتَ فِي
غَمَرَاتِهِ . وَأَمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ
نُزُولِهِ . فَإِنَّ أَلْغَايَةَ الْقِيَامَةِ . وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ
عَقَلَ ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهَلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ أَلْغَايَةِ مَا
تَعْلَمُونَ مِنْ ضَيْقِ الْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ الْإِبْلَاسِ ٢ . وَهُوَ
الْمُطَّلَعُ ، وَرَوَعَاتِ الْفَرْعِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَصْلَاعِ .

(١) المعقل : ما يعتصم به ؛ وذروته أعلاه .

(٢) الإرماس جمع رمس وهو القبر ، والإبلاس مصدر أبلس أي خاب ويثس .

وَاسْتِكَائِ الْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ ،
وَعَمِّ الضَّرِيحِ ، وَرَدَمِ الصَّفِيحِ ١ .

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ ،
وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ ٢ . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ،
وَأَزَفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا
قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلْزَلِهَا . وَأَنَاخَتْ بِكَلَالِهَا ٣ . وَأَنْصَرَمَتْ
الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمِ
مَضَى ' أَوْ شَهْرٍ أَنْقَضَى ' ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا ، وَسَمِينُهَا
غَنَاءً . فِي مَوْقِفِ ضَنْكِ الْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامِ .
وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلْبُهَا ، عَالٍ لَجْبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا ،
مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مَتَاجِجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ،

(١) استكائك الأسماع : صمها ، وغم الضريح : ضيق القبر وكربه ، والصفح : الحجر ، وردمه : سده .

(٢) السنن : الطريق ، والقرن : الحبل .

(٣) اشراط الساعة : علاماتها ، وازفت : قربت ، وافرطها جمع فرط وهم الموتى السابقون ، والكلاكل جمع كلكل أي الصدر ، يقال للأمر الثقيل أناخ بكلكله .

(٤) الرث : الخلق ، والغث : الهزيل .

(٥) ضنك : ضيق ، وكلبها : شرها ، ولبها صوتها .

ذَٰكَ وَقُودُهَا ، مُخِيفٌ وَعِيدُهَا ، عَمَّ قَرَارُهَا ١ ، مُظْلِمَةٌ
 أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٌ قُدُورُهَا ، فَظِيْعَةٌ أُمُورُهَا « وَسَيِّقَ الَّذِينَ
 اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا » ٢ قَدْ أَمِنَ الْعَذَابُ ، وَانْقَطَعَ
 أَلْعَابُ ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ ، وَأَطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ ،
 وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي
 الدُّنْيَا زَاكِیَّةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِیَّةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي
 دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَخَشُّعًا وَاسْتِغْفَارًا ، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا
 تَوَحُّشًا وَانْقِطَاعًا . فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَابًا ، وَالْجَزَاءَ
 ثَوَابًا ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ،
 وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ
 يَخْسِرُ مُبْطِلُكُمْ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ
 مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ ٣ . وَكَانَ

(١) قال ابن أبي الحديد : وقودها ههنا - بضم الواو - ولا يجوز الفتح لأنه ما يوقد به
 كالغطب ونحوه وذاك لا يوصف بأنه ذاك ، اه و عم - بالعين المهملة - أي لايهتدى إلى قرارها
 لظلمته لأنه عميق جداً .

(٢) الزمر : ٧١ .

(٣) مديونون : مجزيون .

قَدْ نَزَلَ بِكُمْ الْمَخُوفُ . فَلَا رَجْعَةَ تَنَالُونَ ، وَلَا عَشْرَةَ
تُقَالُونَ ، إِسْتَعْمَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ،
وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

إِلْزَمُوا الْأَرْضَ ١ ، وَأَصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا
بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى السِّنْتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا
بِمَا لَمْ يَعْجَلْهُ اللَّهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ
وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ
شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَاسْتَوْجِبَ ثَوَابَ مَا نَوَى
مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ . وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ .
وَلِإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

قال ابن ابي الحديد : « واعلم ان هذه الخطبة من اعيان خطبه عليه
السلام ، ومن ناصع كلامه ونادره ، وفيها من صناعة البديع الرائعة
المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى ، وقد أخذها ابن نباته فأودعها خطبه
مثل قوله : « شديد كلبها ، عال بلحبها ، ساطع لحبها ، متغيظ زفيرها ،
متأجج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك وقودها ، مخوف وعيدها ، عم
قرارها ، مظلمة اقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة امورها » فإن هذه

١ (١) لزوم الأرض كناية عن القمود والسكون ، ينصحهم بعدم إثارة حرب وإشهار
السلاح عند عدم توفر اسباب المغالبة .

الألفاظ كلها اختطفها ، واغار عليها واغتصبها ، وسمط بها خطبه ،
وشذر بها كلامه (١)
فلو لم يكن ابن ابي الحديد اطلع عليها في غير (نهج البلاغة) لم يقل
انها من اعيان خطبه الخ خصوصاً مع ملاحظة ان ابن نباته توفي سنة ٣٧٤
اي قبل صدور (النهج) بستة وعشرين عاماً (٢) .
وروى الآمدي من هذه الخطبة في (الغرر) ص ٥٠ و ١٠٨ .

١٨٩ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالِي
جَدَّهُ ٣ . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّوَامِ ٤ ، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ .
الَّذِي عَظَّمَ حِلْمَهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ،
وَعَلَّمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ يَعْلَمِهِ .
وَمُنْشِئِهِمْ بِحِكْمِهِ ، بِإِلَاقَتَدَائِهِ وَلَا تَعْلِيمِ ، وَلَا اخْتِدَائِهِ
لِمِثَالِ صَانِعِ حَكِيمِ . وَلَا إِصَابَةِ خَطَا وَلَا حَضْرَةِ
مَلَائِكَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، إِبْتَعْتَهُ وَالنَّاسُ
يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ ٥ وَيَمْوَجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ ،

(١) شرح النهج م ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب : ص ٤٥ .

(٣) الفاشي : الدائع المنتشر ، والجد : العظمة .

(٤) التوأم جمع توأم - كجعفر - وهو المولود مع غيره في بطن وهو مجاز عن النعم المقارنة

(٥) يضربون في غمرة : يسرون في جهل وضلالة ، والضرب : السير السريع .

وَأَسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ ١ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا حَقٌّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ،
وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ ٢ . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ
وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ . فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرَزُّ
وَالْجَنَّةُ ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ . مَسْلُكُهَا وَاضِحٌ ،
وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ ٣ . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً
نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا
غَدًا إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى ، وَسَالَ مَا
أَسْدَى ٤ . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبْلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا . أَوْلَيْكَ
الْأَقْلُونَ عَدَدًا . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ :
« وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ » . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ
إِلَيْهَا ، وَكُظُّوا بِجَدِّكُمْ عَلَيْهَا . وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ

(١) الرين : الهلاك ، والرین : الذنب على الذنب حتى يسود القلب .

(٢) أي أنها واجبة عليكم فإن فعلتموها وجب على الله أن يجازيكم عنها .

(٣) الجنة - بالضم - : الوقاية ، ويعني بمستودعها : الله سبحانه ويدل عليه قوله تعالى
انا لا نضمم أجر من أحسن عملا .

(٤) أسدى : منح وأعطى .

(٥) الاهطاع : الاسراع ، والكظاظ : المدوامة والملازمة وتروى والظوا ، والا لظاظ :

كالالاح وزناً ومعنى .

سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا . أَيَقِظُوا بِهَا
نَوْمَكُمْ ، وَأَقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ،
وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ ١ ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا
بِهَا الْحِمَامَ . وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ
مَنْ أَطَاعَهَا ٢ . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصُونُوا بِهَا ، وَكُونُوا عَنِ
الدُّنْيَا نُزَاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَاهَا ٣ . وَلَا تَضَعُوا مِنْ
رَفَعَتِهِ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مِنْ رَفَعَتِهِ الدُّنْيَا . وَلَا
تَشِيمُوا بَارِقَهَا ٤ ، وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا
نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ،
فَإِنَّ بَرَقَهَا خَالِبٌ ٥ وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالُهَا مَحْرُوبَةٌ .
وَأَعْلَاقُهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيةُ الْعُنُونُ ٦ ،

-
- (١) ارحضوا : اغسلوا ومنه ثوب رحيض ومرحوض أي مغسول .
(٢) اعتبروا بمن أضاعها من الاشقياء قبل أن تكونوا . ثلهم فيعتبر بكم من اطاعها اي
لازمها من الاتقياء .
(٣) صونوها : احفظوها ، وتصونوا : تحفظوا ، والنزاه جمع نازه وهو المفيد
والولاء جمع واله وهو المشتاق .
(٤) شام البرق : نظر إليه اين يطر ، والبارق السحاب .
(٥) الأعلاق : جمع علق - بالكسر - أي النفيس ، وغالب : خادع .
(٦) محروبة : منهوبة ، المتصدية : التي تعرض نفسها ، والعنن من عن الشيء إذا عرض .

وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونَ وَالْمَائِنَةُ الْخَوُونَ ١ . وَالْجَحُودُ
الْكَنُودُ ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ ٢ . حَالُهَا
أَنْتَقَالَ ، وَوَطْأَتُهَا زَلْزَالَ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ،
وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرْبٍ وَسَلْبٍ ، وَنَهَبٍ وَعَطَبٍ ٣ .
أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ ٤ . قَدْ تَحِيرَتْ
مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا .
فَأَسْلَمَتْهُمْ الْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمْ الْمَنَازِلُ ، وَأَعَيْتَهُمُ
الْمَحَاوِلُ ٦ . فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشَلْوٍ
مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ ٧ . وَعَاضٌ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ

-
- (١) الجامحة : الصعبة ؛ والحرون : التي تمتنع من السير عندا تقاد أو تضرب لتسير
(٢) الجحود : ناكرا الحق مع العلم به والكنود : كافر النعمة ، والعنود : شديدة العناد ،
والصدود : كثيرة الصد والهجران والخيود : مبالغة في الحيد وهو الميل ، والميود : من ماد
إذا اضطرب
(٣) الحرب - بالتحريك - سلب المال ، والعطب الهلاك .
(٤) القيام على ساق : الاستعداد والتهيؤ فهم بين متهيئ منتظر للممات وبين من هو في
حالة سباق وهو الشروع في نزع الروح من البدن ، واللحاق بالماضين ، والفراق للباقيين .
(٥) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها ، واعجزت مهاربها أي اعجزت الناس الهروب .
(٦) المحاول : المطالب .
(٧) المعقور : المجروح ، والمجزور : المقتول ، والشلو : العضو من الميت أو القتل ،
ومسفوح : مسفوك .

بِكَفِّيهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدْيِهِ ١ ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ
عَنْ عَزْمِهِ . وَقَدْ أَذْبَرَتْ الْحِيلَةَ وَأَقْبَلَتْ الْغِيلَةَ ٢ ،
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ
وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتْ الدُّنْيَا لِحَالٍ بِأَلْهَا ٣ « فَمَا
بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

ذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في بعض كلماتها مما يدل على أنه
رآها في غير (نهج البلاغة) كما روى الآمدي فقرات منها في (الغرر)
ص ٨٧ في حرف الألف بلفظ إن المشددة وفي روايته زائداً على ما رواه
الرضي رحمه الله : « ... دار شخوص ، ومحلة تنغيص ، ساكنها ظاعن ،
وقاطنها باين ، وبرقها خالب ... الخ » وفيها أيضاً « المتصدية للعيون »
ورواية الرضي « المتصدية العنون » كما روى منها في حرف العين ص ١٨٠
و ص ٢٤٥ وسيأتي في الخطبة (١٩٤) أن ما رواه الرضي هنا وما رواه
هناك خطبة واحدة .

(١) عاض على يديه : ندماً ، وصافق بكفيه : أسفاً ، ومرتفق بخديه : أي جاعل لها
على مرفقيه فكراً وهماً ، والزاري : العائب .

(٢) الغيلة - هنا - : الشر .

(٣) ولات حين مناص : لا حرف نفي والتاء زائدة ولا يكون لات إلا مع حين ،
والمناص : المهرب ، وهيئات اسم للفعل ، ومعناه بعد والتاء فيها مفتوحة ، ومضت لحالها على
طبيعتها لا على ما يريد أهلها .

١٩٠ - وَمِنْ خُطْبَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُسَمَّى الْقَاصِصَةُ

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود
لآدم عليه السلام ، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع
الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقته .

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبَسَ الْعِزَّ وَالْكَبرِيَاءَ ، وَاخْتَارَهُمَا
لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ ١ ،
وَأَصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ
فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ
لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ
الْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ

(١) الحمى : المكان المحظور الذي لا يقرب ، والحرم : المحرم .

أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ « اُعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَحَرَ عَلَى
آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ
الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ
الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِذَاءَ الْجَبَرِيَّةِ . وَادَّرَعَ لِبَاسَ
التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ .

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَرَهُ اللَّهُ بِتَكْبَرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرْفُّعِهِ ،
فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَذْهُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ سَعِيرًا .
وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ
ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُؤَاؤُهُ ، وَطِيبُ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ
عَرْفُهُ لَفَعَلَ ٢ . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ،
وَلَخَفَّتِ الْبُلُوبُ فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ
لَهُمْ وَنَفْسِيًّا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا لِلْخِيَلَاءِ مِنْهُمْ ٣ .
فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ

(١) ص : ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الخطف : الأخذ بسرعة ، والرواء : المنظر الحسن ، والعرف : الريح الطيبة .

(٣) الخيلاء - بضم الخاء المعجمة وكسر ها - : الكبر .

عَمَلُهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدُهُ الْجَهِيدَ ١ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ
آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرِي أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ
عَنْ كَبِيرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلُمُ عَلَى
اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ ٢ ؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ
الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرِ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنَّ حُكْمَهُ فِي
أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ ٣ .

فَاخْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفْزِزَكُمْ
بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجُلِهِ ٤ . فَلَعَمْرِي
لَقَدْ فَوْقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ
الشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ٥ . وَقَالَ : « رَبِّ بِمَا

-
- (١) احبط عمله : أبطل ثوابه ، والجهد : الجهاد ، والجهد : المستقصى .
(٢) قال الشيخ محمد عبده : أي يسلم من عقابه ، وكأنه استعمل سلم بمعنى ذهب أو فات
فأتى بعل .
(٣) الهوادة : اللين والمحاباة .
(٤) يستفزكم : يستخفكم ، والخيال الخيالة أي الفرسان ، والرجل - بفتح الراء وسكون
الجيم - اسم جمع لراجل .
(٥) فوق سهمه : سده ليرمي به ، واغرق بالنزع : استوفى مد القوس ، وبالغ في
نزعها ليكون مرماه بعيداً ، ورماكم من مكان قريب : لأنه كما جاء في الحديث « يجري من ابن
آدم مجرى الدم » .

أَغْوَيْتَنِي لَأَزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ١
 قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ غَيْرٍ مُصِيبٍ . صَدَقَهُ بِهِ
 أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ ٢ ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبَرِ
 وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا أَنْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ،
 وَأَسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنْ
 السَّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ ٣ . أَسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ
 عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ ٤ . فَأَقْحَمُوكُمْ
 وَلَجَاتِ الدَّلِّ ، وَأَحْلَوْكُمْ وَرَطَّاتِ الْقَتْلِ ه ، وَأَوْطَأُوكُمْ
 إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ،
 وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ٦ ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ

(١) الحجر : ٣٩ .

(٢) كانت العرب تقول للشيء المتوهم من بعيد : هذا قذف بغيب والغيب الغائب وفي معناه ورجماً بظن غير مصيب وصدقه أي صدق . إبليس في تواعد بني آدم بالاغواء ، بنو آدم من أبناء الحمية الجاهلية .

(٣) المراد بالجامحة : الأنفس أو الأخلاق الجامحة . والطماعية : الطمع ونجمت : ظهرت .

(٤) استفحل سلطانه : قوى ، ودلف بجنوده : تقدم بهم .

(٥) اقحموكم : ادخلوكم ، والولجات جمع ولجة - بالتحريك - الموضع الذي يستتر فيه المار من مطر ونحوه ، والورطات جمع ورطة وهي الهلكة .

(٦) أوطأوكم : جعلوكم واطئين لذلك ، والاثخان مصدر اثخن في القتل إذا أكثر منه قال ابن أبي الحديد : « واعلم أنه لما ذكر الطعن نسبة للعيون ، ولما ذكر الخنز وهو الذبيح نسبة للحلق ، ولما ذكر الدق وهو الصدم الشديد نسبة إضافة إلى المناخر ، وهذا من صناعة الخطابة التي علمها الله إياه بلا تعليم ، وتعلمها الناس كلهم بعده منه » .

أَلْقَهْرٍ إِلَى النَّارِ أَلْمَعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا ،
وَأُورَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا مِنْ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ
مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَالِبِينَ ١ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ
وَلَهُ جَدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ
فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ٢ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ
عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ . يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ
مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ ٣ . لَا تَمْتَنِعُونَ
بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . فِي حَوْمَةٍ ذُلٌّ ، وَحَلَقَةٍ
ضَيْقٌ ، وَعَرَصَةٌ مَوْتٌ ، وَجَوْلَةٌ بَلَاءٌ ٤ . فَأَظْفِقُوا مَا
كَمَنَّ فِي قُلُوبِكُمْ هَ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ
الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ

-
- (١) الخزامى : جمع خزيمة وهي حلقة من شعر توضع في وترة الف البعير فيشد فيها الزمام ، وورى الزنبد : خرجت ناره وهذا أورى من هذا أكثر اخراجاً للنار .
(٢) الحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ، ووقع في حسبك : عابه ، ومثله ودفع في نسبكم .
(٣) أجلب بخيله ورجله : استحثها والمراد نوته ، ويقتنصونكم : يتصيدونكم ، والبنان أطراف الأصابع وهو جمع واحدته بنانة .
(٤) العزيمة : قوة الارادة ، وحومة الدل : موضعها ، والعرصة - بوزن الغربة - كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والحولة : الموضع الذي تجول فيه .
(٥) ما كن : ما استتر .

خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفْثَاتِهِ ١ .
وَأَعْتَمِدُوا وَضَعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُسِكُمْ ، وَإِلْقَاءِ التَّعَزُّزِ
تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلَعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَاتَّخِذُوا
التَّوَاضُّعَ مَسْلَحَةً ٢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ لِإِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ،
فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجُلًا وَفُرْسَانًا .
وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ ٣ مِنْ غَيْرِ مَا فَضَّلِ
جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعِظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عِدَاوَةِ
الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ،
وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبَرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ
اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

أَلَا وَقَدْ أَمَعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ ٤ ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ
مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصِبَةِ ٥ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ .

-
- (١) الخطرات جمع خطرة وهي ما يعرض على الهلاك ، والنخوة : الكبر والعظمة ،
والنزغات والنفثات : الوسوس وتقدم معناها غير مرة .
- (٢) والمسلحة : جماعة من الفرسان يكونون في أطراف البلاد تمد للحماية والدفاع .
- (٣) أي ابن آدم الذي قتل أخاه ، وإنما قال ابن أمه لأن الأخوين من الأم أشد حنواً ومحبة .
- (٤) امعنتم في البغي : بالفتن فيه من امن في الأرض إذا ذهب بعيداً .
- (٥) المصارحة : المكاشفة ، والمناسبة المعادات .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي كِبَرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّهُ مَلَأَ
 الشَّانَ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ ١ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ
 الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ
 جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ٢ ، ذُلًّا عَلَى سِيَاقِهِ ، سُلْسًا
 فِي قِيَادِهِ ٣ . أَمْرًا تَشَابَهَتْ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتْ
 الْقُرُونَ عَلَيْهِ . وَكِبْرًا تَضَايَقَتْ الصُّدُورُ بِهِ ٤ .
 أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ
 الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ،
 وَأَلْقُوا الْهَجِينََّةَ عَلَى رَبِّهِمْ ٥ ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ مَا صَنَعَ

(١) الملائح جمع ملقح مصدر من لقحت ملقحاً كشربت مشرباً ، والشَّانُ - بفتح النون وتسكينها - البغض ، والمراد من نفخ الشيطان وسوسته وتحويله ، ويقال للمتطاول إلى ما ليس له قد نفخ الشيطان في أذنه .

(٢) أَعْنَقُوا : اسرعوا ، والحنادس الظلم ، والمهاوي جمع مهواة - بالفتح - وهي الهوة التي يتردى فيها الصيد ، والمراد بها المهالك .

(٣) ذللاً أي سهلاً ، ومثله سلساً وزناً ومعنى ، وأما قسم ذللاً وسلساً بين سياقه وقياده لأن المستعمل في كلامهم سقته فوجدته ذلولاً شمساً ، وقدته فوجدته سلساً أو صعباً .

(٤) تشابهت القلوب ، أي إن الحمية والفخر والكبر والمصيبة ما زالت القلوب متماثلة متشابهة فيها ، والقرون جمع قرن الأمة من الناس ، وتضايقت الصدور به أي كثر حتى امتلأت به وضائق عنه .

(٥) الهجين - هنا - القبيحة ، نسبوا ما في الانساب من القبح بزعهم إلى ربهم كأن يقول الإنسان لآخر أنا من القوم الفلانيين وأنت من القوم الفلانيين وليس الذنب المزعوم في ذلك إلى الإنسان لأن الله جعله منهم .

بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِّلآلَاءِ . فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ
 أُسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ . وَدَعَائِسُمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ
 اعْتِرَازِ الْجَاهِلِيَّةِ ١ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعْمِهِ عَلَيْكُمْ
 أُضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَادًا ٢ . وَلَا تُطِيعُوا
 الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدْرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ
 بِصَحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ،
 وَهُمْ أُسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ ٣ . اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ
 مَطَايَا ضَلَالٍ . وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً
 يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . إِسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي
 عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ ٤ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ ،
 وَمَوْطِئًا قَدَمِهِ ، وَمَاخِذَ يَدِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ
 الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ ،
 وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ ، وَأَتَّعِظُوا بِمِثَالِ خُدُودِهِمْ ،

-
- (١) جاحدوه : أي انكروا صنعه إليهم ، واعتزاه الجاهلية ان يهتف فيقول يا فلان .
 (٢) لان البغي والكبر يقتضيان زوال النعمة ، وحلول النقمة .
 (٣) المراد بالادعياء هنا ادعياء الاسلام ، والمراد بالمرض هنا النفاق او مرض القلوب .
 (٤) تراجمة جمع ترجمان - بضم التاء وفتحها - والنثت تقدم معناه ، وتروى « نثاً » من
 نث الحديث إذا افشاه .

وَمَصَارِعَ جُنُوبِهِمْ^١ ، وَاسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ
 الْكِبَرِ^٢ كَمَا تَسْتَعِيدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ
 اللَّهُ فِي الْكِبَرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ
 أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ كَرَّةً إِلَيْهِمُ التَّكَابُرُ وَرِضَى
 لَهُمُ التَّوَاضُّعُ . فَالْصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّروا
 فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ،
 وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعِفِينَ . وَقَدْ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ ،
 وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ^٣ . وَأَمْتَحَنَهُمُ بِالْمَخَافِ ، وَمَخَضَّهُمْ
 بِالْمَكَارِهِ^٤ . فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
 جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالْإِخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى
 وَالْإِقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيْحَسِبُونَ أَنَّ مَا
 نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ

-
- (١) المفلات : العقوبات ، والمشاوي ، جمع مشوى وهو المنزل ، ومنازل الحدود ،
 مواضعها من الارض ، ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب .
 (٢) لواقح الكبر : ما يحدثه في النفوس من التعاطف ،
 (٣) المخمصة : الجوع ، والمجهد : التعب .
 (٤) ومخضهم بالمكاره : حركهم وتروى ومحضهم - بالخاء والصاد المهملتين - اي طهرهم .
 (٥) نهى عليه السلام ان يعتبر رضا الله وسخطه بالعتاء والمنع فان ذلك جهل بمواقع
 الفتنة والاختبار .

لَا يَشْعُرُونَ « فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ
فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِغُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا
الْعِصِيُّ ١ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ :

« أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ
الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا
أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ٢ إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعَهُ ،
وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ
حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهَبَانِ ، وَمَعَادِنَ
الْعَقِيَّانِ ٣ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ
السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ ،

(١) مدارع جمع مدرعة - بكسر الميم - وهي الكساء ، والعصي جمع عصا .

(٢) أساور جمع أسورة جمع سوار - بكسر السين - .

(٣) الذهبان - كرهقان - الذهب ، وقال ابن أبي الحديد : الذهبان بكسر الال -

والعقيان : الذهب وانما جاء بلفظين لمعنى واحد لاختلاف معنى الكنوز والمعادن .

وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَأَضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ١ ، وَلَمَّا وَجَبَ
لِلْمُقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ
الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتْ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا . وَلَكِنَّ اللَّهَ
سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً
فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الْقُلُوبَ
وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمَلُّ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ آذَى ٢ .

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ،
وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتَشُدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ
الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ ،
وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةِ قَاهِرَةٍ
لَهُمْ أَوْ رَغْبَةِ مَائِلَةٍ بِهِمْ ٣ ، فَكَانَتْ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً
وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ

(١) لسقط الوعد والوعيد وبطلا ، واضمحلت : تلاشت ، والانباء جمع نبا وهو الخبر ،
اي الانباء التي يخبر الانبياء بها امهم .

(٢) اي إن من يسي مسلماً ومؤمناً حينئذ تكون تسميته مجازاً لا حقيقة لأنه ملجأ إلى الايمان
بما يشاهده .

(٣) اي اقل تأثيراً في القلوب من الاعتبار اي الاتعاظ ، واشد توغلاً في الكبر لان الايمان
هنالك يكون عن رغبة او رهبة ولم يكن خالصاً لله سبحانه .

الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصَدِيقُ بِكِتَابِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ
وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةٌ
لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ .

وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبَلَوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمُشُوبَةُ
وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ أَلَّا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ
مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا
الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا
تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً .
ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجَرًا ، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ
الْأَرْضِ مَدْرَأً ١ . وَأَضْيَقِ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا . بَيْنَ
جِبَالٍ خَشْنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمَثَةٍ ٢ ، وَعُيُونٍ وَشَلَةٍ ، وَقُرَى
مُنْقَطَعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ٣ .

(١) اوعر بقاع الأرض : اصعبها ، ومكان وعر - بالتسكين - صعب المسالك او المقام
ونقائق من قولهم : ضبعة منتاق اي كثيرة الريح .

(٢) القطر : الجانب ، ورمال دمة سهلة وكلما كان الرمل سهلا كان ابعد عن ان يثبت

(٣) وشلة : قليلة الماء ، ومنقطعة : متباعدة ، والمراد بالخلف الابل ، والخابر الخيل
والخير والبهال ، والظلف الغنم والبقر ، ولا يزكو : لا يسمن .

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنُوءَ أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ ، فَصَارَ مَثَابَةً
لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ ، وَغَايَةِ لِمَلْقَى رِحَالِهِمْ ١ . تَهْوِي إِلَيْهِ ثَمَارُ
الْأَفْتَدَةِ . مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ
وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطَعَةٍ ٢ ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلًا
يَهْلُونُ لِلَّهِ حَوْلَهُ ٣ . وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا غُبْرًا لَهُ .
قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ٤ ، وَشَوْهُوَا بِإِعْفَاءِ
الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ ، ابْتِلَاءً عَظِيمًا وَامْتِحَانًا شَدِيدًا ،
وَاخْتِبَارًا مُبِينًا ، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا ، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا
لِرَحْمَتِهِ ، وَوَصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ . وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ ،

(١) يَتَنُوءَ اعطاهم : يقصدوه ، والمثابة : اي يثاب اليه ويرجع نحوه مرة بعد اخرى
والنتيجة بالأصل : طلب الكلا ثم كل مقصد ينتفع منه منتجماً . وملقى الرحال : محطها .

(٢) ثمار الافتدة : سويداؤها ، والمفاوز : الفلوات ، والقفار : جمع رقفراء وهي
الأرض التي لا نبات فيها ولا ماء . وسحيقه : بعيدة . والمهاوي : المساقط ، والفجاج جمع فج
وهو الطريق بين الجبلين والعميق ما بعد من اطراف المفاوز .

(٣) يهزوا مناكبهم اي يحركهم الشوق نحوه حتى يسافروا اليه وكنى عن السفر بهز
المنالك ، وذلل حال منهم ، ويهلون يرفعون اصواتهم بالتلبية ، وتروى « ويهلون » اي
يرفعون اصواتهم بالتهليل .

(٤) الرمل السعي بين المشي والهرولة .

وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ ١ ، جَمُّ الْأَشْجَارِ ، دَانِي الثَّمَارِ ، مُلْتَفٌ
 أَلْبِنَا ، مُتَّصِلِ الْقُرَى ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمَرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ
 خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدَقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدَقَةٍ ٢ ،
 وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ
 الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ
 الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَالْأَخْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرَةٍ
 خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ
 الشَّكِّ فِي الصَّدُورِ ، وَلَوْ ضَعَّ مُجَاهِدَةٌ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ،
 وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرِّيبِ مِنَ النَّاسِ ٣ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ
 عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ،
 وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ،
 وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفُوسِهِمْ . وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً

-
- (١) المشار : معالم النسك ، وسهل وقرار في مكان سهل يستقرون به
 (٢) جم الأشجار كثيرها ، وداني الثمار قريبها ، وملفت البناء أي مشبك العمارة ،
 وبيرة الواحدة من البير وهو الخنطة ، والارياف جمع ريف وهو الخصب والمرعى ، ومغدقة:
 ذات ماء كثير .
 (٣) تروى « مضارعة الشك » ومعناه ، مقارنة الشك ، ودنوه من النفس ، ومعتلج
 الريب اضطرابها .

فُتِحاً إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلَّلاً لِعَفْوِهِ .

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ،
وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ فَإِنَّهَا مَضِيْدَةٌ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ،
وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ
السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ . فَمَا تُكْذِبُ أَبَدًا ، وَلَا تُشْوِي
أَحَدًا ، لَا عَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقْلًا فِي طِمْرِهِ ٢ . وَعَنْ
ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ٣ بِالصَّلَوَاتِ
وَالزَّكَّاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ
الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ ٤ ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ ،
وَتَذْلِيلًا لِنَفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيزًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَابًا
لِلْخِيَلَاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْفِيرٍ عِتَاقِ الْوُجُوهِ
بِالْتَّرَابِ تَوَاضَعَاءَ ، وَالتَّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ

- (١) تساور القلوب : تواثبها وتقاتلها ، وما تكدي ما ترد من اكدي حافر الفرس إذا بلغ الكدية اي الأرض الصلبة .
(٢) لا تشوي احداً : لا تخطف المقتل وتعداه إلى غيره ، والطمر : الثوب الخلق .
(٣) قال لهن ابي الحديد ما زائدة مؤكدة اي وعن هذه المكائد حرس الله عباده المؤمنين فعن متعلقة بحرس ٥ .
(٤) اي حرسهم بهذه الأعمال عن تلك المكائد فجعل التسكين والتخشيع حلة للحراسة ونصب اللفظ على انها مفعول لاجله .
(٥) تخفيض القلوب : سخطها عن الاعتلاء ، والخيلاء التكبر ، وعتاق الوجوه : كرائمها .

بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلِحُقُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ
تَذَلُّلاً . مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ
وغير ذلك إلى أهلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ .

أَنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعٍ نَوَاجِمِ
الْفَخْرِ ، وَقَدَحِ طَوَالِيعِ الْكِبَرِ ١ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا
وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لشيءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ
إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيَةَ الْجُهْلَاءِ ، أَوْ حُجَّةً تَلِيْطُ ٢
بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرِكُمْ . فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرِ لَا
يَعْرِفُ لَهُ سَبَبٌ وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ
لَأَصْلِهِ . وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خَلْقَتِهِ فَقَالَ : أَنَا نَارِي وَأَنْتَ طِينِي .
وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ ٣ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ
النَّعَمِ . فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذِّبِينَ ٤ » فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ
لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ

(١) القمع : القهر ، والنواجم جمع ناجمة وهي ما يظهر ويطلع من الكبر وغيره
والقدح - بالدال المهملة - الكف ، والطوالع كالنجوم .
(٢) التملية : التلبس ، وتليط : تلتصق .
(٣) المترفة : جمع مترف وهو الذي أطلفته النعمة .
(٤) سبأ : ٣٥ .

الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَّاءُ ، وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ
 الْعَرَبِ وَيَعَاسِبِ الْقَبَائِلِ ١ بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيْبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ
 الْعَظِيْمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيْلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ ٢ .
 فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجَوَارِ ، وَالْوَفَاءِ
 بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكَبِيرِ ، وَالْأَخْذِ
 بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ،
 وَالْإِنْصَافِ لِلخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ
 فِي الْأَرْضِ ٣ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنْ
 الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ ٤ . فَتَذَكَّرُوا فِي
 الْخَيْرِ وَالْأَشَرِّ أَحْوَالَهُمْ ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا
 تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِيهِمْ فَالْزُمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ
 الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنُهُمْ ، وَزَاحَتْ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ ه ، وَمُدَّتْ

-
- (١) تفاضلت فيها : تزايدت ، والمجداء جمع ماجد والمجد الشرف ، والنجداء جمع
 نجيد وهو الشجاع ، واليعاسيب : الرؤساء ، واليعسوب في الأصل أمير النحل .
 (٢) الرغبة : الحصلة المرغوبة ، والأحلام : المقول ، والخطار : الاقدار .
 (٣) الذمام - بالكسر - ما يذم الرجل على تضييعه وكظم الغيظ ، حبسه وهو قادر على
 أمضائه ، والغيب : الغضب .
 (٤) المثالات : العقوبات ، وذميم الأعمال : ما يذم منها .
 (٥) تفاوت حالهم : اختلفا فهما ، وزاحت بعدت ، وله أي لاجله .

الْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتْ
الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ مِنْ الْاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ، وَاللُّزُومِ
لِلْأَلْفَةِ ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهِمَا وَالتَّوَاصِي بِهَا ، وَاجْتَنَبُوا
كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمًا ١ . مِنْ تَضَاغُنِ
الْقُلُوبِ ، وَتَشَاخُنِ الصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ
الْأَيْدِي ، وَتَدَبُّرِ أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ
كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ ٢ . أَلَمْ يَكُونُوا
أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً ، وَأَضْيَقَ
أَهْلَ الدُّنْيَا حَالًا . اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَبِيدًا فَسَامَوْهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ فَلَمْ ٣ تَبْرَحِ الْحَالُ
بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ . لَا يَجِدُونَ حِيلَةً
فِي أَمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ

(١) الحظ : الحث ، والتحااض : ان يبحث بعضهم بعضاً ، والفقرة : واحدة فقر الظهر ،
ويقال لمن اصابته مصيبة شديدة قد كسرت فقرته ، والمنة - بضم الميم - القوة .

(٢) الضغن : الحقد وشحن الصدر امتلاء بالاحقاد . وتخاذل الايدي : عدم التناصر ،
والتمحيص : التطهير والتصفية .

(٣) الاعباء : الاثقال ، واجهد العباد : اتعبهم ، والفراعنة : المئات وكل عات فرعون
وساموهم : الزموهم ، والمرار : شجر مر واستعير شرب المرار لكل من يلقي شدة .

جَدَّ الصَّبْرِ ۱ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَالْإِحْتِمَالِ
لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ
فَرَجًا ، فَأَبَدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ
الْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا ، وَأَئِمَّةً أَعْلَامًا ، وَبَلَغَتْ
الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمَلَاءُ مُجْتَمِعَةً ،
وَالْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ،
وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً ٢ ، وَالْعَزَائِمُ
وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ ، وَمُلُوكًا
عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ . فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي
آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ الْأُلُفَّةُ
وَأَخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ،
وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ،
وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ ٣ . وَبَقِيَ قِصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ

(١) جد الصبر : أشده .

(٢) الاملاء : الجماعات ، واحده ملأ ، ومترادفة : متعاونة ، نافذة أي ثاقبة .

(٣) تشعبوا : صاروا شعوباً وقبائل مختلفين ، تفرقوا متحزبين : أي تفرقوا مع تحزبهم ،
وغضارة النعمة : الطيب اللين منها .

عِبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ .

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَحْوَالِ ١ ، وَأَقْرَبَ
اشْتِبَاهِ الْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشْتِتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيْلِي
كَانَتْ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ
عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ ٢ ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى
مَنَابِتِ الشَّيْحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ ٣ ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ .
فَتَرَكَوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبْرٍ وَوَبْرٍ ٤ ، أَذَلَّ الْأُمَمِ
دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا . لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ

(١) أي ما اشبه الأشياء بعضها ببعض .

(٢) يحتازونهم : يبعدونهم ، والمراد بريف الآفاق الشام .

(٣) منابت الشيخ : أرض العرب والشيخ : نبت معروف يكثر فيها ومها في الريح :
التي تهفو فيها أي تهب وهي الفياثي والصحاري .

(٤) نكد العيش : ضيقه ، وعالة : فقراء ، والدبر : مصدر دبر البعير إذا عقره
القتب ، والوبر البعير كالصوف للضأن ، والشعر للبعير ، والمراد : أنهم صاروا قبائل رحل .

يَعْتَصِمُونَ بِهَا ١ ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أَلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا .
فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ
مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءٍ أَزَلٍ ٢ ، وَإِطْبَاقٍ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتِ
مَوْودَةٍ ٣ ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ
مَشْنُونَةٍ .

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ
رَسُولًا ، فَعَقَّدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ
أَلْفَتَهُمْ . كَيْفَ نَشَرَتْ النُّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ،
وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَآتَتْهُمْ أَلْمِلَةَ بِهِمْ فِي
عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا ؟ . فَاصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرَقِينَ ، وَعَنْ
خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ ٥ . قَدْ تَرَبَّعَتْ الْأُمُورُ بِهِمْ ٦ ،
فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَأَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزٍّ
غَالِبٍ . وَتَعَطَّفَتْ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ

(١) اي لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون إليه ، ويمتصمون بمنصرة دعوته .

(٢) الازل : الضيق .

(٣) المودة : المثقلة بالتراب اي البنات التي كانت تدرس في الجاهلية بالتراب .

(٤) التفت بهم : جمعهم وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة إليهم .

(٥) فكهين : ناصي البال ، مطمئني النفوس ، معجبين بما أصابهم .

(٦) تربعت : أقامت .

فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ .
يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ . وَيَمْضُونَ
الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ . لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَآةٌ ١ ،
وَلَا تُقَرَّعُ لَهُمْ صَفَاةٌ .

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ .
وَتَلَمَّسْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ٢ .
فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَمْتَنَ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا
عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي
ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنْفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ
الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنِ ، وَأَجَلُّ
مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَغْرَابًا ٣ ، وَبَعْدَ

(١) القنّاة : الرمح . وعدم غمز القنّاة كناية عن القوة والصلابة .

(٢) اللّمة : الخلل في الخائط .

(٣) الأعراب من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل البادية ولم يهاجر إليه
وهم ناقصوا المرتبة عن المهاجرين لأنهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يتخالطوا
العلماء من أصحابه فهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله .

الْمَوَالَةِ أَحْزَابًا . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِأَسْمِهِ ،
وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا
الْعَارَا ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِتُوا ٢١ الْإِسْلَامَ عَلَى
وَجْهِهِ ، أَنْتَهَاكَ لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ الَّذِي
وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ .
وَلِإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ ، ثُمَّ
لَا جَبْرَائِيلَ وَلَا مِيكَائِيلَ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارُ
يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ
وَلِإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ
وَوَقَائِعِهِ .

فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاقُوا بِبَطْشِهِ ،
وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقُرْنَ الْمَاضِي
بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ

(١) والنار والعار منصوبتان باضمار فعل اي ادخلوا النار ولا تلتزموا العار وهي كلمة
جارية مجرى المثل يقولها ارباب الحمية ، وإلى ذلك اشار الحسين عليه السلام بقوله يوم عاشوراء
الموت اولى من ركوب العار والعار اولى من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري

(٢) تكفثوه : تكبروه .

الْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي ، وَالْحُلَمَاءَ
لِتَرْكِ التَّنَاهِي .

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الْإِسْلَامِ وَعَظَلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمْتُمْ
أَحْكَامَهُ أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ
وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا
الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ . وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ ١ .
وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِّيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةٌ
قَلْبِهِ وَرَجَّةٌ صَدْرِهِ ٢ . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ ،
وَلَشِنَ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكُرَّةِ عَلَيْهِمْ لِأَدِيلِنَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَدَّرُ
فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا ٣ .

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصُّغَرِ بِكَلًا كِلِ الْعَرَبِ ٤ ، وَكَسَرْتُ
نَوَاجِسَ قُرُونٍ رَبِيعَةً وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ وَضْعِي مِنْ

(١) الناكثون : اصحاب الجمل ، والبنفاة : اصحاب معاوية ، والمارقة : الخوارج
ودوخت : ذلت .

(٢) الردهة : شبه نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء ، واختلف الشارحون في تعيينه واقتوى
اقوالهم انه ذو الثدية رئيس الخوارج وجد مقتولا في ردهة ، والصعقة : الفشية : تصيب
الانسان ، ووجبة القلب خفقانه ، ورجة الصدر : اهتزازه .

(٣) ادلين منهم : احققهم ، والتشدر : التفرق .

(٤) الكلاكل : الصدور يريد اكابرهم ، والنواجيم : الظاهرة الرفيعة : يريد الاشراف .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ ،
وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ ، وَضَعْنِي فِي حَجَرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ
يُضْمِنُنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ ، وَيُحْسِنِي
جَسَدَهُ وَيُشِمِّنِي عَرْفَهُ ١ . وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ .
وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ ٢ .
وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ
مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنِ
أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارُهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ
الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ ٣ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا
وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ
بِحَرَاءٍ ٤ فَارَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ
يَوْمًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ،
وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ .

(١) عرفه - بالفتح - رائحته الذكية .

(٢) الخطلة : واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح . والخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية .

(٣) الفصيل ولد الناقة .

(٤) حراء بكسر الحاء جبل على القرب من مكة .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ
الرَّئَةُ ؟ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ أَيْسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ
تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيِّ ،
وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ .

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ
مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدْ أَدَّعَيْتَ
عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ
نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ
وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ .
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُونَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ،
فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،
فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟
قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأَرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ

أَنْكُمْ لَا تَفْسِيْثُونَ إِلَى خَيْرٍ ١ ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ ٢ ، وَمَنْ يُحْزَبُ الْأَحْزَابِ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَيُّهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَأَنْقَلِعِي بِعُرْوِكَ حَتَّى تَقْفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلَعَتْ بِعُرْوِقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ ٣ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرْفَرَفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، وَبِغَضٍ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عَلُّوْا وَاسْتَكْبَاراً - : فَمُرَّهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّ دَوِيٍّ ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا كُفْرًا

(١) لا تفسيثون : لا ترجمون .

(٢) القلب - كأمير - البئر . والمراد منه قلب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش ، والأحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه .

(٣) القصف : الصوت الشديد .

وَعُتُوا - فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ
فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ . فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلَهَ إِلَّا
اللَّهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ
بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً
بِنُبُوءَتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ
سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ
يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا (يَغْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنَ
قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَرْمَةٌ لَا تَمِ سِيَمَاهُمْ سِيَمَا
الصَّدِيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ ، عَمَّارُ اللَّيْلِ
وَمَنَارُ النَّهَارِ ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ . يُحْيُونَ
سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ . لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا
يَغْلُونَ وَلَا يُفْسِدُونَ ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي
الْعَمَلِ ٢ .

الخطبة القاصعة أطول خطب أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره

(١) سِيَمَاهُمْ : علامتهم .

(٢) يَغْلُونَ : يخونون . وقلوبهم في الجنان الخ أي قلوبهم ملتدة بمعرفة الله واجسادهم
نصبية بالعبادة .

الشارحون لها، وهي في عدة فصول في المواعظ والزواجر، والنهي عن التكبر والتعصب وأمثالهما من الرذائل التي كانت قد فشت بين شبان اهل الكوفة فوعظهم بهذه الخطبة وهو راكب على ناقة تقصع بجرتها (اي تملأ فاهها عما في جوفها ثم ترده إلى جوفها) (١) .

واذا صح هذا فلا وجه للوجه التي ذكرها ابن ابي الحديد في تسميتها فقد قال : يجوز ان تسمى هذه الخطبة القاصعة من قولهم : قصعت الناقة بجرتها ، وهو أن تردّها إلى جوفها أو تخرجها من جوفها فتملأ فاهها ، فلما كانت الزواجر والموعظ في هذه الخطبة مرّدة من أولها إلى آخرها شبيهها بالناقة التي تقصع الجرّة ، ويجوز ان تسمى القاصعة لأنها كالقاتلة لابليس واتباعه من اهل العصبية . من قولهم : قصعت القملة إذا هشمته وقتلتها ، ويجوز ان تسمى القاصعة لان المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته ، فيكون من قولهم : قصع الماء عطشه اي اذهب وسكنه ، قال ذو الرمة بيتاً في هذا المعنى :

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد تشح فلا ري ولا هيم
الصرائر جمع صريرة وهي العطش ، ويجوز ان تسمى القاصعة لأنها تتضمن تحقير ابليس واتباعه وتصغيرهم من قولهم : قصعت الرجل إذا امتهنته وحقرته ، وغلام مقصوع اي قميء لا يشب ولا يزاد (٢) .

وقد حصلت نسخة عند السيد رضي الدين علي بن طاووس ونقل عنها في «اليقين» ص ١٩٦ وقال : وجدتها منضمة—يعني هذه الخطبة—مع أخبار في فضل اهل البيت عليهم السلام قد جمعها الأقدمون وكان تاريخ كتابتها سنة ثمانين ومائتين ونقلها الشريف الرضي بدون إسناد .

(١) الذريعة : ٧ / ٢٠٤ .

(٢) شرح النهج م ٣ ص ٢٢٥ .

كما روى الكليني في « فروع الكافي » : ج ٤ ص ١٦٨ فصلا من هذه الخطبة يبتديء من قوله عليه السلام (ولو اراد الله جل ثناؤه بأنبيائه) إلى (ذللاً لعفوه) . وكذلك الصدوق في « الفقيه » : ج ١ ص ١٥٢ .

كما نقل الزنجشيري في الجزء الأول من « ربيع الابرار » ص ١١٣ مخطوطة الاوقاف فصلا من هذه الخطبة من قوله عليه السلام (فافتخر على آدم بخلقه) إلى قوله (حمى حرمه الله على العالمين) .

ورواها الماوردي في « اعلام النبوة » : ص ٩٧ كما روى ما يشتمل على قصة الشجرة ، وحكى ذلك عن اهل النقل .

وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله ﷺ فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض قد ذكره المحدثون في كتبهم ، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ ، والأكثر روى الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة امير المؤمنين ، ومنهم من يروي ذلك مختصراً ، انه دعا شجرة فاقبلت تحذ اليه الأرض خدأً ، وقد ذكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة » حديث الشجرة ، ورواه ايضاً محمد بن اسحق بن يسار في كتاب « السيرة والمغازي » على وجه آخر^(١) . وأشار اليها البوصيري في البردة بقوله :
جاءت لدعوته الاشجار ساجدة تمشي اليه بلا ساقٍ على قدم

١٩١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رُوي أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِداً ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ ص ٢٥٦ .

لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَتَشَاوَلَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ
هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ
خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ
لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مِنْ أَطَاعِهِ .
فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ .
فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ،
وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ
عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ
لَهُمْ . نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَأَلَّتِي نَزَلَتْ فِي
الرِّخَاءِ ٢ . وَلَوْ لَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ

(١) اي ليس بالثمين جداً ولا بالحقير جداً ، وفسرها بعضهم بأن الاقتصاد وهو الأخذ
بمقدار الحاجة صار كالثوب لهم لالتزامهم به .

(٢) اي إنهم طابوا نفساً في الرخاء والشدة كطيب انفسهم بأحوالهم في الرخاء والنعمة

أَرْوَّاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ،
وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ . عَظُمَ الْخَلَقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ
مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ
فِيهَا مُنْعَمُونَ ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا
مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَأَجْسَادُهُمْ
نَحِيفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا
أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرِيحَةٌ ١
يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا . وَأَسَرَّتْهُمْ
فَقَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ
لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يَرْتَلُونَهُ تَرْتِيلًا . يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ
وَيَسْتَشِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ ٢ . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ
رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا ، وَتَطَلَّعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا ،
وَوَظَنُوا أَنَّهَا نُصَبُ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ
أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَوَظَنُوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ

(١) تجارة مربحة خبر لمبتدأ محذوف تقديره تجارتهم تجارة مربحة ، ومربحة : أي افادت ربحاً .

(٢) يستشيرون : يستخرجون دواء لادواء نفوسهم ، وامراض صدورهم وتروى « يستشيرون » كاستشارة مرضى الأبدان للأطباء .

وَشَهِقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونٌ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ ١ ،
 مُفْتَرِشُونَ لِحَبَابِهِمْ وَأَكْفُفُهُمْ وَرُكْبَتُهُمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ،
 يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا النَّهَارُ
 فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارُ أَتَقِيَاءُ . قَدْ بَرَّاهُمُ الْخَوْفُ بَرِي
 الْقَدَاحِ ٢ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا
 بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا ٣ . وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ
 أَمْرٌ عَظِيمٌ . لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الْقَلِيلَ . وَلَا
 يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ . وَمِنْ
 أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ ٤ إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ
 لَهُ فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي
 أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ،
 وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاعْفُ عَنِّي مَا لَا يَعْلَمُونَ .
 فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ،

-
- (١) حانون « الخ » صفة لركوعهم وسجودهم .
 (٢) القداح جمع قلع وهو السهم قبل ان يراش اي يشقف .
 (٣) خولطوا : اختلت عقولهم .
 (٤) مشفقون : خائفون .

وَحَزْماً فِي لَيْنٍ ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ . وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ،
وَعِلْماً فِي حِلْمٍ . وَقَصْداً فِي غِنَى ١ وَخُشوعاً فِي عِبَادَةٍ .
وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ . وَطَلَباً فِي حَلَالٍ
وَنَشَاطاً فِي هُدًى . وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ ٢ . يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ
الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُمَسِّي وَهْمُهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ
وَهْمُهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً . حَذِراً لِمَا
حَذَرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ .
إِنْ اسْتَضَعِبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكَرَّرَهُ ٣ لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا
فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا
يَبْقَى ٤ . يَخْرُجُ الْحِلْمُ بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلُ بِالْعَمَلِ ، تَرَاهُ
قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ،
مَنْزُوراً أَكَلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيْزاً دِينُهُ ٥ مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ .
مَكْظُوماً غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

(١) الاقتصاد بين الاسراف والتقتير .

(٢) التخرج : التأثم .

(٣) اي استمعت عليهم انفسهم في الطاعة لم يجيبوها الى ما تنوق اليه من المعصية .

(٤) ما لا يزول نعيم الآخر ، والذي لا يبقى حطام الدنيا .

(٥) منزوراً اي قليلاً ، حريزاً : منيعاً .

إِنَّ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي
 الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَنْ ظَلَمِهِ ،
 وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ ١ .
 لِيناً قَوْلُهُ . غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلاً خَيْرُهُ ،
 مُدْبِراً شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ٢ ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ .
 وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يَبْغِضُ . وَلَا يَأْتُمُ
 فِيمَنْ يُحِبُّ ٣ . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا
 يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسِي مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ
 بِالْأَلْقَابِ ٤ . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْتُمُ بِالْمَصَائِبِ .
 وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ
 لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بَغِيَ
 عَلَيْهِ صَبْرٌ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ
 مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتَعَبَ نَفْسُهُ
 لِأَخْرَجَتِهِ ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بَعْدَهُ عَنْ تَبَاعُدِ

(١) الفحش : القبيح من القول .

(٢) الزلازل : الشدائد .

(٣) اي لا يأتُم في حبه ولا في بغضه .

(٤) النبز : العيب ، اي لا يعيب غيره . بلقب يكرهه ويشتمُّ منه .

عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ . وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِيْنٌ وَرَحْمَةٌ .
 لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .
 (قَالَ) فَصَعِقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا
 عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟
 فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِأُتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ :
 وَيَحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَغْدُوهُ وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ .
 فَمَهْلًا لَا تُعَدُّ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ .

تسمى هذه الخطبة بخطبة همام وهي من خطبه عليه السلام المعروفة ،
 وقد رويت بأسانيد مختلفة ، وطرق شتى ، فمن رواها قبل الشريف الرضي
 أبان بن ابي عياش - كما في كتاب سليم بن قيس الهلالي : ص ٢١١ -
 ورواها الصدوق بإسناد ذكره في « الأمل » ص ٣٤٠ في المجلس
 الرابع والثلاثين ، الذي أملاه يوم الثلاثاء : الثامن عشر من رجب ،
 سنة ثمان وستين وثلثمائة اي قبل ان يتخطى الشريف الرضي
 التاسعة من عمره الشريف وقبلهما ابن قتيبة روى جملة منها في كتاب
 الزهد من كتب « عيون الأخبار » م ٢ - ٣٥٢ ، ورواها الحراني في « تحف
 العقول » ص ١٥٩ ، إلى غير هؤلاء ، هذا قبل الرضي ، أما بعده فقد رواها
 جماعة من العلماء بأسانيد وصور تعرف منها على أنهم لم يأخذوها عن

(١) صق : غشي عليه ، وكانت فيها نفسه : مات .

« النهج » منهم سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص ١٤٨ نقلها من رواية مجاهد عن ابن عباس بصورة أخصر . وابن طلحة الشافعي في « مطالب السؤل » ج ١ ص ١٥١ من قوله عليه السلام (المؤمنون اهل الفضائل) إلى قوله سلام الله عليه (يمسي وهمه الشكر ويصبح وشغله الذكر) وزاد على رواية الرضي (أولئك الآمنون المطمئنون الذين يسقون من كأس لا لغو فيها ولا تأثيم) .

ثم رواها بصورة أخرى عن نوف قال : عرضت حاجة إلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فاستتبت اليه جندب بن زهير والربيع بن خثيم وابن اخيه همام بن عباد بن خثيم ، وكان من أصحاب البرانس المتعبدین ، فاقبلنا إليه فألفيناه حين خرج يؤم المسجد ، فأفضى ونحن معه إلى نفر متدننين قد أفاضوا في الاحداثات تفكهاً ، وهم يلبي بعضهم بعضاً : فاسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه ، فرد التحية ثم قال : من القوم ؟ فقالوا : أناس من شيعتك يا امير المؤمنين ، فقال لهم خيراً ثم قال : يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا ، وحلية أحببنا ؟ فأمسك القوم حياتهم ، فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له : ما سمة شيعتك يا امير المؤمنين ؟ فسكت فقال همام - وكان عابداً مجتهداً - أسألك بالذي اكرمكم اهل البيت وخصكم وحباكم ، لما انبثتنا بصفة شيعتك ، فقال : لا تقسم فسأنبئكم جميعاً ثم ذكر الموعظة بتفاوت يسير مع رواية الرضي ، وذكر في آخرها صيحة همام وموته وغسله وصلاة امير المؤمنين عليه السلام عليه .

وروى الكراجكي في « كنز الفوائد » : ص ٣١ مثله مسنداً .

ولهذه الخطبة عدة شروح منها :

١ - شرح خطبة همام للسيد علاء الدين كاستانه المتوفى سنة (١١١٠) (١)

(١) الدرية ١٣ / ٢٢٥ .

- وقد مر ان السيد علاء الدين المذكور من شراح « نهج البلاغة » كما مر انه له شرح الخطبة الشقشقية (١).
- ٢ - شرح خطبة همام للفاضل الشريف أمير آصف القزويني ، الذي كان حياً بأصفهان ايام محاصرة الافغان لها سنة (١١٣٦) وتوفي قريباً من تلك الوقعة ذكره الشيخ عبد النبي القزويني في « تنميم امل الآمل » وقال : انه شرح بطراز جديد ، وبيان سديد رأيته وقد اجاد فيه (٢).
- ٣ - شرح خطبة همام للمولى محمد تقي بن مقصود علي المجلسي المتوفي سنة (١٠٧٠) هـ قال ولده العلامة المجلسي في اعتقاداته : هو شرح جامع فعليك بمطالعة ، واحال عليه ايضاً في « عين الحياة » (٣).
- ٤ - شرح خطبة همام للمولى محمد تقي بن حسين علي الهروي الاصفهاني الحائري المتوفي سنة (١٢٩٩) (٤).
- ٦ - شرح خطبة همام ، للشيخ محمد جواد بن علي بن الشيخ جعفر التستري المتوفي (١٣٢٥) هـ (٥).
- ٧ - شرح خطبة همام للفاضل ابي القاسم الشهير بالعلامة بن الميرزا احمد شيخ الاسلام الاصفهاني (٦).
- ٨ - شرح خطبة همام باللغة الكجراتيه اسمه (نعمة الهى) طبع بالهند (٧).

(١) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٢٣٥ و ص ٣٢٣ .

(٢) الذريعة : ١٣ / ٢٢٦ .

(٣) نفس المصدر : ١٣ / ٢٢٦ .

(٤) المصدر السابق ١٣ / ٢٢٥ .

(٥) المصدر السابق : ١٤ / ٢٢٥ .

(٦) المصدر نفسه : ١٣ / ٢٢٥ .

(٧) المصدر نفسه : ١٣ / ٢٢٠ .

١٩٢ - فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَةُ

يَصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ
الْمَعْصِيَةِ ١ . وَنَسَّأَلُهُ لِمَنْتَهُ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً .
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ
كُلَّ غَمْرَةٍ ٢ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوْنَ لَهُ
الْأَذْنُونَ ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصُونَ ٣ . وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ
أَعْنَتَهَا ، وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بَطُونَ رَوَاحِلَهَا ، حَتَّى
أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ ٤ .

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَأَحْذَرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ
فَإِنَّهُمْ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمَزْلُونَ ٥ . يَتَلَوْنُونَ

(١) ذَادَ عَنْهُ : حَمَى عَنْهُ .

(٢) الْغَمْرَةُ : الشَّدَّةُ .

(٣) التَّلَوْنَ : التَّقَلُّبُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَتَأَلَّبَ : تَجَمَّعَ .

(٤) خَلَعَ الْأَعْنَةَ : كُنَايَةُ عَنِ الْخُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ . وَضَرَبَ بَطُونَ الرِّوَا حِلَّ : كُنَايَةُ عَنِ السَّيْرِ الْخَشِيطِ ، وَاسْحَقَ : ابْعَدَ .

(٥) الزَّالُّونَ : مَنْ زَلَّ أَوْ أَخْطَأَ ، وَالْمَزْلُونَ : مَنْ أَزَلَّهُ إِذَا أَوْقَعَهُ فِي خَطَا .

أَلَوَانَا ، وَيَفْتَنُونَ أَفْتِنَانَا ١ ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ،
وَيَرْصِدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ
نَقِيَّةٌ ٢ . يَمْشُونَ الْخَفَاءَ ، وَيَدْبُونَ الضَّرَاءَ ٣ وَصَفُهُمْ
دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعِيَاءُ ٤ . حَسَدَةُ
الرَّخَاءِ ، وَمُؤَكَّدُوا أَلْبَاءِ ، وَمُقَنْطُوا الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ
طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجَرٍ دُمُوعٌ ٥ .
بِتَقَارُضُونَ الثَّنَاءَ ، وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ ٦ . إِنْ سَأَلُوا
الْحَفَا ، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا ٧ ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا .
فَدَّ أَعَدُوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا : وَلِكُلِّ

(١) يفتنون : أي يأخذون في فتنون من القول .

(٢) دوية : مريضة ، والصفاح هنا أصفاح الوجوه ، ونقية لا يظهر عليها شيء من كوامن نفوسهم وما تضره قلوبهم من الشر .

(٣) يمشون الخفاء : أي في الخفاء ، والخفاء منصوب بنزع الخافض ، والضراء : شجر الوادي الملتف ، وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه ويخدعه فيقال : يدب له الضراء ويمشي له في الخمر - بالتحريك - وهو جرف الوادي .

(٤) العياء : المستصى شفاؤه .

(٥) لهم إلى كل قلب شفيع يتملقهم وكذبهم ، والشجر : الحزن .

(٦) أي يثنى بعضهم على بعض باطلا ، ويتراقبون أي يرتقب كل واحد من صاحبه جزاء ملاحه وتقريله .

(٧) الاخاف في السؤال : الاستقصاء فيه ، والمذل : اللوم والتثريب ، وكشفوا اظهروا ما خفي من العيوب .

حَيِّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مَفْتَحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مَصْبَحًا .
يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ،
وَيَنْفَقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ ١ . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ ٢ ، وَيَصِفُونَ
فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ ٣ .
فَهُمْ لُئِمَةُ الشَّيْطَانِ ٤ وَحِمَّةُ النَّيْرَانِ « أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ
أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

رواها صاحب (الطراز) ج ٢ ص ٣٠٨ بأخصر مما في (النهج)
وباختلاف يسير في بعض الالفاظ ، ففي (الطراز) « صفاتهم » بينما في
(النهج) « صفاحهم » والاختصار والاختلاف دليل على نقلها عن غير
(نهج البلاغة) .

وروى الآمدي فقرات منها في (الغرر) ص ٥٤ « احذروا اهل النفاق .. »
الخب والمروي في (النهج) « واحذركم اهل النفاق .. » وص ٢٦٩ في حرف
الياء من قوله عليه السلام : « يمشون الخفاء » إلى « يموهون » وروى بعد
قوله عليه السلام « يقولون فيشبهون » هذه الفقرة « ينافقون في المقال » ولا
توجد في (النهج) وذلك ما يجعلنا مطمئنين ان للآمدي مرجعاً غير الرضي .

-
- (١) يتوصلون إلى الطمع باظهار اليأس من الناس ، والاعلاق : السلعة النفيسة : والمراد
بها النفيسة عندهم .
(٢) يشبهون : يوقعون القلوب في الشبه .
(٣) قد هونوا الطريق أي سهلوه ، وتروى « هيثوا » أي هيثوه لتسلك به تمويهاً ،
واضلعوا المضيق جعلوه ضلعاً أي معوجاً .
(٤) اللمة : الجماعة ، وحمة - بالتخفيف - السم وكفى عن احراق النار بالحملة للمشابهة
بالمضرة .

١٩٣ - وَمَنْ خُطِبَتْ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلَالَ كِبَرِيَّائِهِ
مَا حَيْرَ مُقْلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ ١ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ
هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ ٢ . وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةَ إِيْمَانٍ وَإِيْقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ ٣ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى
دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ ٤ . فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ،
وَنَصَحَ لِلخَلْقِ ، وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ
يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا ٥ . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى

(١) المقل جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد ، ومقلت الشيء : نظرت به بمقلتي .

(٢) ردع : زجر ودفع ، وهماهم جمع همة وهي في الأصل صوت يسمع لا يفهم محموله ، والمراد بهماهم النفوس : افكارها ، والعرفان : المعرفة ، وكنه الشيء : نهايته واقصاه

(٣) الايقان : العلم القطعي ، والاذعان : الانقياد .

(٤) طامسة : دارسة .

(٥) القصد : العدل .

(٦) العبث : ما ليس بفعله غرض ، والهمل - بالتحريك - الإبل بلا راع ،

إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَفْتَحُوهُ وَاسْتَنْجَحُوهُ ، وَأَطْلَبُوا
إِلَيْهِ وَاسْتَمْنَحُوهُ ١ . فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ
عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ . وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ
وَأَوَّانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍ . لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ ، وَلَا
يُنْقِصُهُ الْإِحْبَاءُ وَلَا يَسْتَنْفِذُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ
نَائِلٌ ٢ . وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيه صَوْتُ
عَنْ صَوْتٍ . وَلَا تَحْجِزُهُ هَبَّةٌ عَنْ سَلْبٍ . وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ
عَنْ رَحْمَةٍ . وَلَا تُؤْلِيهِ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ . وَلَا يُجِنُّهُ
الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ . وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ ٣ .
قَرُبَ فَنَائِي ، وَعَلَا فَدْنَا . وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ .
وَدَانَ وَلَمْ يَدْنِ ٤ . لَمْ يَذَرِ الْخَلْقَ بِإِحْتِمَالٍ ، وَلَا أَسْتَعَانَ
بِهِمْ لِكَلَالِهِ ٥ .

-
- (١) استفتحوه : اطلبوا منه الفتح على أعدائكم ، واستنجحوه : اطلبوا منه النجاح في
أعمالكم ، واستمنحوه : التمسوا منه حوائجكم .
(٢) لا يثلمه : لا ينقص ما عنده ، والإحباء : العطاء بلا مكافئة ، ويستنفذه : يذهب
بجميع ما عنده ، ويستقصيه : يأخذ آخر ما عنده .
(٣) توليه : تحيره ، وتجنه : تخفيه ، ويقطعه : يمنعه .
(٤) دان : جازى وحاسب ، ولم يحاسبه أحد .
(٥) ذرأ : خلق ، والاحتيال : التفكير في العمل ، والكلال : الملل من التعب

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا الزَّمَامُ وَالْقَوَامُ ١ .
 فَتَمَسَّكُوا بِوَتَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَوَلَّ بِكُمْ إِلَى
 أَكْنَانِ الدَّعَةِ ٢ ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ
 الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ ،
 وَيُعْطَلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ ٣ . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ . فَتَزْهَقُ
 كُلُّ مُهْجَةٍ ٤ ، وَتَبْكَكُمْ كُلُّ لَهْجَةٍ . وَتَذْكُ الشَّمُّ الشَّوَامِخُ ،
 وَالصَّمُّ الرِّوَاكِخُ . فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَابًا رَقْرَقًا ، وَمَعْهَدُهَا
 قَاعًا سَمَلَقًا ٥ . فَلَا شَفِيعَ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمَ يَدْفَعُ ، وَلَا
 مَعْدِرَةَ تَنْفَعُ .

سنشير إليها في كلمة الختام إن شاء الله تعالى .

-
- (١) أي إن التقوى قوام الطاعات التي تقوم عليها ، وزمام العبادات التي تمسك بها .
 (٢) الأكنان جمع كن : وهو ما يكن أي يستتر به ، والدعة : خفض العيش .
 (٣) والصروم جمع صرمة وهي القطعة من الإبل ، والمشار جمع عشاء وهي الناقة التي
 مضى عليها عشرة أشهر من يوم لإرسال الفحل عليها . وتمطل ترك مرسله مهملة لا يلتفت إليها .
 (٤) تزهق : تهلك ، والمهجة هنا النفس ، وتبكم : تخرس .
 (٥) الشم : الجبال ، والشوامخ : العالية ، والصم : الصلبة ، والرواسخ : الثابتة ،
 والمراد بها الجبال أيضاً . والرقراق : الخفيف ، والسملق الأرض المستوية ليس فيها شيء
 أرفع من شيء .

١٩٤ - وَمِنْ خُطْبَتَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ حِينَ لَا عِلْمَ قَائِمٌ ١ . وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلَا
مَنْهَجٌ وَاضِحٌ . أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَأَحْذَرُكُمْ
الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ ٢ ، وَمَحَلَّةٌ تَنْغِيصٍ . سَاكِنُهَا
ظَاعِنٌ . وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ ٣ . تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مِيدَانُ
السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ ٤ . فَمِنْهُمْ
الْغَرِقُ الْوَبِيقُ ٥ . وَمِنْهُمْ النَّاجِي عَلَى بَطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ
الرِّيَّاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا . فَمَا غَرِقَ مِنْهَا
فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرِكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَلَيْ مَهْلِكٍ .

عِبَادَ اللَّهِ الْآنَ فَاعْمَلُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ
صَحِيحَةٌ ، وَالْأَعْضَاءُ لَدَنَةٌ ٦ ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ،

(١) العلم ما ينصب على المرتفعات للإعتداء به وقد مر تفسيره غير مرة وكذلك المنار .

(٢) دار شخوص : أي رحله ، يقال : شخص من وطنه أي ارتحل .

(٣) ظاعن : مسافر ، قاطن : مقيم ، بائن : بعيد .

(٤) تميد : تضطرب ، تقصفها : تضربها ، العواصف : الرياح الشديدة ، واللجج

جمع لجة وهي العمرة .

(٥) الوبق : الهالك .

(٦) لدنة : لينة أي قبل الكبر والشيخوخة .

وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَلْفَوْتِ ١ ، وَحُلُولِ
أَلْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

روى الآمدي بعض هذه الخطبة في حرف الألف بلفظ إن المشددة
ص ٨٧ وفي روايته : « إن الدنيا دار شخوص ، ومحلة تنغيص ... » الخ
ورواية الشريف الرضي : « واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ... »
وروى الآمدي فيما رواه من هذه الخطبة جملاً من الخطبة التي
مرت برقم (١٨٩) كما روى فقرات من هذه الخطبة مع مارواه في تلك
الخطبة اي (١٨٩) فيبدوا من هذا ان ما رواه الرضي في الموضوعين من
خطبة واحدة كما اشرنا اليه هناك .

١٩٥ — وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٢ أَنِّي لَمْ أَرُدْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ
سَاعَةً قَطُّ ٣ . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي
تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ نَجْدَةً

(١) المرقق : الذي أدرك ليقتل .

(٢) المستحفظون : العلماء والأمناء من الصحابة (رض) الذين أودعهم رسول الله صل
الله عليه وآله أمانة سره وكلفهم بحفظها .

(٣) يرمز في قوله عليه السلام لم أرد ... الخ إلى أمور وقعت من بعض الصحابة في الرد
على الله ورسوله يوم الحديبية ويوم بدر ويوم وفاة عبد الله بن أبي وغيرها مما يطول المجال
بذكرها وتكفل التاريخ بحفظها راجع : النص والإجتهاد للإمام شرف الدين .

أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا ١ .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ
رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي . وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمَرَتْهَا
عَلَى وَجْهِي ٢ . وَلَقَدْ وَلَيْتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَلْمَلْتُكَ أَغْوَانِي ، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَّةُ ٣ مَلَأَ يَهْبِطُ
وَمَلَأَ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ ٤ . يُصَلُّونَ
عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْيَحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي
حَيًّا وَمَيِّتًا ؟ فَاَنْفُذُوا عَلَيَّ بِصَائِرِكُمْ ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ
فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةٍ
الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةٍ الْبَاطِلِ ٥ . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

رواه المفيد في (المجالس) باختلاف يسير مع رواية الرضي (٦) كما

(١) النجدة : الشجاعة .

(٢) قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ورأسه في حجر علي عليه السلام وكان
يردد هذا في كلامه في غير موطن .

(٣) ضجت الدار بالملائكة النازلين والمارجين ، والأفنية جمع فناء وهو ما اتسع امام الدار

(٤) الهينة : الصوت الخفي .

(٥) المزلة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة .

(٦) انظر م ١٧ من البحار ص ١٠٥ ط الكمباني .

رواه الآمدي في حرف الواو من (غرر الحكم) ص ٢٤٣ من اوله إلى قوله عليه السلام « فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً » وفي روايته زيادة بين قوله عليه السلام : « اكرمني الله بها » وبين « قبض ... » وهي « ولقد بذلت في طاعته جهدي ، وجاهدت اعداءه بكل طاقتي ، ووقيته بنفسي ، ولقد افضى إليّ من علمه بما لم يفيض به إلى احد غيري ، ولقد قبض رسول الله ﷺ ... » الخ

١٩٦ - مِنْ خُطْبَةِ بَرِّ عَلِيِّ بْنِ السَّلَامِ

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَدَوَاتِ ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي
الْخَلَوَاتِ ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبَحَارِ الْغَامِرَاتِ ١ ،
وَتَلَاطَمَ الْمَاءِ بِالرِّيَّاحِ الْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
نَجِيبُ اللَّهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ
خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ،
وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ
مَرَامِي مَفْرَعِكُمْ ٢ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءٌ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ،

(١) العجيج : ارتفاع الاصوات ، والنينان جمع نون وهو الحوت ، واختلافها :
اصعادها ، وانحدارها .

(٢) مرامي جمع مرمى وهو القصد ، يقال : فلان مرمى قصدي أي موضعه .

وَبَصَرُ عَمَى أَفْشَدَتْكُمْ ، وَشَفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ
فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلَاءُ عَشَا
أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَرْعِ جَائِشِكُمْ ١ ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلُمَتِكُمْ .
فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ ٢ ، وَدَخِيلًا دُونَ
شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ،
وَمَنْهَلاً لِحَيْنِ وُرُودِكُمْ ٣ ، وَشَفِيعاً لِدَرْكِ طَلِبَتِكُمْ وَجَنَّةً
لِيَوْمِ فَرْعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَنًا
لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفْسًا لِكُرْبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ
اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفٍ مُكْتَنَفَةٍ ، وَمَخَافٌ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأَوَارٍ
نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ ٤ . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ
بَعْدَ دُنُوهَا ٥ ، وَأَحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ،
وَأَنْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاجُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ
الصَّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا ٦ ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ

(١) العشا : ضعف البصر وقد مر معناه مراراً ، والجأش : القلب .

(٢) الشعار والدثار : مر معناهما أكثر من مرة ، والدخيل : ما خالط باطن الجسد .

(٣) وأميراً فوق أموركم : أي يحكم على أموركم كما يحكم الأمير على رعيته ، والمنهل = المورد

(٤) المتالف : المهالك ، ومكتنفة : محيطة . والأوار : حر النار والشمس .

(٥) عزبت : بعدت .

(٦) الانصاب : الاتعاب .

فُحُوطَهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا ١ ،
وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النَّعْمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَّتْ عَلَيْهِ
الْبَرَكَاةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا ٢ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَّظَكُمْ
بِرِسَالَتِهِ ، وَآمَنَ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبَّدُوا أَنْفُسَكُمْ
لِعِبَادَتِهِ ٣ ، وَآخِرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْإِسْلَامَ دِينَ اللَّهِ الَّذِي أَصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ،
وَأَصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَأَصْغَاهُ خَيْرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ
دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْأَمَلِلَ
بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكِرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهَ
بِنَصْرِهِ ٥ ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَى مَنْ

(١) الفحوط : القلة ، وتحدبت : عطفت .

(٢) النضوب : الانقطاع ومنه نصب الماء : إذا نفذ . ووبل المطر أي صار وابلا وهو
أشد المطر وأكثره ، والرذاذ : أتياؤها بالرذاذ وهو الضعيف من المطر .

(٣) عبادوا : ذلوا ومنه طريق معبد أي سهل ، وآخروا إلى من حق طاعته ، أي ادوا
ما افترضه عليكم ، يقال خرجت لفلان من حقه يعني أدبته .

(٤) اصطنعه على عينه : كلمة يقال لما يشهد الاهتمام به ، تقول للصانع : اصنع لي كذا
على عيني أي كأنك تصنع وأنا حاضر أراه بعيني واصفاه أي آثر به خير خلقه : يعني بذلك محمداً
صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) محاديه جمع محاد وهو المخالف المعاند .

عَطَشَ مِنْ حَيَاضِهِ ، وَأَتَانَا أَلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ ١ . ثُمَّ
جَعَلَهُ لَا أَنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا
أَنهْدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا أَنْقِلَاعَ
لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا أَنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ ٢ ،
وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطَرِيقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ
لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لَوَضَحِهِ وَلَا عِوَجَ لَانْتِصَابِهِ ، وَلَا
عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ٣ ، وَلَا أَنْطِفَاءَ
لِمِضْبَاحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخٍ
فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا ، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غُزْرَتِ
عِيُونِهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ أَقْتَدَى بِهَا
سَفَارُهَا ، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فَجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلٌ رَوَى بِهَا
وَرَادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ،

(١) بركته أي بعزته ، وأتانا الحياض ملاءها ، والمواقع جمع ماتع وهو نازع الماء من الحوض .

(٢) العفا : الدروس والاضمحلال .

(٣) الجذ : القطع ، والضنك ، الضيق والوضع : بياض الصبح ، والمصل : الاعوجاج والوعث : الارض الرخوة التي تسبخ فيها الاقدام عند السير .

(٤) اساخ : اثبت ، والاسناخ جمع سنخ وهو الاصل .

(٥) السفار : المسافرين .

وَسَنَامَ طَاعَتِهِ . فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ
الْبُنْيَانِ ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ النُّيرَانِ ، عَزِيزُ
السُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعَوِزُ الْمَشَارِ ١ . فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ ،
وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ . ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ
مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا
الْإِنْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الْإِطْلَاعُ ٢ . وَأَظْلَمَتْ
بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ . وَخَشَنَ
مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ . فِي أَنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ،
وَأَقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا ٣ ، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَأَنْفِصَامٍ
مِنْ حَلَقَتِهَا ، وَأَنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا ٤ ،
وَتَكْشُفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصْرِ مِنْ طُولِهَا . جَعَلَهُ اللَّهُ

-
- (١) مشرف المنار : مرتفعه ، والمشار : العلامة يهتدى بها في الفلوات. ومعوز المشار :
اي يعجز الناس اثارته وازعاجه لقوته ومتانته .
- (٢) الاطلاع : الاتيان يقال : اطلع فلان علينا اي اتانا .
- (٣) قامت باهلها على ساق افزعهم ، وخشونة المهاد كناية عن شدة آلامها ، وازف :
قرب ، واشراطها : علامات انقضائها .
- (٤) التصرم : التقطع ، والانفصام : الانقطاع وإذا انفصمت الحلقة : انقطعت الرابطة ،
وانتشار الاسباب : تبدها ، وعفاء الاعلام : اندراسها .

بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لِّأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ ،
وَرَفْعَةً لِّأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفًا لِّأَنْصَارِهِ .
ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ،
وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ ١ ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ ،
وَمَنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ ٢ ، وَشِعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ ،
وَفَرْقَانًا لَا يَخْمدُ بَرْهَانُهُ ، وَتَبْيَانًا لَا تَهْدُمُ أَرْكَانُهُ ،
وَشِفَاءً لَا تُخْشى أَسْقَامُهُ ، وَعِزًّا لَا تَهْزُمُ أَنْصَارُهُ ،
وَحَقًّا لَا تُخَالِفُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبَحْبُوحَتُهُ ٣ ،
وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ ،
وَأَثَافِي الْإِسْلَامِ وَبَنِيَانُهُ ٤ ، وَأَوْدِيَّةُ الْحَقِّ وَغِيْطَانُهُ ٥ .
وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعَيْونٌ لَا يَنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ
وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ ٦ ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجُهَا

(١) خِبت النار انطقات .

(٢) المنهاج : الطريق ، والنهج : السلوك .

(٣) ببجوحة المكان : وسطه .

(٤) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في عشب ، والغدران جمع غدير وهو القطعة
من الماء يفادها السيل ، والاثاني جمع اثنية واحدة من احجار ثلاثة توضع تحت القدر .

(٥) الفيطان : جمع غوط وهو المنخفض من الارض .

(٦) لا ينزفه لا ينفيه ، وينضبه : ينقصه ، والماتح : المستقى من البئر ومر معناه غير
مرة ، يغيضه من اغاض الماء : نقصه .

الْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ
لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ . جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ ،
وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجٍّ لِبُطْرِ الصُّلَحَاءِ ،
وَدَوَاءٍ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا
وَثِقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ
وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنْ أَتَمَّ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنْ
أَنْتَحَلَهُ ، وَبِرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ . وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ
بِهِ ، وَفَلَجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ^٢ ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ،
وَمُطِئَةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ
اسْتَلَامَ^٣ . وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى^٤ ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ،
وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى .

ما رواه الرضي ههنا وما مر برقم (١٠٤) الذي اوله « الحمد لله الذي
شرع الاسلام فسهل شرائعه »^(٤) من خطبة واحدة تعرف ذلك عند المقارنة .

(١) الآكام جمع اكمة : الموضع المرتفع على المواضع حوله .

(٢) الفلج - بفتح فسكون - الفوز .

(٣) استلام : لبس الامة وهي عدة الحرب .

(٤) انظر ص ٢١٣ من الجزء الثاني .

١٩٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يُوصِي بِهِ أَصْحَابُهُ

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَاسْتَكْثَرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا « كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا » أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ » ١ وَإِنَّهَا لَتَحْتَ الذُّنُوبِ حَتَّى الْوَرَقِ ، وَتُطْلَقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبْقِ ٢ وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحِمَةِ ٣ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ ٤ . وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ « رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا

(١) المدثر : ٤٢ .

(٢) الحث : نثر الورق من الغصن ، والربق : الحبال المعقدة .

(٣) الحمة - بالفتح وتشديد الميم - كل حفيرة ينبع فيها ماء حار يتداوى به من العليل .

(٤) الدرن : الوسخ .

بِيعَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ « وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصَبًا بِالصَّلَاةِ ١ بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ « وَأُمِرُ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » فَكَانَ ٢ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً . فَلَا يُتْبَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ ٣ ، وَلَا يُكْثَرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفُهُ . فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسَّنَةِ مَغْبُونٌ الْأَجْرِ ، ضَالٌّ الْعَمَلِ ، طَوِيلُ النَّدَمِ . ثُمَّ آدَاءُ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَوَاتِ الْمُبِينَةِ ، وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ ٤ ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الْأَطْوَالِ الْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ

(١) نصباً - بكسر الصاد - أي تبعاً .

(٢) طه : ١٣٢ .

(٣) يتبعها نفسه أي تذهب نفسه مع ما اعطى تملقاً به وتلهفناً عليه .

(٤) المدحورة : المبسوطة .

وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوْ أَمْتَنَعَ شَيْءٌ
بِطُولٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَأَمْتَنَعَ ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا
مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَا مَا جَهِلَ مِنْهُ هُوَ أَوْ أَضْعَفُ مِنْهُ هُوَ
الْإِنْسَانُ « إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » .

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ
مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ ١ لَطْفَ بِهِ خُبْرًا ٢ ، وَأَحَاطَ
بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ،
وَضَمَائِرُكُمْ عِيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ ٣ .

هذا الكلام رواه قبل الرضي ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني في
كتاب الجهاد من الكافي ج ٥ ص ٣٦ .

١٩٣ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَذَى مِنِّي وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ .
وَلَوْ لَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَذَى النَّاسِ ؛ وَلَكِنْ

(١) الاقتراف : الاكتساب .

(٢) الخبر - بضم الخاء - العلم ، والله سبحانه لطيف العلم بما يكسبه الناس أي دقيقه .

(٣) العيان : المعاينة والمشاهدة .

كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِيَوَاءُ
يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاللَّهُ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا
أُسْتَغْمَرُ بِالشَّدِيدَةِ ١ .

رواه قبل الرضي الكليني في « اصول الكافي » : ج ٢ ص ٣٣٦ وص ٣٣٨
بسندين احدهما عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام والثاني عن الاصبغ
ابن نباته قال : قال امير المؤمنين ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة
وذكر الكلام بأخصر مما في « النهج » .

وعند ملاحظة كلام الاصبغ نعلم ان هذا الكلام من جملة خطبة له
عليه السلام .

ولعل من المفيد هنا ان نذكر كلمة لابي عثمان الجاحظ في فحوى كلام
امير المؤمنين هذا ، قال :

« ربما رأيت من يظن بنفسه العقل والتحصيل ، والفهم والتمييز وهو من
العامة ويظن انه من الخاصة يزعم ان معاوية كان ابعد غوراً ، واصبح
فكراً ، واجود روية ، وابعد غاية ، وادق مسلكاً ، وليس الأمر كذلك ،
وساومي إليك بجملة تعرف بها موضع غلظه ، والمكان الذي دخل عليه
الخطأ من قبله .

كان علي لا يستعمل في حربه إلا ما وافق للكتاب والسنة ، وكان معاوية
يستعمل خلاف الكتاب والسنة ، كما يستعمل الكتاب والسنة ويستعمل
جميع المكائد حلالها وحرامها ، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى

(١) لا استغفل بالمكيدة : لا تجوز المكيدة علي ، ولا استغمر بالشديدة : اي لا أوهم
والين للخطب الشديد .

كسرى ، وخاقان إذا لاقى وتبيل^(١) ، وعلي عليه السلام يقول : « لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا باباً مغلقاً » هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسleme^(٢) وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة ، واصحاب الحرب إن قدروا على البيات^(٣) يبيتوا ، وإن قدروا على رضح الجميع بالخنل وهم نيام فعلوا وإن امكن ذلك في طرفه عين لم يؤخروه إلى ساعة ، وإن كان الحرق اعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ، ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق ، وإن امكن الهدم لم يتكلفوا الحصار ، ولم يدعوا ان ينصبوا المجانيق والعرادات والنقب والترنيب والدبابات والكمين^(٤) ولم يدعوا دس السم ولا التضريب^(٥) بين الناس بالكذب ، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور ، وايحاش بعض من بعض ، وقتلهم بكل آلة وحيل ، كيف وقع الحرب وكيف دارت بهم الحال ، فمن اقتصر — حفظك الله — من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير ، وما لا يتناهى من المكائد والكذب — حفظك الله — أكثر من الصدق ، والحرام أكثر عدداً من الحلال ، ولو سمي انسان انساناً باسمه لكان قد صدق وليس له اسم غيره ، ولو قال هو شيطان او كلب او حمار او شاة او بعير او كل ما خطر على البال لكان كاذباً في ذلك ، وكذلك الايمان والكفر ، وكذلك الطاعة والمعصية ، وكذلك الحق

(١) كسرى ملك الفرس ، وخاقان ملك الترك ، وتبيل ملك الفرنج .

(٢) هؤلاء كلهم من اصحاب معاوية ، وخاصته .

(٣) البيات : الغارة ليلا بدون ان يشعر العدو بذلك .

(٤) آلات كانت تستعمل في الحصار يومذاك .

(٥) اي ايقاع الاضطراب والاختلاف بما يلقي بينهم من الكذب .

والباطل ، وكذلك السقم والصحة ، وكذلك الخطأ والصواب ، فعليُّ كان ملجماً بالورع عن جميع القول الا ما هو لله عز وجل نصاً ، وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضا ، ولا يرى الرضا إلا فيما يرضاه الله ويحبه ، ولا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة دون ما يعول عليه اصحاب الدهاء والمكر والمكايد والآراء ، فلما ابصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكايد ، وكثرة غرايبه في الخداع وما اتفق له وتهياً على يده ولم يروا ذلك من علي عليه السلام ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم ان ذلك من رجحان عند معاوية ونقصان عند علي عليه السلام ، فانظر بعد هذا كله هل يعدُّ له من الخدع إلا رفع المصاحف ؟ ثم انظر هل خدع بها إلا من عصي رأي علي وخالف امره ، فان زعمت إنما اردت من الاختلاف فقد صدقت وليس في هذا اختلافنا ، ولا عن غزارة اصحاب علي عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا ، وإنما كان قولنا بالتمييز بينهما في الدهاء والنكراء وصحة العقل والرأي على انه لا نصف الصالحين بالدهاء والنكراء ، ولا نقول ما كان أنكر ابا بكر بن ابي قحافة وما كان أنكر عمر بن الخطاب ولا يقول احد عنده شيء من الخير كان رسول الله ﷺ ادهى العرب والعجم وأنكر قريش ، وامكر كنانة لأن هذه الكلمة إنما وضعت في مدح اصحاب الارب (١) ومن يتعمق في الرأي في توكيد امر الدنيا وزبرجها ، وتسديد اركانها ، فأما اصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر ، فانما هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء ، ولم يمنعوا هذا إلا ليعطوا افضل منه ، الا ترى ان المغيرة بن شعبة وكان احد الدهاة حين رد على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب ، - وعمرو بن العاص احد الدهاة أيضاً - :

(١) الارب : الدهاء ، والاربي - بفم الهزة - الداهية .

« انت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً ؛ فيلقنه عنك ، ما رأيت عمر مستخلياً بأحد الا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل ، كان عمر والله اعقل من ان يخدع ، وافضل من ان يخدع » ولم يذكره بالدهاء والنكراء ، هذا مع عجبه باضافة الناس ذلك اليه ، ولكنه قد علم انه إذا اطلق على الائمة الالفاظ التي لا تصلح في اهل الطهارة كان ذلك غير مقبول منه فهذا هذا وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع : اخرجوا الينا قتلة عثمان ونحن لكم سلم ، فاجهد كل جهد ، واستعن بمن شايئك إلى ان تتخلص إلى صواب رأي اضله علي حتى تعلم ان معاوية خادع وكان علي هو المخدوع ، فان قلت : قد بلغ ما اراد ونال ما احب فهل رأيت كتابنا وضع إلا على ان علياً كان قد امتحن في اصحابه وفي دهره بما لم يمتحن لإمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح من الرئاسة والتسرع والعجلة ؟ وهل اوتي إلا من هذا المكان ؟ .

اولسنا قد عرفنا من هذا امره ان ثلاثة نفر قد تواطؤوا على قتل ثلاثة نفر فالتمس ابن ملجم ذاك من علي ، وانفرد البرك الضريمي ذلك من عمرو بن العاص ، وانفرد الآخر وهو عمرو بن بكر التميمي بالتماس ذلك من معاوية وكان من الاتفاق او من الامتحان ان كان علي من بينهم هو المقتول ، وفي قياس مذهبكم ان تزعموا ان سلامة عمرو ومعاوية إنما كان يحزم منهما وان قتل علي كان بتضييع منه فاذا قد تبين لكم انه من الابتلاء والامتحان في نفسه بخلاف الذي قد شاهدتموه في عدوه فكل شيء سوى ذلك فانما هو تبع للنفس » (١) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ٢ : ص ٥٧٧ .

١٩٩- وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقَلَّةِ أَهْلِهِ؛
فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شَبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا
طَوِيلٌ ١ .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ ٢ .
وإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ
لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا
نَادِمِينَ » ٣ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ
خَوَارَ السُّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَارَةِ ٤ .
أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَّ الْمَاءَ ،
وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ ٥ .

هذا الكلام روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتب العلماء قبل

(١) كنى بالمائدة عن الدنيا .

(٢) يجمعهم في العقاب والثواب الرضا والسخط لأن الراضي شريك الفاعل .

(٣) الشعراء : ١٥٧ .

(٤) خارت : صوتت ، والسكة : حديدة المحراث وإذا احميت بالنار تكون اسرع
غوراً في الأرض ، والأرض الخوارة : السهلة اللينة .

(٥) التيه : المفازة يتحير سالكها .

الرضي وبعده بارسال مرة واسناد اخرى منهم . :

١ - البرقي في « المحاسن » ص ٢٠٨ في كتاب « مصاييح الظلم » روى من هذا الكلام قوله سلام الله عليه « إنما يجمع الناس الرضا والسخط ... » مسنداً .

٢ - النعماني في « الغيبة » رواه بسندين (الاول) عن ابن عقدة بسنده عن ابن نباته قال : سمعت امير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول : ايها الناس ، انا انف الهدى وعينه ، ايها الناس ، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة من يسلكه ان الناس اجتمعوا على مائدة ... (إلى آخره وفيه زيادة لم يذكرها الرضي منها) الا ومن سئل عن قاتلي فزعم انه مؤمن فقد قتني) .

(الثاني) قال : ورواه لنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن جمهور ، ثم ذكر سنداً متصلاً بفرات بن احنف عن امير المؤمنين عليه السلام وفيها (لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله) كرواية الرضي رحمه الله (١) .

٣ - الطبري في « المسترشد » : ص ٧٦ .

٤ - المفيد في « الارشاد » : ص ٣٠٠ .

٢٠٠- وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ

(١) انظر « الغيبة » ص ٩ و (بحار الانوار) : ج ٢ ص ٢٦٦ ، وتفسير (البرهان) ج ٤ ص ٢٦٠ .

فِي جِوَارِكَ ، وَالسَّرِيْعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ ، قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلَّا أَنَّ لِي
فِي النَّاسِ بَعْظِيمَ فُرْقَتِكَ ١ ، وَفَادِحَ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ
تَعَزُّ ، فَلَقَدْ وَسَدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ٢ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ
نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ،
فَلَقَدْ اسْتَرْجَعْتَ الْوَدِيعَةَ ، وَأَخَذْتَ الرَّهِيْنَةَ ، أَمَّا حُزْنِي
فَسَرَمٌ ٣ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ ٤ إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ
الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَسَتَنْبِئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافِرِ أُمَّتِكَ
عَلَى هَضْمِهَا ٥ ، فَتَاحِفَهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرَهَا الْحَالَ ، هَذَا
وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ ، وَالسَّلَامُ
عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُودَعٍ لَا قَالَ وَلَا سَمِعَ ٦ ، فَإِنْ أَنْصَرَفَ
فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ ، وَإِنْ أَقُمَ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ
اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

(١) أي ضعف صبري وتجلدي عن فراقها لكن أناسى بفراقك لك فأقول كل خطب بعد موتك يسير .

(٢) الفادح : المشغل ، والتعزي : التصبر ، والملحودة : الجانب المشقوق من القبر .

(٣) سرمد : لا ينقضي حتى القالك ، ومسهد : ينقضي بالسهاد وهو السهر .

(٤) هضمها : ظلمها ، والاحفاء : الاستقصاء .

(٥) القالي : المبعوض ، والسثم من السثامة وهي الملالة .

« اما قول الرضي رحمه الله : « عند دفن سيدة النساء » فلأنه قد تواتر الخبر عنه عليه السلام انه قال « فاطمة سيدة نساء العالمين » إما هذا اللفظ بعينه ، او لفظ يؤدي هذا المعنى » (١) .

وهذا الحديث متواتر عند الامامية ، وقد اجمعوا على صحته بل هو من جملة عقائدهم ، ولا نطيل القول بسر رواته منهم .
واليك رواته من علماء اخواننا اهل السنة :

١ - البخاري في صحيحه : ج ٤ ص ٢٤٧ في « كتاب بدأ الخلق » في باب علامات النبوة في الاسلام بسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : اقبلت فاطمة تمشي كأنها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « مرحباً بابنتي » ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ، ثم اسرّ اليها حديثاً فبككت ، فقلت لها : لم تبكين ، ثم اسرّ اليها حديثاً فضحككت ، فقلت : ما رأيت كالיום فرحاً اقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها ، فقالت : اسرّ لي ان جبرائيل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه الا حضر اجلي وانك اول اهل بيتي لحاقاً بي » فبكيت ، فقال : « اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة او نساء المؤمنين » فضحككت لذلك .

ورواه البخاري ايضاً في صحيحه : ج ٨ ص ٧٩ في (كتاب الاستئذان) في باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فاذا مات اخبر به ، عن عائشة ام المؤمنين وفيه « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة » .

٢ - مسلم في صحيحه : ج ٧ ص ١٤٢ في كتاب فضائل الصحابة

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ٢م ص ٥٩١ .

باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام عن مسروق عن عائشة
قالت : كن ازواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة
تمشي ما تخطىء مشيتها مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها ...
إلى آخر ما نقلناه عن « صحيح البخاري » وفيه « يا فاطمة اما ترضين ان
تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الأمة » .

ثم رواه مسلم ص ١٤٣ بسند آخر ينتهي إلى ام المؤمنين عائشة وفيه
« الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الأمة » .

٣ - الامام احمد في « المسند » ج ٦ ص ٢٨٢ وفيه « سيدة نساء هذه
الامة او سيدة نساء المؤمنين » .

وفي « المسند » ايضاً ج ٥ ص ٣٩١ وفيه : « ان فاطمة سيدة نساء اهل
الجنة » .

٤ - الترمذي في صحيحه : ج ٢ ص ٣٠٦ في باب مناقب الحسن
والحسين بسنده عن حذيفة وفيه انه ﷺ قال : « ان هذا ملك لم ينزل إلى
الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه ان يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة
سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » .

٥ - النسائي في (الخصائص) : ص ٣٤ بسنده عن ابي هريرة وفيه
« ان فاطمة بنتي سيدة نساء امتي وان حسناً وحسيناً سيدا شباب اهل الجنة » .
وروى في ص ٣٤ من « الخصائص » ايضاً بلفظ « سيدة نساء هذه
الامة وسيدة نساء العالمين » .

٦ - الحاكم في « المستدرک » : ج ٣ ص ١٥٦ وفيه : ان النبي ﷺ
قال وهو في مرضه الذي توفي فيه : « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة
نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين » .

٧ - أبو نعيم في « حلية الاولياء » : ج ٢ ص ٤٢ بسنده عن عمران بن الحصين وفيه : « يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين » قالت : يا ابة فأين مريم ابنة عمران ؟ قال : « تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك » .

وروى أبو نعيم قبل هذه الرواية بقليل انه صلى الله عليه وسلم قال : « يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين او سيدة نساء هذه الامة » .

وبعدها بسنده عن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم قال : « اما لئها سيدة النساء يوم القيامة » .

وفي « الحلية » طرق عديدة لهذا الحديث .

٨ - ابن ماجه في صحيحه في باب ما جاء في ذكر مرض النبي صلى الله عليه وسلم وفيه « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة » .

٩ - أبو داود الطيالسي في مسنده ج ٦ في احاديث النساء بلفظ « سيدة نساء العالمين او « سيدة نساء هذه الامة » .

١٠ - ابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ٤ ص ٣٦٣ في باب الفاء جعل عنوان ترجمة فاطمة هكذا : « فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد نساء العالمين عليها السلام » ثم روى بعد ذلك عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة » .

١١ - ابن الاثير في « اسد الغابة » : ج ٥ ص ٥٢٢ بلفظ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين » .

١٢ - ابن حجر العسقلاني في « الاصابة » : ج ٤ ص ٣٦٧ بلفظ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين » .

١٣ - المحب الطبري في « ذخائر العقبى » : ص ٤٣ بلفظ « يا بنية اما
ترضين انك سيدة نساء العالمين » .

١٤ - المتقي الهندي في « كنز العمال » ج ٦ ص ١٥٣ بلفظ « اما
ترضين اني زوجتك اول الناس اسلاماً واعلمهم علماً فانك سيدة نساء
امتي ... الحديث » .

وفيه ايضاً : ج ٧ ص ١١١ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة
وابنيك سيدا شباب اهل الجنة » .

وغيرهم وغيرهم

اما مصادر كلامه عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام فهي :

١ - « الكافي » للكليني ج ١ ص ٤٥٨ بسنده عن الحسين بن علي عليهما
السلام ، قال : لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها امير المؤمنين عليه السلام
سراً ، وعفا على موضع قبرها ، ثم قال: فحول وجهه إلى قبر رسول الله
ﷺ وذكر الكلام بزيادة على ما رواه الرضي .

٢ - « دلائل الامامة » للطبري : ص ٤٧ بسنده عن جعفر بن محمد عن
أبيه عن جده علي بن الحسين عليهم السلام ، قال : قال لي ابي الحسين :
لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها امير المؤمنين عليه السلام وعفا موضع
قبرها بيده ثم قام فحول وجهه إلى قبر النبي ﷺ وقال :

« السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك ... » . الكلام بتفاوت
مع رواية الشريف الرضي .

٣ - « المجالس » للمفيد : ص ١٦٥ .

٤ - « امالي » الطوسي : ج ١ ص ١٠٨ بسنده عن علي بن محمد
الهرمزداري عن علي بن الحسين عليهما السلام عن ابيه الحسين عليه

السلام قال : لما مرضت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وصّت إلى علي بن ابي طالب عليه السلام ان يكتم امرها ، ويخفي خبرها ، ولا يؤذن احداً بمرضها ففعل ذلك ، وكان يمرضها بنفسه وتعيّنه على ذلك اسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك كما وصّت به ، فلما حضرتها الوفاة وصّت امير المؤمنين عليه السلام ان يتولى امرها ، ويدفنها ليلاً ، ويعفى قبرها ، فتولى ذلك امير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفى موضع قبرها ، فلما نفّض يده من تراب القبر هاج به الحزن ، وارسل دموعه على خديه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال : « السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك ... إلى آخره » .

٥ - « كشف الغمة » للاربلي : ج ٢ ص ١٤٧ كرواية الشريف الرضي

٦ - « تذكرة الخواص » لسبط ابن الجوزي الحنفي : ص ٣١٨ قال عند كلامه على وفاتها صلوات الله عليها : واختلفوا في غسلها - إلى ان قال - وروي ان الملائكة غسلتها ، وروي ان اسماء بنت عميس غسلتها ، والأصح ان علياً غسلها ، وكانت اسماء تصب الماء عليها .

ثم قال : فان قيل : فعند ابي حنيفة لا يجوز للرجل ان يغسل زوجته ، فالجواب : ان علياً عليه السلام كان مخصوصاً بذلك ، ولما اذكر عليه ابن مسعود قال له : اما سمعت رسول الله ﷺ يقول « هي زوجتك في الدنيا والآخرة » فلم ينقطع السبب بينهما ، وصلى عليها علي وقيل العباس ودفنها ليلاً بالبقيع ، ولما دفنها علي عليه السلام انشد :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وإن افتقادي فاطماً بعد احمد دليل على ان لا يدوم خليل
وقال ايضاً :

ألا ايها الموت الذي ليس تاركي ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيراً بالذين احبهم كأنك تنحو نحوهم بدليل

ثم جاء إلى قبر رسول الله ﷺ وقال :
« السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النازلة في جوارك والسريعة
اللاحق بك ... » الكلام بزيادة قليلة تدل على انه لم ينقلها عن « نهج البلاغة »

٢٠١ - وَمَنْ كَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ۖ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ،
فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ . وَلَا تَنْهَتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عَنْ مَنْ يَعْلَمُ
أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا اخْتَبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا
خُلِقْتُمْ . إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ
الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ . لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ
قَرَضًا وَلَا تُخَلِّفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

هذا الكلام رواه الصدوق في (الامالي) ص ١٣٢ في المجلس الثالث
والعشرين وفي (عيون اخبار الرضا) ج ١ ص ٢٩٨ والمفيد في (الارشاد)
ص ١٣٩ ، والطبرسي في (مشكاة الانوار) ص ٢٤٣ ، والشيخ ورّام في
مجموعته ص ٦٦

(١) اي يجتاز فيها إلى الآخرة وهذا مثل قوله عليه السلام (الدنيا دار مر) الذي سيأتي إن
شاء الله في الحكمة (١٣٣) باب الكلمات القصار .

٢٠٢ - وَمِنْ كَلَامِ الزَّعَلِيِّ السَّبْتِ لَا مَرَّةَ

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ .
وَأَقْلُوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا . وَأَنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا
بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوُوداً ١ ، وَمَنَازِلَ
مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا .
وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَلَا حِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً ، وَكَأَنَّكُمْ
بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ٢ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا
مُفْظَعَاتُ الْأُمُورِ وَمُعْضَلَاتُ الْمَحْذُورِ . فَقَطَّعُوا عِلَاقَ
الدُّنْيَا ، وَاسْتَظْهَرُوا بِزَادِ التَّقْوَى ٤ .

قال الرضي رحمه الله : « وقد مضى شيء من هذا
الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الرواية » .

رواه الصدوق في (الأمالي) في المجلس الخامس والسبعين مسنداً ،

(١) العرجة - بالفهم - اسم من التعرّيج بمعنى محبس الركائب على المنزل .

(٢) الكوود : صعبة المرتقى .

(٣) ملاحظ المنية : منبعت نظرها . ودانية : قريبة ، ونشبت : علفت .

(٤) استظهروا : استعينوا .

والمفيد في (المجالس) ص ١١٦ بسنده عن الامام الباقر عليه السلام ،
كما رواه في (الارشاد) ص ١١٠ مع زيادة لم تذكر في (النهج) وزواه
الطبرسي في (المشكاة) ص ٢٧٥ كرواية المفيد ، وبين هذه الروايات
اختلاف يسير من حيث الزيادة والنقصان مما يدل على ان لكل واحد منهم
طريقه ، ولعل سبب الاختلاف في رواية هذا الكلام هو أنه سلام الله عليه
كان إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرات حتى يسمع اهل
المسجد بهذا الكلام (١) .

٢٠٣ — وَمِنْ كَلَامِ الرَّعْلِيِّ السَّيِّدِ الْأَمِينِ

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة
وقد عتبا من ترك مشورتهم والاستعانة في الأمور بهما
لَقَدْ نَقِمْتُمَا يَسِيرًا ٢ وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا . أَلَا تُخْبِرَانِي
أَيُّ شَيْءٍ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ، وَأَيُّ قَسَمٍ
أَسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ، أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ .
وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ

(١) انظر المجالس للمفيد ص ١١٦ .

(٢) نقمتما اي غضبتما ليسير ، واخرتما بما يرضيكما كثير ألم تنظرا اليه .

إِربَةُ ١ ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا .
 فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا
 وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ . فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى
 رَأْيِكُمْ وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمْ ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ فَاسْتَشِيرَكُمَا
 وَإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا
 وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ ٢ فَإِنَّ
 ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمُ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلَا وَلِيَّتُهُ هُوَ مِنِّي .
 بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا فَرَّغَ
 اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ . فَلَيْسَ لَكُمَا وَاللَّهُ
 عِنْدِي وَلَا لَغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُنْبَى . أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا
 وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَاللَّهُمَّ وَإِيَّاكُمْ الصَّبْرَ .
 (ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا

(١) الاربة - بكنر - الغرض والطلبه .
 (٢) الاسوءة - هنا - التسوية بين المسلمين في العطاء .

فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ
عَلَى صَاحِبِهِ .

هذا الكلام قاله عليه السلام في حوار له جرى مع طلحة والزبير رواه قبل
الرضي ابو جعفر الاسكافي في كتاب (نقض العثمانية) على ما حكاه ابن
ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » م ٢ ص ١٧٣ .

٢٠٤ — وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام
حربهم بصفين

إِنِّي أَشْكُرُهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ
وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصُوبَ فِي
الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُدْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ .
اللَّهُمَّ أَحْقِنِ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا
وَبَيْنَهُمْ ، وَأَهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مِنْ
جَهْلِهِ وَيَرْعَوِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مِنْ لَهْجِ بِهِ ١ .

سمع امير المؤمنين عليه السلام حजर بن عدي وعمر بن الحمق الخزاعي

(١) الارعواء : النزوع عن النقي ، والرجوع عن الخطأ ، ولهج به : اولع به .

يشتمان اهل الشام فدعاها ونهاها عن ذلك فقالا : يا امير المؤمنين السنا محقين ؟ قال : بلى ، قالا : اوليسوا مبطلين ؟ قال : بلى ، قالا فلم منعنا من شتمهم ؟ قال : اني اكره ان تكونوا سبابين ... الكلام .

روى ذلك قبل الرضي وبعده جماعة من اهل النقل كأبي حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) : ص ١٥٥ ، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ١٠٣ ، وابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م ١ ص ٢٨٠ ، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) : ص ١٥٤ .

٢٠٥ — وقال عليه السلام

في بعض أيام صفين

وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب
أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهْدِنِي ، فَإِنِّي أَنَفْسُ
بِهَازِنٍ ١ (يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَى
الْمَوْتِ لَشَلًّا يَنْقَطِعُ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ (وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ مِنْ
أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ) .

قد روى الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ٣٤ في حوادث سنة ٣٧ عن
امير المؤمنين عليه السلام ما هو بمعنى هذا الكلام وهو قوله سلام الله عليه :

(١) املكوا : اي امسكوه واحبسوه بشدة ، ويهدي يقوض اركان قوتي وانفس : اضعن
اي احرص عليهما .

« إن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد ﷺ من هذه الامة » ولكن في غير الموطن الذي ذكره الرضي فيظهر من ذلك انه عليه السلام قاله غير مرة .

اما كلمة (املكوا) التي قال عنها الرضي . « انها من اعلى الكلام وافصحها » فانها مروية عن امير المؤمنين عليه السلام في غير « نهج البلاغة » ففي « تاريخ الطبري » ج ٥ ص ١٩٦ حوادث سنة ٣٦ ان امير المؤمنين عليه السلام استهل احدى خطبه بقوله « ايها الناس ، املكوا انفسكم » كما انها مرددة في كلامه ففي عهده للأشتر « املك هواك » وفيه ايضاً « املك حمية انفك^(١) » وفي كتابه إلى ابي موسى الاشعري « واملك امرك^(٢) » .

ولابن ابي الحديد تعليق لطيف على قوله عليه السلام « لثلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ » انقله هنا لتعلقه بالموضوع ، قال :

« فان قلت : يجوز ان يقال للحسن والحسين وولدهما : ابناء رسول الله ، وولد رسول الله ، وذرية رسول الله ، ونسل رسول الله ؟

قلت : نعم ، لأن الله سماهم « ابناءه » في قوله تعالى : (قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم)^(٣) وإنما عن الحسن والحسين .

وسمى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم في قوله : (ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله :) (ويحيى وعيسى)^(٤) .

ولم يختلف اهل اللغة ان ولد البنات من نسل الرجل .

فان قلت : فما نصنع بقوله تعالى : (ما كان محمد ابنا احد من رجالكم)^(٥) قلت : اسألك عن ابوته لابراهيم بن مارية فكما تجيب عن

(١) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٠٩ .

(٢) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٢٤ .

(٣) سورة ال عمران : ٦١ .

(٤) الانعام : ٨٤ .

(٥) الاحزاب : ٤٠ .

ذلك فهو جوالي عن الحسن والحسين عليهما السلام .
والجواب الشامل للجميع انه عن زيد بن حارثة لأن العرب كانت
تقول : « زيد بن محمد » على عادتهم في تبني العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ،
ونهى عن سنة الجاهلية (١) .

٢٠٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لما اضطرب عليه اصحابه في أمر الحكومة
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ
حَتَّى نَهَيْتُكُمْ الْحَرْبَ ٢ ، وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ
وَتَرَكْتُ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنَّهُكَ .
لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا .
وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًا . وَقَدْ أَحْبَبْتُمْ
الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ .

قال امير المؤمنين سلام الله عليه هذا الكلام لأصحابه لما رفع عمرو بن
ابن العاص ومن معه المصاحف على وجه المكيدة حين أحسَّ بالعطب وعلو
كلمة اهل الحق ، والزموه عليه السلام بوضع أوزار الحرب ، وكف الأيدي

(١) شرح نهج البلاغة م ٣ : ص ٩ .
(٢) نهكتهم : أضغقتهم .

عن القتال ، وكانوا في ذلك على أقسام : فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف ، وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة ، بل حقاً ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب ، فرأى أن الاستسلام للحجة أولى من الاصرار على الحرب .

ومنهم من كان قد مل الحرب ، وآثر السلم ، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليها .

ومنهم من كان يبغض علياً عليه السلام بباطنه ويطيعه بظاهره ، كما يطيع الكثير من الناس السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه ، فلما وجدوا طريقاً إلى خذلانه وترك نصرته ، أسرعوا نحوها ، فاجتمع جمهور عسكره عليه ، وطالبوا بالكف وترك القتال ، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة ، وقال لهم : إنها حيلة وخديعة ، ولإني أعرف بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب قرآن ولا دين ، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً فعرفت منهم الاعراض عن الدين ، والركون إلى الدنيا ، فلا تراعوا برفع المصاحف ، وصمموا على الحرب ، وقد ملكتموهم فلم يبق منهم الاحشاشة ضعيفة ، وذماء قليل^(١) فأبوا عليه ، وألحوا وأصروا على القعود والخذلان ، وأمروه بالانفاذ إلى المحاربين من اصحابه وعليهم الاشر ان يأمرهم بالرجوع ، وتهددوه ان لم يفعل باسلامه إلى معاوية ، فأرسل إلى الاشر يأمره بالرجوع وترك الحرب ، فأبى عليه فقال : كيف ارجع وقد لاحت لإمارات الظفر ؟ فقولوا له : ليمهلني ساعة واحدة ، ولم يكن عكس صورة الحال كيف قد وقعت . فلما عاد إليه الرسول بذلك ، غضبوا ونفروا وشغبوا ، وقالوا : أنفذت إلى الاشر سرّاً وباطناً تأمره بالتصميم ، وتنهاه عن الكف ، وان لم

(١) الذماء : بقية الروح في المقتول .

تعبه الساعة والا قتلناك كما قتلنا عثمان ، فرجعت الرسل إلى الاشر ، فقالوا له : اتحب ان تظفر بمكانك ، وامير المؤمنين قد سلت عليه خمسون الف سيف ، فقال : ما الخبر ؟ قالوا : ان الجيش بأسره قد احدث به ، وهو قاعد بينهم على الارض تحت نطع ، وهو مطرق والبارقة تلمع على رأسه^(١) يقولون : لئن لم تعد الاشر قتلناك : قال : ويحكم ! فما سبب ذلك ؟ قالوا : رفع المصاحف ، قال : والله لقد ظننت حين رأيتهما رفعت انها ستوقع فرقة وفتنة ، ثم كرّ راجعاً على عقبيه ، فوجد امير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر وقد رده اصحابه بين امرين : اما ان يسلموه إلى معاوية او يقتلوه ، ولا ناصر له منهم الا ولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة ، فلما رأهم الاشر سبهم وشتهم ، وقال : ويحكم ! ابعد الظفر والنصر صبّ عليكم الخلدان والفرقة ! يا ضعاف الاحلام ! يا أشباه النساء ! يا سفهاء العقول فشتموه وسبوه ونهروه ، وقالوا : المصاحف المصاحف ! والرجوع اليها ، لا نرى غير ذلك ، فاجاب امير المؤمنين الى التحكيم ، دفعاً للمحظور الاعظم بارتكاب المحظور الاضعف ، فلذلك قال : كنت اميراً فاصبحت مأموراً ، وكنت ناهياً^(٢)

اما رواية هذا الكلام قبل الرضي فرواه نصر بن مزاحم في كتساب « صفين » : ص ٤٨٤ ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » : ج ١ ص ١١٨ ، والمسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ص ٤٠٠ .

(١) البارقة : السيوف حين تلالاً .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ ص ١٠ وانظر « تاريخ الطبري » : ج ٦ ص ٢٧ حوادث سنة ٣٧ .

٢٠٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعودُه فلما رأى سعة داره قال

مَا كُنْتُ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا . أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ، وَبَلَىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ .

فَقَالَ لَهُ أَلْعَلَّاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ وَمَا لَهُ ؟ قَالَ لَبِسَ الْعِبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلِيٌّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ٢ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ . أَتَرَىٰ اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ

(١) أي تظهرها حيث تظهر والمراد وضعها مواضعها .

(٢) عدي تصغير عدو ، واستهام بك الخبيث : أي جعلك هائماً ضالاً والخبيث : الشيطان

وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ .
 قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةٍ مَلْبَسِكَ
 وَجُشُونَةٍ مَأْكَلِكَ ١ ، قَالَ :

وَيَحَكُّ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَى أُمَّةٍ
 الْعَدْلَ أَنْ يَقْدُرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعْفَةِ النَّاسِ كَيْلًا يَتَّبِعَ
 بِالْفَقِيرِ فَقْرَهُ ٢ .

الظاهر ان قول الرضي رحمه الله : العلاء بن زياد من الوهم منه رحمه
 الله أو من النساخ ، فان المعروف بين علماء الاخبار ان الذي عاده امير
 المؤمنين عليه السلام وشكى اليه اخاه عاصماً هو الربيع بن زياد الحارثي ،
 ولذا قال ابن ابي الحديد : اما العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي رحمه الله
 فلا أعرفه ، لعل غيري يعرفه (٣) ، وقال : ان الذي رويته عن الشيوخ
 ورأيت به بخط عبد الله بن الخشاب رحمه الله (٤) : ان الربيع بن زياد الحارثي
 أصابته نشابة في جبينه فكانت تنتقض عليه (٥) في كل عام فأتاه علي عليه
 السلام عائداً فقال : كيف تجدك ابا عبد الرحمن ؟ قال : أجدني يا امير
 المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه ، قال :
 وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لي الدنيا لفديته بها ، قال :

(١) جشوبة المأكّل : غلظه وخشونته ومنه قولهم : طعام مجشوب اي لا أدام له .

(٢) يقدرها هنا يشبهوا ، ويتبجح : يهيج كما يتبجح الدم بصاحبه .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٣ م ص ١٣ .

(٤) ابن الخشاب هذا من رواية الخطبة الشنشقية انظر : ج ١ ص ٣١٥ من هذا الكتاب .

(٥) تنتقض : تفسد ، والمراد يماوده الالم من اجلها .

لاجرم^(١) ليعطينك الله على قدر ذلك ، ان الله تعالى يعطي على قدر الالم ،
وعنده تضعيف كثير ، قال الربيع : يا امير المؤمنين ، الا اشكو اليك اخي
عاصم بن زياد قال : ما له ؟ قال : لبس العباء ... الى آخر ما رواه الرضي
بتفاوت ، وفي آخره : فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ،
ولبس ملاءة^(٢) .

والربيع بن زياد المذكور من الصحابة ، وهو الذي قال فيه عمر : دلوني
على رجل إذا كان في القوم اميراً فكأنه ليس بامير ، وإذا كان في القوم وليس
بامير فكأنه الامير بعينه ، قالوا : ما نعرف الا الربيع بن زياد الحارثي ،
قال : صدقتم ، وكان الربيع خيراً متواضعاً ، وهو الذي فتح بعض خراسان ،
وعمل لعمر على البحرين^(٣) ، ولما أحضر عمر عماله أحضره معهم فأقره
على عمله وصرف الباقي في قصة معروفة^(٤) وعمل لمعاوية على قطعة من
خراسان فكتب اليه زياد : ان امير المؤمنين (معاوية) كتب إلي ان تحرز
الصفراء والبيضاء وتقسم ما سوى ذلك وما اشبهه على اهل الحرب ، فقال
له الربيع : اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ثم نادى في الناس
ان اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله ان
يميته — وكان قد بلغه مقتل حجر واصحابه آنذاك فما جمع حتى مات^(٥)
اما مصادر هذا الكلام فهي :

١ — « قوت القلوب » لابي طالب المكي : ج ١ ص ٥٣١ ذكر طرفاً منه .

(١) لاجر : كلمة تورد لتحقيق الشيء .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٣ : ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ، و « اسد الغابة » : ج ٢ ص ١٦٤ .

(٤) شرح نهج البلاغة : م ١ ص ٥٩ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٣ ص ١٢ و « اسد الغابة » ج ٢ ص ١٦٤ .

- ٢ - « العقد الفريد » لابن عبد ربه المالكي : ج ١ ص ٣٢٩ .
 ٣ - « الكافي ، الأصول » للكليني ١ - ٤١٠ .
 ٤ - « ربيع الابرار » للزنجشيري في اوائل الجزء الرابع باب اللهو واللذات واللباس والزينة .
 ٥ - المفيد في (الاختصاص) ص ١٥٢ عن كتاب ابن دأب .
 ٦ - « تلبيس إبليس » لابن الجوزي : ص ١٩٤ رواه بسنده إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى .

٢٠٨ - وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر ، فقال عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا ، وَصِدْقًا وَكَذِبًا ، وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا وَعَامًّا وَخَاصًّا ، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا ، وَحِفْظًا وَوَهْمًا ٢ . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

(١) المراد بالخبر هنا الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله .
 (٢) قد تقدم معنى النسخ والمنسوخ ، والخاص والعام والمحكم والمتشابه في التعليق على الخطبة الأولى أما الوهم فقد روى بتسكين الهاء وفتحها ، فالاول من وهمت - بالفتح - أوهم إذا ذهب الوهم إلى شيء والمراد غيره ، والثاني من وهمت - بالكسر - أوهم إذا غلطت وسهوت .

وإِنَّمَا أَتَاكَ بِالحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ :
 رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ لَا
 يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ ١ ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ
 لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا
 صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى وَسَمِعَ مِنْهُ
 وَلَقِفَ عَنْهُ ٢ فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ
 الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ،
 ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ
 الضَّلَالَةِ وَالِدَّةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوهُمْ
 الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، وَأَكَلُوا
 بِهِمُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالْدُّنْيَا إِلَّا مَنْ
 عَصَمَ اللَّهُ فَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ ٣ .

(١) لَا يَتَأَثَّمُ أَي لَا يَخَافُ الْإِثْمَ ، وَلَا يَتَحَرَّجُ لَا يَخْشَى الْوُقُوعَ فِي الْحَرَجِ وَهُوَ الْجُرْمُ .

(٢) تَنَاوَلَ وَاخْذَ عَنْهُ .

(٣) فَهُوَ أَي مَنِ عَصَمَ اللَّهُ أَحَدَ الْأَرْبَعَةِ وَهُوَ خَيْرُهُمْ أَي الرَّابِعُ .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى
وَجْهِهِ فَوَهَمَ فِيهِ ١ وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ
وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ
فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ .

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ شَيْئًا يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ
سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ
الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ
لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ
مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَأَخْرَ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ،
مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيمًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهْمُ ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى

(١) وهم : غلط و اخطا .

وَجْهَهُ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ ١ ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنِ اللَّهِ بِهِ وَلَا مَا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ . وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِيءُ فَيَسْأَلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا . وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ . فَهَذِهِ وَجُوهٌ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

(١) جنب : تجنب .

ورد هذا الكلام في كثير من الكتب المتقدمة على « نهج البلاغة » ومنها :

- ١ - « الكافي » للكليني ج ٢ ص ٦٢ رواه مسنداً .
 - ٢ - « تحف العقول » للحراني : ص ١٣٦ رواه مرسلأ .
 - ٣ - « الخصال » للصدوق : ج ١ ص ٣٣٣ رواه مسنداً .
 - ٤ - « الامتاع والمؤانسة » للتوحيد ج ٣ ص ١٩٧ .
 - ٥ - « الغيبة » للنعماني : ص ٢٦ .
 - ٦ - « المسترشد » للطبري : ص ٣٠ .
- وبعده :

- ٧ - « التذكرة » للسبط : ص ١٤٢ باسناده عن الشعبي .
- ٨ - « الاحتجاج » للطبرسي : ج ١ ص ٢٩٣ .
- ٩ - « الاستنصار » للكراجكي : ص ١٠ رواه مسنداً .
- ١٠ - « الاربعين » للشيخ البهائي : ص ٩٨ .

٢٠٩ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَانَ مِنْ أَقْتِدَارِ جَبْرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنَعَتِهِ أَنْ
جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّائِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً
جَامِداً ١ . ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً ٢ فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ

- (١) زخر البحر : طما وارتفع ، والمتراكم : المجتمع بعضه على بعض ، والقصف : الصوت الشديد كأنه الرعد . واليبس - بالتحريك - المكان كان رطباً فيبس .
- (٢) فطر : خلق ، أطباقاً : طبقات مختلفة في تركيبها ، الا أنها كانت رتقاً اي متصل بعضها ببعض ثم فتق منها سبعاً وهي السموات ، فاستمسكت بأمر الله تعالى ، والضمير في حده يعود للأمر الإلهي ، قال الشيخ محمد عبده : وليس المراد من البحر هذا الذي نعرفه ولكن مادة الاجرام قبل تكاثفها فانما كانت مائرة مائجة اشبه بالبحر بل هي البحر الاعظم .

بَعْدَ ارْتِاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ .
وَأَرَسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُشْعَنْجَرُ وَالْقَمَقَامُ
الْمُسَخَّرُ . قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذَعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ
الْجَارِيُّ مِنْهُ لِحَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَنَشُوزَ مُتُونِهَا
وَأَطْوَادَهَا . فَأَرَسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا ٢ . وَأَلَزَمَهَا قَرَارَتَهَا
فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ .
فَأَنْنَهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا ٣ ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ
أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا . فَاشْتَقَ قِلَالُهَا ، وَأَطَالَ
أَنْشَاظَهَا . وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرَزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً
فَسَكَنْتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِيهَا أَوْ تَسِيخَ

(١) الاخضر : البحر ، سمته العرب بذلك لانه يصف لون السماء فيرى وكأنه اخضر
والمشعنجر : السائل مطلقاً من ماء ودمع ودم ، والقمام - بفتح القاف - البحر ايضاً وحمله
للارض كناية عن احاطته بها وهو مسخر لقدرة الله سبحانه .

(٢) جبل : خلق ، والجلاميد : الصخور الصلبة ، والنشوز جمع نشز - بفتحين أو
بفتح فسكون - ما ارتفع من الارض ، والمتون جمع من ما صلب منها والاطواد جمع طود :
وهو الجبل ، وارساها اثبتها .

(٣) انهد : اعلا ، ومنه الانهد إذا شرف نهدها وكعب .

(٤) اساخ قواعدها : اي غيب قواعد الجبال في بطون الارض وادخلها والانصاب جمع
نصب - بضمين - ما جعل علماً واشتهق جملها شاهقة اي عالية والقلال جمع قلة وهي رأس الجبل
(٥) واطال انشاها جمع نشز وقد مر معناه قريباً ، و ارز : ثبت ،

بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا
بَعْدَ مَوْجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَانِهَا .
فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً ١ ، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرِ
لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي . تُكَرِّرُهُ
الرِّيَّاحُ أَلْعَوَاصِفُ ٢ . وَتَمُخِّضُهُ أَلْغَمَامُ الدَّوَارِفُ ٣ « إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ٤ » .

نبه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في كتابه (مؤلفوا
الشيعة في صدر الإسلام) بما ورد في هذه الخطبة من قوله عليه السلام :
« فسكنت على حركتهما ان تميد بأهلها » وبقوله سلام الله عليه في الخطبة
(٨٩) : « وعدل حركاتها بالراسيات من جلا ميدها » (٤) إلى ان علياً
صلوات الله عليه اول مكتشف لحركة الارض .

اما مصادر هذه الخطبة فرواها الزمخشري في الجزء الاول من (ربيع
الابرار) في باب السماء والكواكب باختلاف يسير جداً نستظهر منه انه لم
ينقلها عن « نهج البلاغة » .

وفي « النهاية الاثرية : ج ١ ص ٢٧ » مادة (ازر) قال : ومنه كلامه
(علي عليه السلام) : « جعل الجبال للارض عماداً ، وأزر فيها اوتاداً »

(١) المهاد : الفراش .

(٢) تكرر الرّيح : تذهب به وتعود .

(٣) طه : ٢٦ .

(٤) نهج البلاغة : ج ١ ص ١٧٤ .

قال: اي أثبتها فهي من ازرت الشجرة تأزر ، إذا ثبتت في الارض ، وإن كانت مشددة فهي من ارزت الجراة إذا ادخلت ذنبها في الارض لتلقي بيضها . ورواه في مادة (ارز) ايضاً .

وهذا الاختلاف في الرواية بين « النهج » و « النهاية » يدل على ان ابن الاثير نقلها من مصدر آخر خصوصاً بعد ملاحظة ان رواية الرضي (جعلها للارض عماداً) ورواية ابن الاثير « جعل الجبال » .

٢١٠ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَللّٰهُمَّ اَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ
غَيْرَ الْجَائِرَةِ ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ
فَأَبَىٰ بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا الْنُكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ
عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ
شَهَادَةً ١ . وَنَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ
وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَالْآخِذُ
لَهُ بِذَنْبِهِ .

سننوه عنها في كلمة الختام والله المسدد للصواب .

(١) اكبر الشاهدين شهادة هو الله جل وعلا لقوله سبحانه (قل اي شي ء اكبر شهادة قل الله ، الانعام : ١٩) .

٢١١ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبِّهِ الْمَخْلُوقِينَ ١ ، الْغَالِبِ
لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ . الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ ،
الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ . الْعَالِمِ بِلَا
اِكْتِسَابٍ وَلَا اَزْدِيَادٍ وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، الْمُقَدَّرِ لَجَمِيعِ
الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ . الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلُمُ وَلَا
يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ ٢ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ
نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ وَلَا عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ ٣ .
(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَرْسَلَهُ
بِالضِّيَاءِ ، وَقَدَّمَهُ فِي الْأَصْطِفَاءِ فَرَّتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ ٤ ،
وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ
الْحُزُونََةَ ٥ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .
سنشير إليها في كلمة الختام إن شاء الله .

(١) شبه - بالتحريك - مشابهة .

(٢) يرهقه : يفضاه .

(٣) لأن الإدراك بالبصر يستدعي المقابلة ، والعلم بالإخبار يستدعي سبقه بالجهل .

(٤) الرتق : سد الفتق ، والمفاتق جمع فتق ، والمراد بالمفاتق ، فساد الأحوال وتردي

الأوضاع .

(٥) ساور : غالب ، والحزونة : ما عر من الأرض .

٢١٢ - فَمَنْ خُطِبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدْلٌ وَحَكَمٌ فَصَل . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَرَقْتَيْنِ ١ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا . لَمْ يُسْهِمُ فِيهِ عَاوِرٌ وَلَا ضَرْبٌ فِيهِ فَاجِرٌ ٢ .

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا . وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ : وَلِلطَّاعَةِ عَصَمًا ٣ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ : وَشَفَاءٌ لِمُسْتَفٍ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمُهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيَفَجِّرُونَ عِيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْأَوْلَايَةِ ، وَيَتَلَاقُونَ بِالْمَحَبَةِ . وَيَتَسَاقُونَ بِكَاسِ رُؤْيَاهِ ٥ . وَيَصْدُرُونَ

(١) نسخ الخلق : نقلهم بالتناسل عن اصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الاصول فرقاً .

(٢) العاوِر من يأتي غير حله كالفاجر ، وضرب في الشيء صار له نصيب منه .

(٣) المعصم - بكسر ففتح - جمع عصمة وهو ما يعتصم به .

(٤) الكفء : الكافي او الكفاية .

(٥) روية اي يروي شراها ، ورية - بكسر الراء وتشديد الياء - الواحدة من الري :

زوال العطش .

بِرِّيَّةٍ . لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ . عَلَى
 ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَقَهُمْ ١ . فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ
 يَتَوَاصِلُونَ . فَكَانُوا كَتَفَاضِلِ الْبَذْرِ يُنْتَقَى ، فَيُؤْخَذُ
 مِنْهُ وَيُلْقَى ٢ . قَدْ مِيزَهُ التَّخْلِيسُ ، وَهَذَبَهُ التَّمْحِيسُ ٣ .
 فَلْيَقْبَلْ أَمْرُ كَرَامَةٍ بِقَبُولِهَا ٤ . وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ
 حُلُولِهَا ٥ . وَلْيَنْظُرْ أَمْرُ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ
 فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا . فَلْيَصْنَعْ لِمَتَحَوَّلِهِ
 وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ ٦ . فَطُوبَى لِمَنْ لَدَى قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ
 يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ السَّلَامَةِ
 بِبَصَرٍ مِنْ بَصَرِهِ وَطَاعَةَ هَادٍ أَمْرِهِ . وَبَادَرَ الْهُدَى قَبْلَ أَنْ
 تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَتُقَطَعَ أَسْبَابُهُ . وَاسْتَفْتَحَ التَّوْبَةَ وَأَمَاطَ
 الْحَوْبَةَ . فَقَدْ أَقِيمَ عَلَى الطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ السَّبِيلِ

-
- (١) لَا تَشُوبُهُمْ : لَا تَخَالطُهُمْ ، وَلَا تُسْرِعْ فِيهِمُ النِّيبَةُ بِالْإِنْسَادِ لَا مَتَاعَ مِنْهَا وَعَقْدَ
 خَلْقِهِمْ وَخَلْقَهُمْ وَصَلَّهُمَا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مَعْقُودَانِ بِهَا .
 (٢) التَّهْذِيبُ : التَّنْقِيَةُ ، وَالتَّمْحِيسُ : الْإِخْتِبَارُ .
 (٣) الْكَرَامَةُ - هُنَا - : النَّصِيحَةُ ، وَالْقَارِعَةُ : الدَّاهِيَةُ وَالْمَرَادُ بِهَا الْمَوْتُ أَوْ الْقِيَامَةُ .
 (٤) الْمَتَحَوَّلُ - يَفْتَحُ الْوَارِثُ وَتَشْدِيدُهَا - مَا يَتَحَوَّلُ إِلَيْهِ ، وَمَعَارِفُ الْمُنْتَقَلِ : الْمَوَاضِعُ
 الَّتِي يَعْرِفُ الْإِنْتِقَالَ إِلَيْهَا .
 (٥) أَيِ بِاسْتِثْنَائِهِ بَارِشَادٍ مِنْ أَرَشَدِهِ .

قال ابن ابي الحديد : « الضمير في انه يرجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة ولم يذكره الرضي رحمه الله . » قال : « ونسب العدل والفصل على طريق المجاز وهو بالحقيقة منسوب إلى ذي القضاء وهو الله تعالى » (١) .

وفي قوله هذا ما يشعر على انه اطلع على صدر الخطبة الذي لم يذكره الرضي رحمه الله .

وروى الآمدي بعض هذه الخطبة بما يتضح معه ان روايته عن غير (النهج) مثل : « طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه ، وتجنب غاويّاً يرديه » وليس في رواية الرضي « ناصحاً » و « غاويّاً » كما ليس في رواية الآمدي « لذي قلب سليم » .

٢١٣ - وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرًا

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتًا وَلَا سَقِيمًا ،
وَلَا مَضْرُوبًا عَلَى عُرْوَتِي بِسُوءٍ ، وَلَا مَأْخُوذًا بِأَسْوَأِ
عَمَلِي ، وَلَا مَقْطُوعًا دَابِرِي ، وَلَا مُرْتَدًّا عَنْ دِينِي ،
وَلَا مُنْكَرًا لِرَبِّي ، وَلَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ إِيْمَانِي ، وَلَا
مُلْتَبِسًا عَقْلِي ، وَلَا مُعَذَّبًا بِعَذَابِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي .

(١) شرح النهج ٣ : ص ٢٢ .

(٢) ميتاً منصوب على الحال ولا يجوز ان تكون خبراً ليصبح لأن فاعل الاصباح هو الله تعالى فهي هنا تامة .

أَصْبَحْتُ عَبْدًا مَمْلُوكًا ظَالِمًا لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي . لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أَضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ اللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي .
اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نَفْتِنَ عَنْ دِينِكَ . أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

هذا الدعاء رواه السيد ابن باقي (٢) في (الاختيار) (٣) كما في (نهج البلاغة) إلا الجملة الأخيرة فإنه رواها كما هو آت : « اللهم اجعل أول كريمة ترتجعها من ودائعك » وزاد على ما رواه الرضي هذه الفقرات :

(١) التتابع - هنا - التهافت في اللجاج والشر .

(٢) هو السيد علي بن الحسين بن حسان بن باقي القرشي المعروف بابن باقي من اعظم العلماء ، وفي نهاية الفضل والكمال ، من معاصري المحقق الحلي وكتابه (الاختيار) اختار أكثره من (مصباح المتعبد) للطوسي وينقل عنه الكفعمي في (المصباح) كثيرًا ، وكتاب ابن باقي هذا يعرف بـ (الاختيار) تارة و (المصباح) أخرى ، و بـ (دعوات السيد ابن باقي) مرة .

(٣) انظر (بحار الانوار) ج ٩٤ ص ٢٢٦ .

« اللهم إنا نعوذ بك ان نذهب عن قولك ، او نفتن عن دينك ، او نتابع بنا هواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك وصلى الله على محمد وآله » (١) .
وسياقي عند الكلام على مصادر دعائه عليه السلام « اللهم صن وجهي باليسار نقل الحملة الاخيرة من هذا الدعاء .

٢١٤ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بصفين

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ،
وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ . فَالْحَقُّ
أَوْسَعُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ ٢ ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ .
لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا
جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ
لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى
عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ .
وَلَكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ

(١) انظر (بحار الانوار) ج ٩٤ ص ٢٢٦ .

(٢) يتسع القول في وصفه باللسان حتى إذا وجب على الواصف شيء منه تضايق في أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها .

عَلَيْهِ مُضَاعَفَةٌ الثَّوَابِ تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنْ
 الْمَزِيدِ أَهْلُهُ . ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا
 افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي
 وُجُوهِهَا ١ وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا
 إِلَّا بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ
 حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي . فَرِيضَةٌ
 فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا
 لِأُفْتِنِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ . فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا
 بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ
 فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا
 حَقَّهَا ، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ ،
 وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ ٢
 فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ ،
 وَيَثَبَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَا ،

(١) تتكاافأ وجوهها تتساوى .

(٢) اذلالها - بفتح الهمزة - : اي على مجاريها وطرقها .

وَأَجْحَفَ الْوَالِي بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ ،
وَزَهَرَتْ مَعَالِسُ الْجَوْرِ ، وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ
وَتَرَكْتَ مَحَاجَّ السُّنَنِ ١ . فَعَمِلَ بِالْهَوَى ، وَعَظَّمْتَ
الْأَحْكَامَ ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ
لِعَظِيمٍ حَقٌّ عُظِّلَ ٢ . وَلَا لِعَظِيمٍ بَاطِلٌ فُعِلَ . فَهُنَالِكَ
تَذِلُّ الْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ عِنْدَ
الْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ
عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنْ أَشَدَّ عَلَى رِضَاءِ اللَّهِ حِرْصُهُ
وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنْ
الطَّاعَةِ لَهُ . وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ
النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهِدِهِمْ ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ
بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ أَمْرٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ،
وَتَقَدَّمَ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا
حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلَا أَمْرٌ وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ

(١) أجحف برعيته : ظلمهم ، والإدغال : الفساد . ومحاج جمع محجة وهي الجادة .
(٢) علل النفوس : تعللها بالباطل . ولا يستوحش لم يجد أحد وحشة لتعطيل الحقوق لتعود
الناس على ذلك .

وَأَقْتَحَمْتُهُ الْعُيُونُ ١ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

(فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَلِكَ كُلِّ مَا سِوَاهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظَمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا أَزْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنْ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبَرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالٌ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أَحَبُّ الْإِطْرَاءِ وَاسْتِمَاعِ الثَّنَاءِ ٢ . وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أَحَبُّ

(١) اقتحمت العيون : احترقته وازدرته .

(٢) جال في ظنكم : أي خطر في ظنكم .

أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ لَتَرْكُنْتُهُ أَنْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ
مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعِظَمَةِ وَالْكَبَرِيَاءِ ، وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى
النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ ١ . فَلَا تُشْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ
لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ
لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا ٢ ، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ،
فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةَ ، وَلَا تَحْفَظُوا
مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ ، وَلَا تُخَالِطُونِي
بِالْمُصَانَعَةِ ٣ . وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقِّ قِيلَ لِي
وَلَا اَلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي . فَإِنَّهُ مَنْ اسْتِثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ
يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا
أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلَا تَكْفُؤُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ ، أَوْ مَشُورَةٍ
بِعَدْلِ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ ، وَلَا
أَمَنْ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَنِي اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ

(١) البلاء اجتهاد النفس في إحسان العمل .

(٢) التقية : الخوف والمراد لازمه ، والمعنى إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في أداء
حق من الحقوق فلا تشنوا علي بذلك فأنما وقيت نفسي وعملت لسعادتي .

(٣) التحفظ : الاحتراز ، البادرة : الحدة ، والمصانعة : المداواة .

أَمْلِكُ بِهِ ١ مَنِّي . فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدُ مَمْلُوكُونَ لِرَبِّ
لَا رَبَّ غَيْرُهُ . يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ،
وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبَدَلْنَا بَعْدَ
الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى .

الخطبة هذه رواها قبل الرضي الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٥٢
عن علي بن الحسن المؤدب واحمد بن محمد بسنديهما عن ابي جعفر عليه
السلام قال خطب امير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله واثنى
عليه ، وصلى على محمد النبي ﷺ ثم قال : « اما بعد فقد جعل الله لي
حقاً ... » الخطبة بزيادة فقرات وابدال بعض الالفاظ بما يرادفها ، كما نقل
جواب ذلك الرجل وهو : « انت اميرنا ونحن رعيته ، بك اخرجنا الله
عز وجل من الدل ، وباعزازك اطلق عباده من الغل فاختر علينا ، وامض
اختيارك ، واثمر فامض ائتمارك ، فانك القائل المصدق ، والحاكم الموفق ،
والملك المخول ، لا نستحل في شيء معصيتك ، ولا نفيس علماً بعلمك ،
يعظم عندنا في ذلك خطرك ، ويحل عنه في انفسنا فضلك » .

فاجابه امير المؤمنين عليه السلام فقال : « ان من حق من عظم جلال الله
في نفسه » . إلى آخر ما ذكره الرضي رحمه الله وبعده ؛ فأجابه الرجل الذي
اجابه من قبل فقال : انت اهل ما قلت ، والله فوق ما قلت ، فبلاؤه عندنا
ما لا يذكر وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا ، وولاك سياسة امورنا ،
فاصبحت علمنا الذي نهتدي به ، وامامنا الذي نفتدي به ، وامرك كله

(١) املك : اي اشد ملكاً له مني .

رشد ، وقولك كله ادب ، قد قرت فيك في الحياة أعيننا ، وامتلأت من السرور بك قلوبنا ، وتحيرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا ولسنا نقول لك : ايها الامام الصالح تزكية لك ، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك ، ولم يكن في انفسنا طعن على يقينك ، أو غش في دينك فنتخوف ان تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبراً ، او دخلك كبر ، ولكننا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله عز وجل بتوقيرك ، وتوسعاً بتفضيلك ، وشكراً باعظام امرئ ، فانظر لنفسك ولنا ، وآثر امر الله على نفسك وعلينا ، فنحن طوع فيما أمرتنا ، فنقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا .

فأجابه امير المؤمنين عليه السلام فقال :

« وانا استشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وليت به من اموركم ، وعما قليل يجمعي واياكم الموقف بين يديه ، والسؤال عما كنا فيه ، ثم يشهد بعضنا على بعض ، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما اثم شاهدون غداً فان الله عز وجل لا يخفى عليه خافية ، ولا يجوز عنده الا مناصحة الصدور في جميع الامور » .

ثم ذكر ان ذلك الرجل اجاب امير المؤمنين عليه السلام ايضاً فقال والبكاء يقطع منطقه ، « يا رباني العباد ، ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك ؟ واين يبلغ وصفنا من فعلك ؟ واني نبلغ حقيقة حسن ثنائك ، أو نحصي جميل بلاءك ؟ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك ، اتصلت اسباب الخير الينا ، لم تكن لذل الدليل ملاذاً ، وللعصاة الكفار حرباً فبمن الآ بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عز وجل من فظاعة تلك الخطرات ؟ أو بمن فرج عنا غمرات الكربات ؟ وبمن إلأ بكم اظهر الله معالم ديننا ، واصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا وقرت من

رخاء العيش اعيننا أوليتنا بالاحسان جهلك ، ووفيت لنا بجميع وعدك ،
 وقمت لنا على جميع عهدك ، فكنت شاهد من غاب منا ، وخلف اهل
 البيت لنا ، وكنت عز ضعفائنا ، وتمال فقراءنا ، وعماد عظمائنا يجمعنا في
 الامور عدلك ، ويتسع لنا في الحق تأنيك ، فكنت لنا إنساً اذا رأيته
 وسكناً اذا ذكرناك ، فأبي الخيرات لم تفعل ؟ واي الصالحات لم تعمل ؟
 ولولا ان الامر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحويله جهلنا ، وتقوى لمدافعته
 طاقنا ، او يجوز الفداء عنك منه بانفسنا وبمن نفديه بالنفوس من ابناؤنا
 لقدمنا انفسنا وابناؤنا قبلك ، ولا اخطرناها وقلل خطرنا دونك ، ولقمنا
 بجهلنا في محاولة من حاولك ، وفي مدافعة من ناواك ولكنه سلطان لا
 يحاول ، وعز لا يزول ورب لا يغالب ، فان يمين علينا بعافيتك ، ويترحم
 علينا ببقاءك ويتحنن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا ، وبقاء
 منك بين اظهرنا نحدث لله عز وجل بذلك شكراً نعظمه ، وذكرآ نديمه ،
 ونقسم انصاف اموالنا صدقات ، ورقيقنا عتقاء ، ونحدث له تواضعاً
 في انفسنا ، ونخشع في جميع امورنا ، وان يرض بك الى الجنان ويجري
 عليك حتم سبيله فغير متهم فيك قضاؤه ، ولا مدفوع عنك بلاؤه ، ولا
 مختلفة مع ذلك قلوبنا ، بان اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ، ولكننا
 نبكي من غير اثم لعز هذا السلطان ان يعود ذليلاً ، وللدن والدنيا اكيلاً ،
 فلا نرى لك خلفاً نشكو اليه ، ولا نظيراً نأمله .

٢١٥ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا

(١) يقال : استعديت الأمير على فلان فاعداني أي استمنت به عليه فأعداني .

رَحِمِي ، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا
 كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ
 تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُومًا أَوْ مِتْ
 مُتَأَسِّفًا ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا
 مُسَاعِدٌ إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ
 فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَدَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ،
 وَصَبَرْتُ مِنْ كَظَمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْعَلَقَمِ ، وَآلَمَ
 لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشُّفَارِ ٢ .

قال الرضي رحمه الله : وقد مضى هذا الكلام في اثناء
 خطبة مقدمة الا اني كررته ههنا لاختلاف الروايتين .

قد تقدم القول في مصادر هذا الكلام برقم (٢٦) خطب ، وذكرنا
 هناك انه من جملة كتاب كتبه عليه السلام وامر ان يقرأ على اصحابه
 ونضيف هنا ان الكليني رواه في كتاب (الرسائل) على ما حكاه السيد ابن
 طاووس في (كشف المحجة لثمرة المهجة) . ويحتمل انه عليه السلام قال
 هذا الكلام اكثر من مرة . وانظر ص ٤١٣ من الجزء الثاني من هذا الكتاب

(١) الرافد : المعين ، والذاب : المدافع .

(٢) الحز : القطع ، والشفار جمع شفرة : حد السيف والسكين .

٢١٦ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَايِ وَخُزَانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ . وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةً عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ .

مصادر هذا الكلام هي مصادر الكلام السابق لانه فصل من الكتاب الذي كتبه عليه السلام وامر ان يقرأ على الناس (٢) ولذا تراه في بعض النسخ متصل به بلا عنوان فاصل .

٢١٧ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلاان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا . أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتَلَتْ تَحْتَ بَطُونٍ

(١) عضوا على اسيافهم كناية عن الصبر في الحرب وترك الاستسلام .

(٢) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٣٩٠ .

أَلَكُوا كِبَ . أَذْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ۚ وَأَفْلَتَنِي
أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ لَمْ
يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِّصُوا دُونَهُ ۚ .

طلحة بن عبيد الله التيمي أشهر من أن يذكر ، وعبد الرحمن بن عتاب بن
أسيد بن أبي العيص بن عبد شمس ليس بصحابي ولكنه من التابعين ،
وابوه من مسلمة الفتح ، واستعمله رسول الله ﷺ على حنين فبقي عليها
أيام أبي بكر ومات هو وأبو بكر في يوم واحد ، وقتل عبد الرحمن فيمن
قتل من أصحاب الجمل ، وقطعت كفه يومئذ ، وحملتها العقاب وقتلها
باليمامة وفيها خاتمه فعرفت ، وعلم أهل اليمامة بالموقعة .

واسيد بن أبي العيص وهو المقصود بقوله عليه السلام (من بني عبد مناف)
لأن طلحة من تيم بن مرة وليس من بني عبد مناف ويرى قوله عليه
السلام (أعيار بني جمح) بالراء لا بالنون ، فإن كانت بالنون فالمراد
رؤسائهم وساداتهم ، وإن كانت بالراء فاعيار جمع غير وهو الحمار
أخرج عليه السلام مخرج الدم لمن حضر الجمل مع عدوه من بني جمح ،
وقد كانوا جماعة قتل منهم اثنان وهما عبد الرحمن بن وهب بن أسيد ،
وعبد الله بن ربيعة بن دراج ، وهرب الباقيون ، ومن أفلت منهم ، عبد
الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف ، وكان من أشرفهم عاش حتى
قتل مع ابن الزبير بمكة ، ويحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف ،

(١) * الوتر : الثار .

(٢) أتلعوا أعناقهم رفعوها لتناول امر وهو مناوئة أمير المؤمنين عليه السلام فوقوا
دونه : أي اندقت أعناقهم يقال : وقضى الرجل إذا اندقت عنقه فهو موقوص .

عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الاشدق على مكة لما جمع له بين اماره
مكة والمدينة ، ومنهم عامر بن مسعود بن امية بن خلف ، كان يسمى
دحروجة الجمل لقصره وسواده ، عاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن
وائل ، وولاه عبد الله بن الزبير الكوفة ، ومنهم ايوب بن حبيب بن علقمة
عاش حتى قتلته الخوارج بقتلهم .

قال ابن ابى الحديد : فهو لاء الذين اعرف حضورهم الجمل مع عائشة
من بني جمح يعني من ذكرناهم (١) .

والكلام هذا رواه ابو الفرج الاصبهاني في (الاغانى) ج ٢١ ص ٢٤٦
والمبرد في (الكامل) ج ١ ص ١٢٦ وابن عبد ربه في (العقد الفريد)
ج ٢ ص ٢٧٩ والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ج ٢ ص ٥٣ ط. مصر .
وفي « النهاية الأثرية » ج ١ ص ١٩٢ قال : وفي حديث علي رضي الله
عنه : « لقد أتلعوا أعناقهم لامر ... » الخ .

٢١٨ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَى عَقْلُهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسُهُ ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ
وَلَطَفَ غَلِيظُهُ ٢ . وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ فَأَبَانَ
لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ ، وَتَدَا فَعَتُهُ الْأَبْوَابُ إِلَى
بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ ، وَثَبَّتَ رِجْلَاهُ بِطُمَائِنِينَ

(١) شرح النهج ٢ م ص ٤٢ .

(٢) دق : صغر حتى خفي او كاد ، ولطف : خف .

بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبُهُ وَأَرْضَى رِبَّهُ^١.
رواه الآمدي في (الغرر) ص ٢٣٣ كالآتي « قد أحى عقله ، وامات
شهوته واطاع ربه ، وعصى نفسه » .
وفي الاختلاف والزيادة دليل على ان مصدره غير « نهج البلاغة » .

٢١٩ - قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته (أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ)
يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدُهُ ، وَزَوْراً مَا أَغْفَلُهُ^١ ، وَخَطِراً مَا
أَفْظَعُهُ ، لَقَدْ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ ، وَتَنَاوَشُوهُمْ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ^٢ ، أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ؟ أَمْ
بِعِيدِ الْهَلَكِيِّ يَتَكَاثَرُونَ ؟ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً
خَوَتْ^٣ ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنْتَ . وَلَآنَ يَكُونُوا عِبَرًا أَحَقُّ
مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ، وَلَآنَ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذَلَّةٍ
أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ^٤ . لَقَدْ نَظَرُوا

-
- (١) المرام : الطلب ، ومراماً منصوب على التمييز ، والزور : الزائرون يطلق على الواحد والجمع .
(٢) استخلوا منهم : وجدوهم خالين ، ومدكر من الادكار وهو الاعتبار وتناوشوهم : قتلوهم .
(٣) خوت : خلت أي مضت .
(٤) الجناب : الفناء ، واحجى ، أجدر وأولى .

إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعُشْوَةِ . وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ
 جَهَالَةٍ ١ . وَلَوْ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ
 الْخَاوِيَةِ ٢ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ
 ضُلَّالًا ؛ وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا . تَطَّأُونَ فِي
 هَامِهِمْ ٣ ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا
 لَفْظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ
 وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحٌ عَلَيْكُمْ ٤ .

أُولَئِكَ سَلَفُ غَايَتِكُمْ ، وَفُرَاطُ مَنَاهِلِكُمْ ٥ الَّذِينَ
 كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوقًا ٦ .

-
- (١) العشوة : مرض في العين ينقص به الابصار - وتقدم معنى العشوة مراراً - والضرب
 هنا استعارة بمعنى الضرب وهو السير ، والمعنى ضربوا من ذكرهم في بحر من الجهل .
- (٢) الخاوية : المتهدمة المتداعية .
- (٣) الهام ، - جمع هامة - وهي الرأس وتستنبتون : تضمون الاوتاد ، وتروى :
 « تستنبتون » اي تزرعون النبات .
- (٤) بكاء الايام ونواحيها : كناية عن حفظها لما يكون من مصابهم .
- (٥) السلف : المتقدمون ، والغاية : الحد الذي ينتهي اليه ، والفراط : القوم يسبقون
 إلى المنهل ، .
- (٦) مقاوم العز : دعائمه جمع مقوم وهي في الأصل الخشبة التي يمسكها الحارث والحلبات
 جمع حلبة وهي الخيل تجمع للسباق ، والسوق - بضم السين - جمع سوقة : الرعية .

سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا ١ سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ
 فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ .
 فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنُمُونَ ،
 وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ ٢ . لَا يُفْزِعُهُمْ وَرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا
 يَحْزَنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا
 يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ ٣ . غُيْبًا لَا يَنْتَظِرُونَ ، وَشُهُودًا لَا
 يَحْضُرُونَ . وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا ، وَأُلَافًا
 فَافْتَرَقُوا ٤ . وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بَعْدِ مَحَلِّهِمْ
 عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ سَقُّوا كَأْسًا
 بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا ، وَبِالسَّمْعِ صَمَمًا ، وَبِالْحَرَكَاتِ

(١) البرزخ : الحاجز ما بين الشيتين ، والمراد به هنا ما بين الموت إلى يوم النشور .

(٢) الفجوات جمع فجوة وهي الفرجة بين الشيتين ، وضمار : كل ما لا يرجى ولا يوثق بعودته كالدين والوعد .

(٣) لا يحفلون : لا يكثرثون : والرواجف : الزلازل ، ولا يأذنون : لا يسمعون ، والقواصف : الاصوات الشديدة .

(٤) غيب جمع غائب ، وشهوداً أي أنهم شهود في الصورة وغير حاضرين في المعنى ، والالاف جمع الف كالطراق جمع طارق .

سُكُونًا ١ . فَكَأَنَّهُمْ فِي أَرْتَجَالِ الصُّفَةِ صَرَعِي سُبَات ٢ .
جِيرَانُ لَا يَتَأَنُّسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَّتُ
بَيْنَهُمْ عُرَى التَّعَارُفِ ٣ وَأَنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ الْإِخَاءِ .
فَكَلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ . وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَاءُ .
لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَّيْلِ صَبَاحًا وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً ، أَيْ الْجَدِيدِينَ
ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَدًا ٤ . شَاهَدُوا مِنْ أخطَارِ
دَارِهِمْ أَفْطَحَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا
قَدَرُوا . فَكَلَّمْنَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءة ٥ فَاتَتْ
مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ . فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُوا ٦
بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَشِنَ عَمِيَّتْ آثَارُهُمْ
وَأَنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ . لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعَبْرِ ،

(١) اي لم تعم اخبارهم ولم تصم ديارهم اي لم يسمع منها صوت لطول مدة او بعد منزل ولكنهم سقوا كأس المنون فاخبرستهم بعد النطق ، واصمتهم بعد السمع ، واسكتتهم بعد الحركة .

(٢) اي اذا وصفهم الواصف مرتجلا غير مترو في الصفة ، ولا متبهي للقول كأنهم صرعى سبات ، اي نوم لأنه لا فرق في الصورة بين الميت في حال موته وبين النائم المسبوت .

(٣) بلييت : رثت ، والعري جمع عروة وهي مقبض الدلو والكوز وما شابهها .

(٤) الجديدان الليل والنهار ، وسرمد : دائم .

(٥) الغايتان : هما الاخطار المفظمة ، والآيات المقدرة مدت اي اتصلت إلى مباءة اي منزل والمراد بذلك مباءة السعادة والشقاء وهما الجنة والنار .

(٦) عيوا : عجزوا .

وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ
الْنُّطْقِ . فَقَالُوا كَلَحَتْ أَلْوَجُوهُ النَّوَاضِرُ وَخَوَتْ الْأَجْسَادُ
النَّوَاعِمُ . وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى ١ . وَتَكَاءَ دَنَا ضَيْقُ
الْمَضْجِعِ . وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ . وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ
الصُّمُوتُ ٢ فَاَنْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ
صُورِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا . وَلَمْ نَجِدْ
مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا مِنْ ضَيْقٍ مُتَسَعًا . فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ
بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغَطَاءِ لَكَ وَقَدْ أَرْتَسَخْتَ
أَسْمَاعُهُمْ بِالْهُوَامِ ٣ فَاسْتَكَّتْ ٣ ، وَاکْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ
بِالْتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتْ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ
بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا ، وَهَمَدَتْ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ
يَقْظَتِهَا . وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلَى سَمَجْهَاءَ ،
وَسَهْلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ،

(١) كَلَحَتْ : كَثُرَتْ فِي عُبُوسٍ ، وَخَوَتْ : خَلَتْ مِنَ الرُّوحِ أَوْ الْمَرَادِ خَوَتْ تَهَدَّتْ
وَالنَّوَاعِمُ : النَّوَاضِرُ ، وَالْأَهْدَامُ جَمْعُ هَدَمٍ وَهُوَ الثُّوبُ الْبَالِي .

(٢) تَكَأَدْنَا : شَقَّ عَلَيْنَا ، وَتَهَكَّمَتْ : تَهَدَّتْ ، وَالرُّبُوعُ الصُّمُوتُ : الْقُبُورُ .

(٣) أَرْتَسَخْتَ مِنْ رَسْخِ الْغَدِيرِ إِذَا نَشَ مَائُهُ وَنَقَبَ ، فَكَأَنَّ مَادَّةَ السَّمْعِ قَدْ نَفِثَتْ لِأَكْلِ
الْهُوَامِ آثَتَهَا .

(٤) عَاثَ : أَفْسَدَ ، وَسَمَجْهَاءَ : قَبِيحَ صُورَتِهَا .

وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ ، وَأَقْدَاءَ
 عِيُونٍ ١ . لَهُمْ فِي كُلِّ فِظَاعَةٍ صِفَةٌ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ ،
 وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي ٢ . وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزٍ جَسَدٍ
 وَأَنْبَقٍ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيٍّ تَرَفٍ ٣ وَرَبِيبٍ شَرَفٍ .
 يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ ٤ ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ
 إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنْأً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةٍ بِلَهْوِهِ
 وَلَعِبِهِ ٥ . فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي
 ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ ٦ إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ، وَنَقَضَتْ
 الْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْخُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ ٧ .
 فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيٌّ هُمْ مَا كَانَ يَجِدُهُ .

(١) لرأيت : جواب مثلثهم واشجان القلوب : همومها ، واقداء العيون : ما يسقط
 فيها فيقولها .

(٢) لا تنتقل إلى ما هو احسن ، والغمرة : الشدة .

(٣) عزيز جسد : طري الجسد ، والانباق الذي يعجب منظره ، غذي ترف اي قد غذي
 بالترف وهو التمتع المطفي ، وربيب : ربي في المزم والشرف .

(٤) يتعلل بالسرور : يتلهى به عن غيره .

(٥) ضناً اي بخلاً وحرصاً وكذلك معنى شحاحة ، والغضارة : النعيم

(٦) يضحك : كناية عن الفرح والسرور وصفاء الأمور ، وعيش غفول : لم ينتبه له
 الدهر فينفضه .

(٧) من كَثَب : من قرب .

وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عَلِيٍّ أَنْسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ ١ .
فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوْدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ
بِالْقَارِّ ٢ ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِئِ بِبَارِدٍ
إِلَّا ثَوْرَ حَرَارَةٍ ، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيْجَ بَرُودَةٍ . وَلَا
أَعْتَدَلَ بِمُمَازَجٍ لِتِلْكَ الْأَطْبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتٍ
دَائٍ ٣ حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ
بِصِفَةِ دَائِهِ ٤ ، وَخَرَسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ .
وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيٍّ خَبِيرٍ يَكْتُمُونَهُ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ
لَمَّا بِهِ ٥ ، وَمَمْنٌ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى
فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أَسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ ٦ . فَبَيْنَا هُوَ
كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الْأَحِبَّةِ ، إِذْ
عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ ٧ ،

(١) البث : الحزن ، ونجى الهم : ما ينجي الانسان ويساره ، وآنس هنا بمعنى أحس .

(٢) القار : البارد .

(٣) اعتدل - هنا - طلب الاعتدال ، وامد : استحصل ، ذات داء اي مرض .

(٤) تعايا اهله اي تماطوا السكوت إذا سئلوا عنه .

(٥) اي اختلفوا بينهم في الخبر المحزن يكتُمونه عنه . ولما به : كأنه صار ملكاً لما ألم به .

(٦) ممن لهم : اي يمنيهم عودة صحته ، والأسى جمع اسوة اي ما يتأسى به الانسان .

(٧) نوافذ الفطنة : ثوابها ، وتحيرت : تبلدت .

وَيَبْسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ
فَعِيَ عَنْ رَدِّهِ ، وَدُعَاءِ مُؤَلِّمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَ عَنْهُ
مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعْظَّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ . وَإِنَّ لِلْمَوْتِ
لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْطَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى
قُلُوبِ أَهْلِ الدُّنْيَا .

هذا الكلام هو بيت القصيد في مواعظ امير المؤمنين عليه السلام ، وعنه
يقول ابن ابي الحديد « هذا موضع المثل (هلعاً يا ظليم والا فالتخوية)
من اراد ان يعظ ويخوف ، ويقرع صفاء القلب ، ويعرف الناس قدر الدنيا
وتصرفها باهلها فليأت بمثل هذه الموعظة ، في مثل هذا الكلام الفصيح والا
فليمسك ، فان السكوت اسر ، والعِي خير من منطق يفضح صاحبه ، ومن
تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه : « والله ما سن الفصاحة
لقريش غيره » وينبغي لواجتمع فصحاء العرب قاطبة وتلي عليهم ان يسجدوا
له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع (٢) (قلم أصاب من الدواة

(١) الغمرات : الشدائد ، تستغرق بصفة اي تحيط بها الصفة ، وتعتدل : تستقيم عليها
بالقبول والادراك ، كأنها تنبو عنها ولا تصدق بها .

(٢) هو ابو داود هدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي نسبة إلى حاملة بنت وديعة
من قضاعة ، ونسبه الناس إلى الرقاع وهو جد جده لشهرته ، شاعر مشهور من شعراء بني أمية ،
خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، كان معاصراً بلرير ، مهاجياً له ، وقوله : (قلم أصاب من
الدواة مداها) عجز بيت صدره (تزجي أغن كأن ابرة روقه) من قصيدة يمدح بها الوليد بن
عبد الملك ، مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعدما شبل البلى ابلادها

مدادها) فلما قيل لهم في ذلك ، قالوا : إنا نعرف مواضع السجود في
الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن ، وإني لأطيل التعجب من
رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الاسود
والنمور وأمثالها من السباع الضارية ، ثم يخطب بذلك الموقف بعينه إذا أراد
الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان ، لا بسبي المسوح ،
الذين لم يأكلوا لحماً ، ولم يريقوا دماً ، فتارة يكون في صورة بسطام بن
قيس الشيباني ^(١) ، وعتيبة بن الحارث اليربوعي ^(٢) ، وعامر بن الطفيل
العامري ^(٣) ، وتارة يكون في صورة سقراط الخبر اليوناني ، ويوحنا

= والبيت في وصف ظبية تسوق خشفاً لها ، وتزجي : تسوق ، ويقال : ظبي اغن اي يخرج
صوته من خياشيمه ، والروق : القرن ، وأبرته : طرفه ، والا بلاد في المطلع : الآثار ويقال :
ان الفرزدق وجريراً كانا حاضرين عند انشاده فلما بلغ إلى قوله : (تزجي اغن كأن ابرة
روقه) شغل الوليد عن الاستماع بأمر عرض له فأمسك عدي عن الانشاد فقال الفرزدق لجرير ،
ما تراه قائلاً ؟ قال : اراه يستلب مثلاً ، فقال الفرزدق : انه سيقول : (قلم اصاب من الدواة
مدادها) فلما عاد الوليد للاستماع عاد عدي إلى الانشاد فكان كما قال الفرزدق ، فقال الفرزدق :
والله لما سمعت صدر البيت رحمته ، فلما انشد عجزه حسدته .

(١) بسطام بن قيس بن مسمود ، سيد بني شيبان ، من أشهر فرسان العرب في الجاهلية ،
يضرب بفروسيته المثل ادرك الاسلام ولم يسلم ، قتل يوم الشقيقة .
(٢) عتيبة (بالتصغير) بن الحارث بن شهاب ، فارس من فرسان العرب في الجاهلية ،
يضرب به المثل في الفروسية حتى كان يلقب (سم الفوارس) و (صياد الفرسان) قتله ذؤاب
ابن ربيعة (بالتصغير) .

(٣) عامر بن الطفيل ، فارس قومه ، احد فتاك العرب ، وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية ،
كان يأمر منادياً يتنادي في (عكاظ) هل من راجل فنحمله ، او جائع فنطعمه ، او خائف
فثمنه ، ادرك الاسلام فوفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة يريد أن يفتك
به ، فحماه الله تعالى ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاسلام ، فاشترط عليه ان
يجعل له نصف ثمار المدينة ويكون ولي الامر بعده ، فلما لم يجبه عاد حانقاً وهو يقول : لاملأها خيلاً
جرداً ، ورجالا مردأ ، ولا ربطن بكل نخلة فرساً ودعاه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال : اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فبينما هو ببعض الطريق ، اصابه الطاعون في عنقه
فلجأ إلى بيت امرأة سلوية فكان يقول : يا بني عامر اغدة كفدة البعير في بيت امرأة من بني
سلول حتى هلك .

المعمدان الاسرائيلي^(١) ، والمسيح بن مريم الالهي واقسم بمن تقسم الامم كلها به ، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة ولإي الآن أكثر من الف مرة ما قرأتها قط إلا وحدثت عندي روعة وخوفاً وعظمة ، وأثرت في قلبي وجيباً^(٢) وفي أعضائي رعدة ، ولا تأملتها الا وذكرت الموتى من اهلي واقاربي ، وارباب ودي ، وخيلت في نفسي اني انا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله ، وكم قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى ، وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه تأثير هذا الكلام في نفسي^(٣) .

اما مصدر هذه الخطبة في غير « النهج » فقد رواها علي بن محمد بن شاكر الليثي في كتاب (عيون الحكم والمواعظ)^(٤) وقد تقدم كلام منا حول هذا الكتاب^(٥) وذكر السيد في « الاعيان » : ج ٣٩ ص ١٩١ انه ألفه سنة (٤٥٣) هـ ، فعلى هذا فهو من المتأخرين عن الرضي ، ولكن عند المقابلة بين رواية الواسطي ورواية الرضي تقطع بانه لم ينقل هذه الخطبة عن (نهج البلاغة) فمثلاً تجد الواسطي روى هذه الفقرة « وحطاماً ما افزعه » بعد قوله عليه السلام « وخطراً ما أفضعه » وليس في نسخ « النهج » التي رأيتها تلك الفقرة وفي رواية الواسطي « فكم اكلت الارض من عزيز

(١) فيلسوف يوناني ولد في أثينة امتاز بنبل اخلاقه وشهامته ، ونشأ بها كان يلقي دروسه في الازقة وبين الجماعات بأسلوب بسيط ينتابه السؤال والجواب فكان لها اعظم الاثر ، قاوم تعاليم السفسطية فتحالف عليه اعداؤه ، فجروه امام الحكام وضططوا عليهم فحكم عليه بشرب السم في السجن فمات سنة ٣٣٩ ق. م .

(٢) وجب القلب : اضطرب من الخوف .

(٣) شرح نهج البلاغة : م ٣ ص ٥١ .

(٤) انظر (بحار الانوار) : ج ٧٧ ص ٤٣٢ .

(٥) انظر ج ١ ص ٦٩ من هذا الكتاب .

جسد» وفي «النهج» «وكم أكلت...» وفي رواية «العيون» «واختلجت ابصارهم» بينما هي في «النهج» «وكحلت ابصارهم» .
 وفسر ابن الاثير في (النهاية) ج ٢ ص ٣٩٨ غريبها .
 وقد أخذ ابو العلاء المعري معنى قوله عليه السلام : (تطؤون في هامهم) فقال :

خفف الوطأ ما اظن اديم الا رضى إلا من هذه الاجساد
 ربّ لحد قد صار لحداً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد
 ودفين على بقايا دفين من عهود الآباء والأجداد^(١)

واراد الحسن البصري ان يجري في هذا المضممار فقال بعد تلاوته (الهاكم التكاثر) : عم الهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبید ؟ هذا والله فضح القوم ، وهتك السر ، وابدی العوار ، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً ، وتمنع في حق الله درهماً ! ستعلم يا لكع ، الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق ، فاما المؤمن فابلحمة الخرف ، وقومه ذكر العرض ، واما الكافر فقد قنعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وسمح بالضريبة ، واما المنافق ففي الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبر لإنكارهم ربهم باعمالهم الخبيثة ، ويلك قتلت وليه ثم تمنى جنة^(٢) .

انظر إلى براعة الاستهلال وعلوه في كلام امير المؤمنين عليه السلام (يا له مراماً ما ابعده ، وزوراً ما اغفله ، وخطراً ما افظعه ...) وانظر إلى قبح المطلع وسماجته وانحطاطه في كلام الحسن (عم أهاكم عن دار الخلود وجنة

(١) جواهر الادب ص ١٩٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٨ .

لا تبيد) ثم تذوق الحلاوة في كلام امير المؤمنين (اقمصارع آبائهم يفخرون
ام بعديد الهلكى يتكاثرون ...) ولا أدري بعد ذلك هل تستسيغ (تنفق في
شهواتك سرفاً وتمنع في حق الله درهماً ، ستعلم يا لكع) ثم لاحظ الانسجام
في كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه في كل هذا الكلام على طوله ، وانظر إلى
التفكك في كلام الحسن على قصره ، وما أقبح التنافر في قوله : (وتمنع في
حق الله درهماً ستعلم يا لكع الناس ثلاثة ...) .

واخيراً إنك لو قارنت بين الكلامين تجد كلام الحسن بالنسبة لكلام ابي
الحسن عليه السلام كمخنت بالنسبة إلى ، فحل على حد تعبير ابن ابي الحديد (١)

وما هو جدير بالذكر ان الحسن البصري كثيراً ما يسطو على كلام امير
المؤمنين عليه السلام فيأخذه إما بالفاظه او معانيه ، ولكنه قد يخرجها في
ألفاظ مستهجنة وثياب رثاء ، ومن الشواهد على ما نقول رسالته إلى عمر
ابن عبد العزيز فان أكثر ما فيها مأخوذ من كلام علي عليه السلام ، فقوله
فيها (احتمال المؤنة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة
منقطعة) اخذه من كلامه عليه السلام (صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة
طويلة) (٢) وقوله (فاحذر هذه الدار الضارعة الخادعة الخاتلة التي قد
تزيت بخدعها وغرت بغرورها ...) مأخوذ من قوله عليه السلام
(واحذرکم الدنيا فانها ... قد تزيت بغرورها ، وغرت زينتها) وأخذ
الفاظ امير المؤمنين بعينها فقال (فاحذرها الحذر كله فانها بمنزلة الحية لين
مسها وسمها يقتل ، فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصححك منها ...) (٣)

(١) شرح النهج م ١ ص ١٤٣ .

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٦٠ .

(٣) انظر نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٠ .

واعلم انها تزيل الثاوي والساكن وتفجع المغرور الآمن^(١) وقال فيها في صفة النبي ﷺ (عَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ابْغَضَ شَيْئًا فَاَبْغَضَهُ ، وَصَغَرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ) وهي عين الفاظ امير المؤمنين في احدى خطبه^(٢) واخذ صفة امير المؤمنين عليه السلام لزهدي الانبياء وتقشفهم فقلبه رأساً على عقب ، وحذف منه ، وزاد عليه ليوهم عمر بن عبد العزيز انه المبتكر لتلك المعاني ، والمستخرج لهايتك الدرر واخشى ان اطول عليك بالمقارنة فعليك بمراجعتها في « حلية الاولياء » ج ٢ ص ١٣٢ إذا شئت .

٢٢٠ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ « رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ » ٣ :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعُشْوَةِ ٤ ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ . وَمَا بَرِحَ اللَّهُ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ ٥ عِبَادُ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ،

(١) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٢٨ .

(٢) نهج البلاغة : ج ٢ ص ٥٩ .

(٣) النور : ٣٧ .

(٤) الجلاء بالكسر : الصقل ، والوقرة : العقل في الاذن ، والعشوة : ضعف البصر

(٥) آلاؤه : نعمائوه ، وعزت - هنا - بمعنى كرمته وعظمت ، والبرهة - بالضم وبالفتح ايضاً - : المدة الطويلة من الزمن ، والفترة : الزمن بين النبوتين .

وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورٍ يَقْطِظُهُ
فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ ١ . يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ،
وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ ٢ . مَنْ أَخَذَ
الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ . وَمَنْ أَخَذَ
يَمِينًا وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ،
وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدَلَّةَ تِلْكَ
الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذُّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ
تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ
وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ ٣ .
وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ ٤ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ . فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ
فِيهَا فَشَاهِدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ، فَكَأَنَّمَا أَطْلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ
الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ

(١) نأجاهم - هنا - بمعنى ألهبهم وكذلك كلمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا : أي صار ذلك النور مصباحاً يستضيئون به .

(٢) أيام الله : أزمان نعمه وأوقات نعمه ، والفلوات : الصحارى والقفار .

(٣) يهتفون بالزواجر : يصوتون بها .

(٤) القسط : العدل ، ويأتمرون به : يمثلون الأمر .

عِدَاتِهَا . فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانَهُمْ
يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ
مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ١ ، وَمَجَالِسِهِمُ
الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَّغُوا
لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أَمَرُوا بِهَا
فَقَصَّروا عَنْهَا ، أَوْ نَهَوْا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَلُوا
ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ٢ فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا
فَنَشَجُوا نَشِيجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا ٣ يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ
مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَأَعْتِرَافٍ لَرَأْيَتِ أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحِ
دُجَى . قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ
السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمُ
مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ أَطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِي

(١) المقاوم جمع مقام اي مقاماتهم .

(٢) اي حاسبوا انفسهم ، فوجدوا التقصير منهم ولم يحولوه على ربهم .

(٣) نشج الباكى : إذا اختنق بعبرته ، وتجاوبوا به : اجاب بعضهم بعضاً ، والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، ويمججون : يصيحون من مراقف الندم والاعتراف بالخطأ .

سَعِيَهُمْ وَحَمْدَ مَقَامِهِمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رُوحَ التَّجَاوُزِ ١ .
 رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسَارَى ذَلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ . جَرَحَ
 طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ ٢ ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عَيُونَهُمْ . لِكُلِّ
 بَابٍ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ
 لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ ٣ وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ . فَحَاسِبُ
 نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَاسِبٌ غَيْرُكَ .

روى صدر هذا الكلام الآمدي في (غرر الحكم) ص ٨١ بحرف الألف
 بلفظ « إِنَّ » المشددة بتقديم وتأخير واختلاف يسير يدل ان له مصدراً
 خاصاً فمثلاً روى قوله عليه السلام : « تبصر به بعد العشة » قبل قوله
 سلام الله عليه « وتسمع به بعد الوقرة » عكس ما هو في (النهج) وروى
 « ويهتفون به في آذان الغافلين » والذي في (النهج) : « يهتفون بالزواجر
 عن محارم الله في اسماع الغافلين » ... الخ .

٢٢١ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
 الْكَرِيمِ » ٤

-
- (١) يتنسمون : يتشممون ، والروح - بالفتح - النسيم ، والتجاوز : المغفرة .
 (٢) الأسى : الحزن .
 (٣) المنادح جمع مندوحة وهي السمة .
 (٤) الانفطار : ٦ .

أُدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْدِرَةً . لَقَدْ
أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ ١ .

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ،
وَمَا آتَنَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ ٢ ؟ أَمْ
لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقْظَةٌ . ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا
تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ لِحَرِّ الشَّمْسِ
فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلِيَ بِالْأَلَمِ يُمِضُ جَسَدُهُ ٣ فَتَبْكِي
رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ،
وَعَزَّأَكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ . وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ .
وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ ٤ وَقَدْ تَوَرَّطَتْ
بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ ٥ . فَتَدَاوٍ مِنْ دَاءِ الْفِتْرَةِ فِي

(١) الحجة الداحضة : الباطلة ، يقال : أبرح شجاعة وأبرح لؤماً وأبرح جهالة أي
أتى بالشيء الشديد منها .

(٢) ما آتَنَكَ - بالمد والتشديد ايضاً - والمعنى كيف لم تستوحش من الأمور التي بها
هلكة نفسك والبلول : مصدر بل الرجل من مرضه : أي برأ ..

(٣) الضاحي لحر الشمس : البارز ، والممض : المولم .

(٤) بيات نعمة - بفتح الباء - طروقتها ليلاً .

(٥) تورط : وقع في الورطة - بتسكين الراء - وهي الهلاك وهي في الأصل الأرض
المطمئنة لا طريق فيها ، والمدارج : الطرق والمسالك .

قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاطِرِكَ بِيَقَظَةٍ ١ ،
وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعًا ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا . وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ
تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ ٢ . يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ
بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا
أَكْرَمَهُ ٣ ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ
وَأَنْتَ فِي كَنْفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ .
فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ
تَخُلْ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ ٤ فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ ،
أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا
ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ؟ وَآيُمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ
فِي مُتَفَقِّينَ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ ٥ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ
أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذِمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي

(١) العزيمة : الارادة والتصميم ، والكرى : النوم .

(٢) تمثّل : تصور .

(٣) يتغمّدك : يسترّك بفضلّه : أي بمغفوه وسبى المغفور والصفح فضلا تسمية للنوع بالجنس .

(٤) مطرف عين - بفتح الراء - أي زمان طرف العين أي حركة جفنها ونصب مطرف على الظرفية .

(٥) متوازيين : متساويين .

الْأَعْمَالُ . وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلَكِنْ بِهَا أَغْتَرَرْتَ
وَلَقَدْ كَاشَفْتُكَ الْعِظَاتُ وَآذَنْتُكَ عَلَى سَوَاءٍ ١ . وَلَهِيَ بِمَا
تَعْدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ
أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ
لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ ٢ ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكْذَّبٌ . وَلَكِنْ
تَعَرَّفَتْهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ ٣ لَتَجِدَنَّهَا
مِنْ حُسْنِ تَذَكِيرِكَ وَبَلَغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ
عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ ٤ . وَلَنِعْمَ دَارٌ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا ،
وَمَحَلٌّ مَنْ لَمْ يُوطِّنْهَا مَحَلًّا . وَإِنَّ السُّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا
هُمْ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ ، وَحَقَّتْ بِجَلَاتِلِهَا الْقِيَامَةُ .
وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ٥ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عِبْدَتُهُ ،

(١) العِظَاتُ جمع عِظَةٍ أي الموعظة مرفوعة على أنها فاعل كاشفتك ويرى ابن أبي الحديد أنها منصوبة بنزع الخافض أي بالعِظَاتُ ، وفاعل كاشفتك ضمير مستتر يعود على الدنيا ، وآذنتك : أعلمتك ، على سواء : أي على عدل وانصاف .

(٢) أي رب حادث من حوادثها يلقي إليك النصيحة بالمعبرة فتتهمه .

(٣) تعرفتها : طلبت معرفتها ، والخاوية : المتداوية والربوع جمع ربع وهو المنزل .

(٤) الراجفة : الصيحة ، وحقت : تحققت وصارت على اليقين والجلا : الأمر العظيم

(٥) المنسك : العبادة أو موضعها .

وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ
يَوْمَئِذٍ خَرَقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ ، وَلَا هَمْسٌ قَدَمٍ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ ١ . فَكَمْ حُجَّةٌ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ،
وَعَلَائِقُ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ . فَتَحَرَّرَ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ
عُذْرُكَ ، وَتَثَبَّتْ بِهِ حُجَّتُكَ . وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا
تَبْقَى لَهُ . وَتَيَسَّرَ لِسَفَرِكَ . وَشَمَّ بَرَقَ النِّجَاجَةِ . وَأَرْحَلَ
مَطَايَا التَّشْمِيرِ ٢ .

ذكر ابن أبي الحديد اختلاف الرواية في هذا الكلام وفي ذلك ما يحقق
انه رآها في غير (نهج البلاغة) فمثلا قال : وروي « متوازنين » بالنون ،
وقال : وروي « كاشفتك الغطاء » .

وفي (غرر الحكم) : ص ٢٣٢ « ما آتسك ايها الانسان بهلكة نفسك »
ورواية الشريف بتقديم « يا ايها الانسان » على « ما آتسك » وفيها « ما صبرك
ايها المبتلى على دائك » وليس في رواية الرضي « ايها المبتلى » وفيها « كيف
لا يوقظك آيات نعم الله وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته » والذي في
(النهج) : « كيف لا يوقظك بيات نقمة » وروي « يدعك إلى عفوه »
مكان « يدعوك إلى عفوه » ... وهكذا .

(١) يجز مضارع جزى اي لا تجازي لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة قدم في الارض
الا بحق وذلك بعدل الله سبحانه .

(٢) تيسر : تأهب ، وشام البرق : لمح ، ورحل المطية : وضع عليها رحلها والتشمير :
الجد والانكماش .

وقد ذكر السيد في (الطراز) ج ٢ ص ٢٧٢ عند كلامه على (المبادئ والافتتاحات) مطلع هذا الكلام والكلامين المتقدمين عليه فقال : « وله عليه السلام من الافتتاحات الرشيقة في خطبه ، ومواعظه ، وكتبه ما يفوق على كل كلام ثم ذكر قوله عليه السلام « يا له مرأماً ما بعده » إلى قوله سلام الله عليه « ام بعديد الهلكى يتكاثرون ؟ » ثم قال رحمه الله : « فانظر الى هذا الافتتاح ما اجمعه للمقصود ، واشد ملائمة لمراد الآية مع الاختصار البالغ والايجاز البديع الذي يزيد تفصيله من بعد في اثناء الخطبة » ، ثم ذكر مطلع الكلام الذي قبل هذا الكلام إلى قوله عليه السلام : « وحذره من الهلكة » ثم نقل مطلع هذا الكلام إلى قوله عليه السلام « اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك » وعلق عليه قائلاً : « انظر ايها المتأمل إلى هذه المطالع في الوعظ والزجر ، وهذه الافتتاحات بمعاني هذه الآي كيف طبق مفاصلها ، ولم يخالف مجراها ، ويحقق مغزاها بالكلام الذي تبهر القرائح فصاحته ، وتدهش العقول جزالته وبلاغته ، ولله در امير المؤمنين لقد فاق في كل خصاله ، ونكص كل بليغ ان يحدو على مثاله خاصة فيما يتعلق بالخطب بالتوحيد فانها افتتاحات ملائمة للمقصود أشد الملائمة » .

علماً بأن ما نقله من هذا الكلام وسابقه يختلف بيسير جداً يمكننا القول معه انه اعتمد في النقل على غير (النهج) .

٢٢٢ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللَّهِ لَأَنَّ أَبَيْتَ عَلَى حَسَنِ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا ، وَأَجْرٌ

(١) السعدان : نبت ذو شوك وهو من اطيب مراعي الابل حتى ضرب المثل به فقيل (مرعى ولا كالسعدان) وحسكته : شائكة تشبه حلقة الثدي . ومسهداً : ممنوع من النوم .

فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ١ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ
وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ ، وَغَاصِبًا
لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ . وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ
إِلَى أَلْبَلِي قُفُولُهَا ٢ ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى حُلُولُهَا ؟

وَاللَّهُ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي
مِنْ بُرْكَكُمْ صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرُ
الْأَلْوَانِ مِنْ فَقَرِهِمْ كَأَنَّمَا سُودَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ٣ ،
وَعَاوَدَنِي مُؤَكَّدًا وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ
سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقًا
طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ
لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنَ أَلْمِهَا ، وَكَادَ
أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسْمِهَا ٤ . فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ

(١) الاغلال : جمع غل وهو الجامعة ، ومصفد : مقيد .

(٢) القفول : الرجوع ، والثرى التراب .

(٣) املق : افتقر ، واستماحني : طلب مني ، والعظم : نبت يصبغ به ما يراود اسوداده

وقيل : هو الوسة .

(٤) الدنف : المرض ، والميسم - بكسر الميم وفتح السين - المكواة .

يَا عَقِيلُ ١ ، أَتَتْنُ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبَةِ ٢ ،
وَتَجُرْنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعُصْبِهِ . أَتَتْنُ مِنْ
الْأَذَى وَلَا أَتْنُ مِنْ لَظَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرَقَنَا
بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَائِهَا ٣ ، وَمَعْجُونَةٍ شَدِثْتُهَا كَأَنَّمَا عُنِجَتْ
بِرِيْقٍ حَيَّةٍ أَوْ قَيْثُهَا ، فَقُلْتُ أَصِلْتُ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ
فَدَلِكِ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ
وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ ٤ ، أَعَنْ دِينَ اللَّهِ
أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ، أَمْخَبَبْتُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُهُ .
وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى
أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ ٥ مَا فَعَلْتُ
وَلِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ

(١) تكلتك الثواكل : دعاء عليه بالموت ، والثواكل : النساء الفواقد .

(٢) للعبة : أي غير جاد بذلك وإنما أراد أن يضرب بذلك المثل .

(٣) الطارق : هو الأشعث بن قيس عبل نوعاً من الحلوى تأتق فيها واحداها لأمير المؤمنين
ليستميله بها ، فرد عليه هديته لعلمه بنفاقه وانحرافه عن الهدى ، ولا أرى أن أحداً وصف
الطعام الحرام كصفة أمير المؤمنين هذه .

(٤) الهبول : التي لا يعيش لها ولد .

(٥) المتخبط : المصروع ، وذو الجنة : المجنون ، والذي يهجر : الذي يهلي في مرضه .

(٦) جلب الشعيرة : قشرتها . قال ابن أبي الحديد : جلب - بضم الجيم - وقال الشيخ

محمد عبده بكسرهما ويمكن الجمع بين الكلامين بجواز الاثنين .

تَمْنَحُ مَهْمَا ١ مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْتَنِي . نَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتٍ أَلْعَمَلِ ٢ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

هذه فصول من خطبة له عليه السلام طويلة رواه الشيخ الصدوق في «الامالي» : ص ٣٦٩ بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن ابيه عليهم السلام ومن هذه الخطبة : « ولو شئت لتسربت بالعبرى المنقوش من ديباجكم ، ولا كلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ، ولكني اصدق الله جلت عظمته حيث يقول : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم لا يبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار)^(٣) فكيف استطيع الصبر على نار لو قذفت بشررة الى الارض لاحرقت نبتها ، ولو اعتصمت نفس بقله لانضجها وهج النار في قلتها ، وايماء خير لعللي ان يكون عند ذي العرش مقرباً ، أو يكون في لظى خسيساً مبعداً ، مسخوطاً عليه بجرمه مكذباً والله لأن ابيت على حسك السعدان ... الخ) وفيها زيادات لم يذكرها الرضي رحمه الله لان عاداته التقاط ابلغ كلام امير المؤمنين عليه السلام .

ورواها سبط ابن الجوزي في « التذكرة » : ص ١٥٥ عن مجاهد عن ابن عباس ، والزمخشري في « ربيع الابرار » الورقة : ٢٣٠ بخطوة كاشف الغطاء في باب الخير والصلاح ، وابن شهر آشوب في « المناقب » ج ٢ ص ١٠٩

(١) القضم : الاكل باطراف الاسنان .

(٢) سبات العقل : نومه .

(٣) هود : ١٥ و ١٦ .

٢٢٣ - وَمِنْ دُعَائِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ،
فَاسْتَرْزِقْ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَغْطِفْ شِرَارَ خَلْقِكَ ،
وَأُبْتَلِ بِحَمْدٍ مِنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتِنَ بِذِمٍّ مِنْ مَنْعَنِي ،
وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ « إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ١ .

رواه الراوندي في (الدعوات) (٢) وزاد على رواية الرضي : « اللهم
اجعل نفسي اول كريمة ، تنتزعها من كرائمي ، واول كريمة ترجعها من
ودائع نعمك » وهذه الزيادة تدلنا على ان الراوندي (٣) لم ينقل هذا الدعاء
عن (نهج البلاغة) ورواه السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ١١٩ بهذه
الصورة : « اللهم صن وجهي باليسار ، ولا تبذل جاهي بالاقتار فافتن

(١) صيانة الوجه : حفظه من التعرض للسؤال ، وبذل الجاه : اسقاط المنزل من القلوب ،
والييسار : الفنى ، والاقتار : الفقر .

(٢) انظر (البحار) ج ٧٥ ص ٢٩٧ .

(٣) الراوندي : ابو الحسن سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي من شارحي
(نهج البلاغة) وقد ذكرناه في الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٢٠٧ و ٢٥٥ ، وكتاب (الدعوات)
المذكور في المتن واسمه (صلاة الخزين) وهو كتاب يشتمل على ادعية موجزة فيما يتعلق بالصحة
والمريض ، والاحتضار وما بعد الموت ونوادير اخرى مأخوذة من الاصول المعتمدة ، وقد وهم بعضهم
فنسب كتاب (الدعوات) للسيد فضل الله الراوندي من شارحي النهج ايضاً وقد تقدم ذكره في
ج ١ ص ٢٠٤ من كتابنا هذا وإذا اردت التحقيق في هذه المسألة فعليك بخاتمة (مستدرك الوسائل)
ص ٣٢٦ .

(بحب) من اعطاني ، وابلى (ببغض) من منعي » الخ وعند المقارنة بين الصورتين تقطع ان لهما مصدرين غير (نهج البلاغة) .

ورواها ابن ابي الحديد في (الحكم المشورة) بمغايرة عما في (النهج) ايضاً والدعاء هذا معروف بين اهل البيت عليهم السلام حتى ضمنه الامام زين العابدين عليه السلام دعاءه المعروف بـ « دعاء مكارم الاخلاق »^(١) وهو من ادعية « الصحيفة السجادية » وهي اقدم من « نهج البلاغة » بكثير بل هي من اوائل المؤلفات في صدر الاسلام ، فقد كتبها الامام الباقر باملأه ابيه السجاد عليهما السلام وكان الصادق عليه السلام يقبلها ويضعها على عينيه ويقول : هذا خط أبي وإملأه جدي عليهما السلام وكذلك كتبها زيد الشهيد عليه السلام باملأه ابيه زين العابدين سلام الله عليه ، وقد ارسل هذه النسخة يحيى بن زيد رضي الله عنه مع المتوكل بن هرون - لما خشى ان يقتل فتضيع إلى محمد و ابراهيم ابني عبد الله بن الحسن فلما انتهى إلى ابي عبد الله الصادق عليه السلام ونظر إليها قال : هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين عليهما السلام ثم قال لابنه : قم يا اسماعيل فاتني بالدعاء الذي امرتك بحفظه وصونه فقام اسماعيل واخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها الي يحيى بن زيد فقبلها ابو عبد الله ووضعها على عينيه وقال : هذا خط ابي واملاء جدي عليهما السلام بمشهد مني ، فقلت : يا بن رسول الله ان رأيت ان اعرضها مع صحيفة زيد ويحي فأذن لي في ذلك وقال قد رأيتك لذلك اهلاً فنظرت وإذا هما امر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الاخرى^(٢) .

(١) انظر « الصحيفة الكاملة » : ص ١١١ .

(٢) « الصحيفة الكاملة » : ص ١١ .

وتعرف « الصحيفة السجّادية » بـ « مصباح اهل البيت » و « انجيل اهل البيت » و « زبور آل محمد » و « الصحيفة الكاملة » .

وتكرر ذكر الصحيفة في كتب الشيعة : الامامية والزيدية والاسماعيلية ، وفازت باهتمامهم ، رواية وحفظاً ، واسناداً وتفسيراً ، واستدراكاً ، فقد رواها الالوف ، وبلغت شروحها المئات ، وجاوزت ترجماتها العشرات ، حتى زادت عدة اسانيدها على ستة وخمسين ألفاً^(١) وما زال العلماء يتلقونها موصولة الاسناد بالاسناد^(٢) .

ومرّ عند عرضنا لشارحي الشقشقية ان من شراح الصحيفة المولى أبراهيم الجيلاني وهو من شراح « نهج البلاغة » ايضاً . ومن شراح « النهج » الذين شرحوا « الصحيفة » القطب الراوندي والسيد افصح الدين الحسيني والشيخ بهاء الدين العاملي ، والشيخ الطريحي والسيد نعمة الله الجزائري^(٣) والملا تاجا ونذكره بالمناسبة من شراح « الصحيفة » السيد محمد باقر بن محمد الحسيني الشهير بالداماد قدس سره المتوفى سنة ١٠٤١ هـ^(٤) والشيخ محمد تقي بن الشيخ المجلسي - اعلا الله مقامهما^(٥) - والسيد علي خان المدني وشرحه مطبوع مشهور سماه (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين) وقال سيد « الاعيان » . رحمه الله عن هذا الشرح : لم يؤلف مثله صنفه باسم السلطان الشاه حسين الصفوي وهو شرح كبير جداً من احسن الشروح واطولها ، وقد اورد فيه فوائد غزيرة ، عن كتب كثيرة غريبة ، ووصل

(١) انظر مقدمة السيد المشكاة للصحيفة : ص د .

(٢) انظر مجلة « البلاغ » السنة ١ العدد ٦ ص ٦٩ .

(٣) الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٢٣٧ .

(٤) امل الآمل : ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٥٢ .

كل دعاء بخطبة وديباجة ، وقد أخذ من شرحه هذا المولى محمد حسين بن حسن الجيلاني في شرحه الكبير على « الصحيفة السجادية »^(١) والعلامة الطبيب السيد محمد باقر الشيرازي المعروف بملا باشي المتوفى سنة ١٢٤٠ هـ وهذا الشرح اكبر من شرح السيد علي خان^(٢) .

ومن شراح « الصحيفة » ميرزا محمد المشهدي ، والمولى خليل القزويني ، وجمال الدين الكوكباني اليماني نزيل الهند المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ والمفتي مير محمد عباس الجزائري المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ والمولى محمد طاهر بن الحسين الشيرازي نزيل قم ، والمولى حبيب الله بن مدد علي الكاشاني الساوجي صاحب « شرح المختصر النافع » و « تفسير الفاتحة » وغيرها المتوفى سنة ١٣٤٠ هـ والعلامة الجليل السيد محمد الشيرازي المعاصر وقد طبع في النجف الاشرف .

وشرح الصحيفة من علماء الزيدية عبد الله بن القاسم المعروف بابن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ صاحب كتاب « المنتزع المختار من الغيث المدرار » المطبوع في اربعة مجلدات ، والسيد محسن بن قاسم الصنعاني من علماء القرن الثالث عشر والمحسن بن أحمد الشامي اليماني المتوفى سنة ١٢٥١ . ونقلها الى الفارسية جماعة منهم الحسين بن جمال الدين محمد الخونساري ، والهادي بن محمد صالح السرددي المشهور بجودة الخط ، والمولى محمد صالح القزويني الروغني^(٣) وقد مر في الجزء الاول من هذا الكتاب ص : ٢٣٦ ان هذا الاخير من شراح « نهج البلاغة » .

(١) اعيان الشيعة : ج ٤١ ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٤٤ ص ١١١ .

(٣) انظر استدرارك السيد المرعشي دامت بركاته على مقدمة السيد المشكاة للصحيفة : ص : ١٦٣ .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّهُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا
عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ
أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً ١ . أَصْبَحَتْ
أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَا حُهُمْ رَاكِدَةً ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ،
وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً ٢ . فَاسْتَبَدَّلُوا بِالْقُصُورِ
الْمُشِيدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ ٣ الصُّخُورَ وَالْأَخْجَارَ الْمُسْنَدَةَ ،
وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُدَحَّذَةَ ٤ . الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ
فَنَاقُوهَا ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاوُهَا . فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ،
وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ . بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ
مُتَشَاغِلِينَ ٥ لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ
تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجَوَارِ وَدُنُو
الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكُلِّكَلِهِ

(١) بعد الآثار : طول بقائها بعد ذوبها .

(٢) ركود الريح هنا كناية عن انقطاع العمل ، وبطلان الحركة ، وعافية : دارة .

(٣) النمارق : الوسائد .

(٤) لطاء الأرض : لصق .

(٥) أي بنيت لا لسكنى الأحياء فيها كشال أهل الدنيا .

(٦) متشاغلين بما شاهدوا من عقبي أفعالهم .

الْبِلَى ١ ، وَأَكَلَتْهُمْ الْجَنَادِلُ وَالْثَرَى . وَكَأَنَّ قَدْ صَرْتُمْ
إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَأَرْتَهَنَكُم ذَلِكَ الْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ
ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمْ الْأُمُورُ ٢ ،
وَبُعْثَرَتِ الْقُبُورُ « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ،
وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ٣ » .

رويت هذه الخطبة في الكتب الآتية :

١ - (كثر العمال) للمتقي الهندي : ج ٣ ص ٥١١ قال : اخرج
الدينوري وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلي عن ابيه قال : خطب
علي بن ابي طالب يوماً فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ
فقال : « عباد الله لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة .. الخ » .

٢ - (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي ص ١٢٢ قال عن هذه
الخطبة انها تعرف بالبالغة ثم قال : وبه - اي وبالسناد المتقدم على هذا
العنوان - قال القرشي : حدثنا علي بن الحسين عن عبد الله بن صالح
العجلي ، قال : أخبرني رجل من بني شيبان ، قال : شهدت علياً وقد
خطب خطبة بليغة حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد ﷺ ، ثم قال :

(١) الكلكل : صدر البعير ، فكان البلى وهو الفناء بعير برك عليهم ، والجنادل :
الحجارة ، والثرى : التراب .

(٢) تناهت : بلغت منتهاها .

(٣) تبلوه : تعبده فتقف على نتيجته من خير أو شر ، والآية الكريمة في سورة يونس

برقم : ٣٠ .

« ايها الناس ان الله ارسل اليكم رسولا ليزيح به علتكم : ويوقظ به غفلتكم وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق ، واما طول الامل فينسيكم الآخرة ، الا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وان الآخرة قد اقبلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، واعلموا انكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون على اعمالكم ، ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، فانها دار بالبلاء مخوفة.. الخ وقال بعد ان روى الخطبة : اخرج ابو نعيم في « الحلية » طرفاً من هذه الخطبة ، ويظهر من رواية السبط هذه ان ما رواه الرضي هنا وما رواه برقم (٤٢) من خطبة واحدة ، كما يحتمل ان ما مرتحت رقم (٤٢) قاله عليه السلام في غير موطن .

٣ - في « المناقب » للخطيب الخوارزمي : ص ٢٦٧ باسناده عن محمد بن ابي الدنيا قال : حدثنا علي بن الحسين بن عبد الله عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، أخبرنا رجل من بني شيبان ان علي بن ابي طالب خطب فقال : « الحمد لله احمده واستعينه ، واؤمن به واتوكل عليه ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، ارسله بالهدى ودين الحق ، ليزيح به علتكم ، ويوقظ به غفلتكم ، واعلموا انكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء مخوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ... الخ » مع زيادات لم يذكرها الرضي .

ولا حاجة بنا الى استعراض من روى هذه الخطبة من علماء الامامية .

٢٢٥ - وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آتَسُ الْآتِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ . وَأَخْضَرُهُمْ
بِالْكَفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ ١ . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ،
وَتَطْلُعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ .
فَأَسْرَارَهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ ٢ .
إِنْ أَوْحَشَتْهُمْ الْغُرْبَةُ آتَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صَبَّتْ عَلَيْهِمْ
الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْمًا بِأَنَّ أَرْزَمَ
الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرُهَا عَنْ قَضَائِكَ .

اللَّهُمَّ إِنْ فَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طَلِبَتِي
فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ،
فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ ٣ وَلَا بَبْدَعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ
اللَّهُمَّ أَحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ .

(١) آتَسُ : أشد أنسا ، وأشد التصراء حضوراً لكفاية المعتمدين عليك .

(٢) الملهوف : المضطر .

(٣) فهيت : عييت والعلية - بالكسر - المطلوب ، والمرشد : مواضع الرشد ، والنكر - بالضم - المنكر ، والبدع - بالكسر - أي الأمر الغريب غير المهود .

رواه السماهيجي في « الصحيفة العلوية الاولى » : مع زيادات تدل على انه لم ينقله عن « نهج البلاغة » وفي « مصباح الشيخ الطوسي » : ص ٢٤٩ ان زين العابدين عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء بعد الركعتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من نوافل يوم الجمعة .

٢٢٦ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلَّهِ بِلَادٌ فَلَانٌ ١ فَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ . خَلَفَ
الْفِتْنَةَ وَأَقَامَ السُّنَّةَ . ذَهَبَ نَقْيُ الثُّوبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ .
أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرُّهَا . أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ
بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا
الضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي .

اختلف شراح « نهج البلاغة » في المكنى عنه بهذا الكلام فذهب القطب الراوندي إلى انه عليه السلام مدح به بعض اصحابه بحسن السيرة ، واستظهر ابن ابي الحديد ان المقصود به عمر بن الخطاب وحجته في ذلك ان السيد فخار بن معد الموسوي حدثه انه وجدت النسخة التي بخط الرضي وتحت فلان عمر (٢) وبما رواه الطبري في التاريخ انه لما مات عمر بكنهه النساء فقالت احدي نوادبه : واحزننا على عمر حزن انتشر حتى ملأ البشر ، وقالت

(١) لله بلاد فلان : أي لله البلاد التي أنشأته وتروى « لله بلاد فلان » أي لله ما صنع .
(٢) يحتمل أن صاحب تلك النسخة رأى أن هذه الصفات لعمر فكتب تحت خط الرضي ذلك .

ابنة ابي حنتمة : واعمره اقام الأود ، وابرأ العمد^(١) امات الفتن ، واحيا السنن ، خرج نقي الثوب ، بريئاً من العيب .

قال الطبري فروى صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبه قال : لما دفن عمر اتيت علياً رضي الله عنه وانا احب ان اسمع منه في عمر رضي الله عنه شيئاً فخرج ينفذ رأسه ولحيته ، وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر سيصير اليه فقال : رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابي حنتمة ذهب بخيرها ، ونجى من شرها ، ام والله ما قالت ولكن قولت .

ولا يخفى ما في هذه الرواية من حذف يدل عليه سياق الكلام تقديره ان المغيرة لما اخبر علياً عليه السلام بما سمع من ابنة ابي حنتمة اتهمه علي فيما نقل فحلف انها ما قالت ، ولكن قولت وفي هذا ما يشعر ان هذا الكلام تقوله المغيرة على بنت ابي حنتمة فامضاه امير المؤمنين عليه السلام .

وعلى كل حال فالطبري سبق الرضي برواية بعض هذا الكلام .

ولكل من ابن ابي الحديد وابن ميثم كلام حول هذا الكلام من شاء فليراجعه^(٢) .

٢٢٧ — وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي السَّيِّدِ

في وصف بيعته بالخلافة وقد تقدم مثله بالألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتَهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُمَهَا ،

(١) الأود : الاعوجاج ، والعمد : انفضاخ سنام البعير .

(٢) أنظر (تاريخ الطبري) ج ٥ ص ٤٨ و (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م ٣

ص ٩٢ ، و (شرح نهج البلاغة) لابن ميثم ج ٤ ص ٩٧ .

ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبْلِ الْهَيْمِ ١ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ
وُرُودِهَا حَتَّى أَنْقَطَعَتِ النَّعْلُ ، وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ ، وَوُطِيءَ
الضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَبِيعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنْ
أَبْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا
الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكَعَابُ ٢ .

مرت مصادر هذا الكلام في باب الخطب برقم (٢٦) ونضيف إلى
ذلك ان المفيد رواها في (الارشاد) ص ١٤٢ وفي كتاب (الجمل) ص
١٢٨ وأكثر ما رواه المفيد في كتاب (الجمل) عن كتاب الجمل للواقدي .

٢٢٨ - فَمِنْ خُطْبَتَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعَتَقُ
مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِهَا يَنْجَحُ
الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرِّغَائِبُ . فَاعْمَلُوا
وَالْعَمَلُ يَرْفَعُ ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالِدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَالْأَحَالُ
هَادِتَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ ٣ : وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمَرَا

(١) التذاك : الإزدحام الشديد والهييم : العطاش .
(٢) هديج الكبير : مشى مرتعشاً ، وتحامل العليل : تكلف المشي على مشقة والكعاب :
الجارية التي نهد. ثديها ، وحسرت : كشفت عن وجهها حرصاً على مشاهدة ما يكون .
(٣) أي اعملوا ما دتم في دار التكليف ، والأقلام جارية أي ما دامت الحفظة تكتب
أعمال العباد .

نَاكِسًا ، أَوْ مَرَضًا حَابِسًا ، أَوْ مَوْتًا خَالِسًا . فَإِنَّ أَلَمَ مَوْتِ
هَادِمٍ لَدَاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمَبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ ١ ،
زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ
مَطْلُوبٍ ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ ، وَتَكْنَفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ،
وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ ٢ ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطَوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ
عَلَيْكُمْ عَدَوَتُهُ ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبَوَّتُهُ ٣ . فَيُوشِكُ أَنْ
تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلُلِهِ ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ . وَحَنَادِسُ
غَمَرَاتِهِ ؛ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَالْيَمُّ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُو
إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ ٤ . فَكَأَنَّ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً
فَأَسَكَّتْ نَجِيَّكُمْ ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَى آثَارَكُمْ ٥ ،
وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وَرَثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تَرَاثَكُمْ بَيْنَ

-
- (١) الطيات : جمع طية - بكسر الطاء - وهي المنزل من منازل السفر .
(٢) الواتر : القاتل ، وأعلقتكم حبائله : جعلتكم معتقلين بها . وتكنفتكم : احاطت
بكم ، وغوائله : دواهيته ، واقصدتكم : اصابتكم ، وسيأتي معنى المعابل في المتن .
(٣) عدوته - بفتح العين - ظلته ، والنبوة مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر في الضريبة .
(٤) الحنَادِس : الظلمات ، والازهاق : اخراج النفس وتروى « إزهاقه » مصدر أرهقته
أي أعجلته ، والاطباق : جمع طبق ، والمراد تكاثف الظلمات ، وجشوبة الطعام : خشونته
وغلظه وكل ذلك من باب الإستعارة .
(٥) النجى : القوم يتناجون ، والندي : القوم يجتمعون في النادي . وعفى الآثار :
محاهها .

حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ،
وَأَخْرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ . فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ ،
وَالْتَأَهُبِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا
تَغُرَّنْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ
الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ اخْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ،
وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا .
أَصْبَحَتْ مَسَاكِينُهُمْ أَجْدَاثًا ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثًا . لَا
يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ ٢ ، وَلَا
يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ ، غَرَارَةٌ
خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مُنَوِّعٌ ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ . لَا يَدُومُ
رَخَاؤُهَا ، وَلَا يَنْقُضِي عَنَاؤُهَا ، وَلَا يَرْكُدُ بِلَاؤُهَا .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَادِ) كَانُوا قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا
وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا . عَمِلُوا

(١) الدرة - بالكسر - اللبن ، والغرة : النفلة .

(٢) يحفلون : يبالون .

فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ ١ . تَقَلَّبُ
أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِي أَهْلِ الْآخِرَةِ ٢ ، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا
يُعْظَمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَامًا لِمَوْتِ
قُلُوبِ أَحْيَانِهِمْ .

قال ابن أبي الحديد : هذه الخطبة من محاسن خطبه عليه السلام وفيها
من صناعة البديع ما هو ظاهر للمتأمل (٣) .

وفسر ابن الاثير غريب هذه الخطبة في مواضع من « النهاية » . ففي
ج ٢ ص ٦١ مادة (خلس) قال : ومنه حديث علي (بادرو بالاعمال مرضاً
حائباً او موتاً خالساً) اي يختلسكم على حين غفلة ، ولاحظ خلو رواية
ابن الاثير من قوله عليه السلام (عمرا ناكساً) لتعلم ان له مصدراً غير
« النهج » . وفي مادة (عبل) : ج ٣ ص ١٧٤ قال : وفي حديث علي :
(تكتفتكم غوائله ، واقصدتكم معابله) المعابل نصال عراض طوال ،
الواحدة : معبلة ، وفي ج ١ ص ٣٥٥ مادة (حدم) قال في حديث علي :
(يوشك ان تغشاكم دواجي ظله ، واحتدام عله) وهو من احتدام النار :
التهابها وشدة حرها ، وكرر ذلك في ج ٢ ص ١٠٣ مادة (دجى) قال :
ومنه حديث علي رضي الله عنه : (يوشك ان تغشاكم دواجي ظله) اي
ظلمها واحدا داجية .

ونثر الآمدي أكثر هذه الخطبة في مواضعها من « غرر الحكم » باختلاف

(١) بادروا ما يحذرون : سبقوه فلم يصبهم .

(٢) تقلب : تتقلب وظهراني - بفتح النون ولا يجوز كسرهما - أي بين أهل الآخرة .
أي أنهم لا يخلطون إلا أهل الآخرة .

(٣) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٨٣ .

نعلم منه ان له مصدراً يختص به . فانه روى قوله عليه السلام (بادروا بالاعمال) هكذا بادروا (بالعمل) وروى مكان (طياتكم) (طلباتكم) وروى (مقاتل) مكان (معابل) وروى (بحسن التأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد) مكان « التأهب والاستعداد في منزل الزاد » ، لاحظ الصفحات : ١١٢ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ٢١٣ من الكتاب المذكور .

٢٢٩- وَمِنْ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خطبها بذى قار وهو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، وَبَلَغَ رِسَالَاتَ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ
الصَّدْعَ . وَرَتَّقَ بِهِ الْفَتْقَ . وَأَلْفَ بِهِ الشَّعْلَ بَيْنَ ذَوِي
الْأَرْحَامِ بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاعِرَةِ فِي الصُّدُورِ ، وَالضَّغَائِنِ
الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ ١ .

ما نقله الرضي هنا صدر خطبة له عليه السلام خطبها بذى قار وهي من الخطب التي ذكر الرضي مصدرها وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب ^(٢) ونضيف الى ذلك ان من رواة هذه الخطبة ابن عبدربه المالكي في (العقد الفريد) : ج ٢ ص ٢٢٧ والمفيد في (الارشاد) ص ١١٥ وفي كتاب (الجمل) ص ١٢٧ ، ونقل ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة)

(١) صدع - هنا - بمعنى جهر ، ولم : جمع ، والصدع : الشق . ورتق : خاطر .
والشعل : التفريق ، والعداوة الواغرة ذات الوغرة وهي شدة الحر ، والقادحة كأنها
تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة .
(٢) ج ١ ص ٤١ .

م ١ ص ١٠٢ عن ابي مخنف عن زيد بن صوحان قال : شهدت
 علياً عليه السلام بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطب فقال
 في خطبته « الحمد لله على كل حال في الغدو والآصال واشهد ان لا اله الا
 الله ، وان محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياة للبلاد حين
 امتلأت الارض فتنه ، واضطرب جبلها ، وعبد الشيطان في اكنافها ،
 واشتمل عدو الله ابليس على عقائد اهلها وكان محمد بن عبد الله بن عبد
 المطلب الذي اطفأ الله به نيرانها ، واخمد به شرارها فلقد صدع ~~صعد~~
 بما امر به .. الخ » .

ويظهر من رواياتهم انه عليه السلام كرر في هذا الموطن معان كان قد
 تطرق اليها في مواطن اخرى .

٢٣٠ — وَمِنْ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ
 قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَا لَا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ هَذَا أَلْمَالَ لَيْسَ لِي ، وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فِيَّ
 لِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَلَبُ أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرَكْتَهُمْ فِي
 حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَازَةُ أَيْدِيهِمْ
 لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ .

عبد الله بن زمعة — بالفتح — بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد

العزى بن قصى ، كان عبد الله هذا شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه رغم ان اياه وعمه واخاه قتلوا يوم بدر وان علياً عليه السلام شارك في قتلهم يومئذ ، وكان جده الاسود احد المستهزئين برسول الله ﷺ الذين كفى الله رسوله امرهم (١) وظن عبد الله ان علياً يؤثره على غيره ، او يعطيه فوق حقه فقدم عليه وطلب منه مالا فاجابه بما رواه الشريف رحمه الله في هذا الموضع وقد روى هذا الكلام الآمدي في (غرر الحكم) ص ٦٩ في حرف الالف بلفظ إن المشددة . وجاء في روايته : « فان شركتهم في حربهم شركتهم فيه » والتفاوت هذا يدلنا على ان الآمدي رواها عن غير الشريف رحمه الله .

٢٣١ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا إِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا أَمْتَنَعَ وَلَا يُمְهِلُهُ النَّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ ٢ . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ الْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنْشَبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهْدَلَتْ غُصُونُهُ ٣ .
وَأَعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانِ الْقَائِلِ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَاللَّازِمُ

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ٢٥٢ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد م ٣ ص ١٨٤ وص ٣٦٥ .

(٢) بضعة من الانسان : قطعة منه ، والمعنى أن اللسان آلة للانسان فإذا صرفه صارف عن الكلام لم يكن اللسان ناطقاً ، وإذا دعاه داع إلى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه ، قاله ابن أبي الحديد ويعني بالداعي حضور المعنى في الذهن والصارف شروده عنه .

(٣) تنشبت : تعلقت ، وتهدلت : تدلت .

لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ
عَلَى الْإِذْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ ، وَعَالِمُهُمْ
مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَازِقٌ . لَا يُعْظَمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ ،
وَلَا يَعُولُ غَنِيَهُمْ فَقِيرُهُمْ ١ .

قال ابن أبي الحديد : « اعلم ان هذا الكلام قاله امير المؤمنين عليه
السلام في واقعة اقتضت ذلك ، وذلك انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة
المخزومي ان يخطب الناس يوماً فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام
فقام امير المؤمنين عليه السلام فتسم ذروة المنبر فخطب خطبة طويلة
ذكر الرضي رحمه الله منها هذه الكلمات « (٢) » .

فهو هنا يذكر الواقعة التي اقتضت ان يقول هذا الكلام ، وينص على
ان هذه الكلمات من خطبة طويلة .

ورواه الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٩٦ والآمدي في موضعين
من « غرر الحكم » : ص ٨٢ من اول الكلام المذكور هنا إلى (غصونه)
وروى بها (أغصانه) ، وص ١٣٢ من (واعلموا انكم) إلى آخر
الكلام بنقصان جملة (رحمكم الله) وزيادة (فيه) بعد اللسان (وبعد)
« اللازم » ويظهر من ذلك انه مختص بمصدر .

وروى الزنجشيري في أوائل الجزء الاول من « ربيع الابرار » من قوله
عليه السلام (واعلموا رحمكم الله) إلى آخر الكلام .

(١) العارم : الشرس ، والممازق : من يمزج وده بالفس .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٨٤ .

وقد أخذ هذه الالفاظ بعينها ابو مسلم الخراساني فخطب بها في خطبة مشهورة من خطبه (١) .

وارتج على ابي العباس السفاح في احدى مواقفه الخطابية فاستعان بهذا الكلام (٢) .

٢٣٢ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّبِّ عِزِّ السَّيِّئَاتِ

روى اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد بن مالك بن دحية قال : كنا عند امير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِيءُ طِينِهِمْ ٣ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذِبَهَا ، وَحَزَنَ تُرْبَةً وَسَهْلَهَا . فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ . فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ ٤ ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ ،

(١) شرح نهج البلاغة للحديدي م ٣ ص ١٨٤ .

(٢) أنظر « محاضرات الراغب » : ج ١ ص ٨٩ و « الفرر والعرر » للوطواط ص ١٠٨ .

(٣) طينهم : جمع طينة والمراد عناصر تركيبهم .

(٤) الرواء - بالمد - : المنظر الجميل ، وماد القامة : الطويل ، وقريب القمر : كناية عن القصير ، وبعيد السبر : أي بعيد الغور ، والمراد به الداهية .

وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ
الْجَلِيبَةِ ١ ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ
حَدِيدُ الْجَنَانِ .

قد ذكر الرضي رحمه الله سند هذا الكلام ، ونضيف الى ذلك ان
الزمخشري روى هذا الكلام في الجزء الاول من (ربيع الابرار) الورقة : ١١٠

٢٣٣ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدْ أَنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ
بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ .
خَصَّصْتَ ٢ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ
حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ

(١) الضريبة : الشيمة ، والجليبة : الخلق المتكلف .

(٢) قال ابن أبي الحديد والشيخ محمد عبده ما حاصله : أنك خصصت بمصيبتك أهل
بيتك حتى لا يكثر ثون بما يصيبهم بعدك ، وأرى أن « خصصت » بضم الخاء على البناء للمفعول
والمعنى أن من خصائصك التي خصصت بها أن المصيبة بفقدك أنت كل مصيبة سواها حتى
صرت مسلماً عن سواك مع أن مصيبتك عامة لتساوي جميع الناس في المصاب بك .

وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ ١ ،
وَلِكَانَ الدَّاءِ مُمَاطِلًا وَالْكَمْدُ مُحَالِفًا وَقَلًّا لَكَ ٢ ، وَلَكِنَّهُ
مَا لَا يُمْلِكُ رَدُّهُ ٣ وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي
أَذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

هذا الكلام رواه محمد بن حبيب المتوفى (٢٤٥) اي قبل ولادة الرضي
بمائة واربع عشرة سنة في أماليه (٢) وزد على ذلك ان ابا اسحق ابراهيم بن
السري بن سهل النحوي المعروف بالزجاج ، المتوفى سنة (٣١١) اي قبل
ان يولد الرضي بنحو ثمان واربعين سنة ، رواه في اماليه : ص ١١٢ كهذا :
اخبرنا محمد بن يزيد المبرد قال : حُذِثْنَا مِنْ غَيْرِ وَجْهِ ، بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ ،
وَمَعَانٍ مُتَّفَقَةٍ ، وَبَعْضُهَا يُزِيدُ عَلَى بَعْضٍ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَوَلَّى
غَسَلَهُ الْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ ، قَالَ عَلِيٌّ فَلَمْ أَرَهُ يُعْتَادُ فَاهُ مِنَ التَّغْيِيرِ مَا يُعْتَادُ
أَفْوَاهُ الْمَوْتَى ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ غَسَلِهِ . كَشَفَ الْأَزَارَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : بِأَبِي
أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا ، وَطُبْتُ مَيِّتًا . الخ ..

كما رواه المفيد في « الامالي » : ص ٦٠ بسنده عن ابن عباس .
وفي « نهاية ابن الاثير » : ج ٣ ص ١٤٣ « مادة (طيب) قال ومنه حديث
علي لما مات رسول الله قال : (بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طُبْتُ حَيًّا . وَطُبْتُ مَيِّتًا) .
فالكلام لعلي عليه السلام لا يشك فيه فهو بكلامه اشبه ، وبمذهبه اليق .

-
- (١) أَنْفَدْنَا : أَفْنَيْنَا ، وَالشُّؤُونُ مَنَابِعُ الدَّمْعِ مِنَ الرَّأْسِ .
(٢) الدَّاءُ الْمَاطِلُ : بَطِيءُ الْبَرِّ ، وَالْكَمْدُ : الْحُزْنُ ، وَمُحَالِفَتُهُ : مُلَازِمَتُهُ ، وَقَلًّا فَعَلَ مَا ضَرَّ
وَالْمَعْنَى أَنَّ الدَّاءَ الْمَاطِلَ ، وَالْكَمْدَ الْمُحَالِفَ قَلِيلَتَانِ لَكَ .
(٣) أَيُّ لَيْسَ لِأَحَدٍ رَدُّهُ .
(٤) أَنْظَرَ شَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ م ٣ ص ١٩٤ .

خصوصاً وهو يشكو فيه داء الفتنة التي استعر نارها - كما في رواية محمد بن حبيب - وقد وهم من نسب هذا الكلام إلى غيره^(١)، لأن من سبر اغوار التاريخ علم ان علياً هو الاصل والجملة والتفصيل في امر رسول الله ﷺ وجهازه^(٢)، وان من نسب اليه هذا الكلام ليس له في ذلك الامر ناقة ولا جمل . لم يشهده في مرضه ، ولم يحضره عند موته ، ولم يل شيئاً من امره .

قال ابن ابي الحديد : روى محمد بن حبيب في اماليه ، قال : تولى النبي ﷺ علي عليه السلام والعباس رضي الله عنه ، وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك : ما شمت اطيب من ريحه ، ولا رأيت اضوأ من وجهه حينئذٍ ، ولم اره يعتاد فاه ما يعتاد افواه الموتى .

قال محمد بن حبيب : فلما كشف الازار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مراراً ، وبكى طويلاً ، وقال : « بأبي انت وامي طبت حياً وطبت ميتاً ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد سواك من النبوة والانباء واخبار السماء ، خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك ، وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء ، ولولا انك امرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ، ولكن اتى ما لا يدفع ، اشكو اليك كمداً وادباراً محالفين ، وداء الفتنة فانها قد استعرت نارها ، ودأوها الداء الاعظم ، بأبي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك وهمك » .

ثم نظر إلى قلادة في عينه فلفظها بلسانه ثم رد الازار على وجهه^(٣) اهـ .

(١) أنظر (زهر الآداب) ج ١ ص ٣١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٩٤ .

٢٣٤ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به :

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَا خَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطِئُ ذِكْرَهُ حَتَّى أَنْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرْجِ ١ (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)
قال الرضي رحمه الله : قوله عليه السلام : « فَأَطِئُ ذِكْرَهُ » مِنْ أَلْكَالِمِ الَّذِي رَمَى بِهِ إِلَى غَايَتِي الْإِجَازِ وَالْفَصَاحَةِ ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطِي خَبْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَكُنْتُ عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكُنَايَةِ الْعَجِيبَةِ .

رواه ابن الاثير في الجزء الخامس من (النهاية في غريب الحديث) مادة (وطأ) .

٢٣٥ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِ الْبَقَاءِ ٢ وَالصُّحُفَ مَنْشُورَةً ،

(١) العرج : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) في نفس - بفتح الفاء - أي في سمته ، يقال : هو في نفس من أمره أي في سمته .

وَالْتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى ، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى .
 قَبْلَ أَنْ يَخْمَدَ الْعَمَلُ ١ ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهْلُ ، وَيَنْقُضِيَ
 الْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ ٢ .

فَأَخَذَ أَمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ . وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ
 لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَنٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . أَمْرُؤٌ
 خَافَ اللَّهَ ٣ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ ،
 أَمْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ، فَأَمْسَكَهَا
 بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ .

رواه الآمدي في (الغرر) ص ٤٥ في حرف الالف بهذه الصورة :
 « اعملوا وانتم في آونة البقاء » الخ ولو كان قد نقلها عن (النهج) لرواها
 « وانتم في نفس البقاء » .

(١) يَحْمَدُ أي يَنْقَطِعُ بموت صاحبه وتروى « يَحْمَدُ » أي يتوقف .

(٢) أَمْرٌ بصيغة الماضي أي فليأخذ ، والحي والميت هو المرء نفسه أي فليأخذ في حياته
 لموته .

(٣) أي أن الناجي هو الذي خاف الله وهو في مدة الحياة إلى الأجل ، ومنظور أي مهمل ،
 وتفكر في بلاغته عليه السلام باستمارة اللجام والزمَام .

٢٣٦ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في شأن الحكمين وذم اهل الشام

جُفَاءَ طَعَامٍ ، وَعَبِيدُ أَقْزَامٍ ١ . جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ،
وَتُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ ٢ ،
وَيُعَلَّمَ وَيُدْرَبَ ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ .

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا
تَكْرَهُونَ ٣ ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ
يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سِيُوفَكُمْ »
فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرِهٍ ٤ ،

(١) جفأ : جمع جاف وهو الجلف والطغام : أوغاد الناس وأوباشهم يتساوون في ذلك الواحد والجمع يقال للأشرار والشرار عبيد وإن كانوا أحراراً ، والأقزام : الرذال والسفلة .
(٢) من كل أوب : أي من كل ناحية ، ومن كل شوب من فرق مختلطة وكل واحد منهم يحتاج إلى التعليم والتأديب .

(٣) الذين يكرهون انتصار أهل الشام عليهم والذي اختاروه عمرو بن العاص ولا شيء أحب إليه من ذلك ، أما الذي اختاره أهل العراق فهو عبد الله بن قيس المعروف بأبي موسى الأشعري ولا شيء أحب إليه من انكسار أصحاب علي عليه السلام وهذا معروف من قوله
(٤) أي بمسيره مع علي عليه السلام إلى صفين فقد روى أنه حضر صفين .

وإن كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ اَلتَّهْمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ
عَمْرٍو بَنِ اَلْعَاصِ بِعَبْدِ اَللّٰهِ اَبْنِ اَلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ
اَلْأَيَّامِ ، وَحُوطُوا قَوَاصِي اَلْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ
تُغْزَى ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى ۱ .

ذكرنا مصدر هذا الكلام فيما تقدم برقم (٢٦) لانه فصل من الكتاب
الذي كتبه وامر ان يقرأ على الناس .

٢٣٧ - وَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم :
هُمْ عَيْشُ اَلْعِلْمِ ، وَمَوْتُ اَلْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ
عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكْمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا
يُخَالِفُونَ اَلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . هُمْ دَعَائِمُ اَلْإِسْلَامِ ،
وَوَلَاتِجُ اَلْإِعْتِصَامِ ٢ بِهِمْ عَادَ اَلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ ٣ ،
وَأَنْزَا حَ اَلْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ ، وَأَنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنِينِهِ .

(١) مهل الأيام : السمة فيها ، وقواصي الإسلام : أطرافه ، والصفاء : الحجر المساء
ويقال رمى فلان صفاء فلان : إذا دهاه بدهاية .

(٢) الولايج : جمع وليجة وهو الموضع يدخل فيه ويستتر فيه ، ويعتصم به .

(٣) عاد إلى نصابه : رجع إلى مستقره .

عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وَعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ ١ ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ
وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ ، كَثِيرٌ وَرِعَاتُهُ قَلِيلٌ .

هذا فصل من الخطبة التي مرت برقم (١٤٥) وقد تعرضنا لمصادرها هناك
في الجزء الثاني ص ٢٣٩ .

٢٣٨ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لابن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان
وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبُع ٢ ليقبل
هَتَفُ النَّاسِ بِأَسْمِهِ للخلافة ٣ بعد ان كان سألَه مثل
ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يَا أَبْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا
نَاضِحًا بِالْغَرْبِ ٤ أَقْبِلْ وَأُدْبِرْ ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ،

- (١) أي وعاية فهم وإدراك أصالة لا تقليداً ورعاية العلم : العمل به .
(٢) ينبع (بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة) بوزن يحلم ويحكم
بين مكة والمدينة كان بها وقوف لأُمير المؤمنين عليه السلام وقد تولاهما ولده من بعده .
(٣) هتف الناس : صياحهم ، ومناداتهم باسم أمير المؤمنين للخلافة ، كانوا يهتفون به
عليه السلام وعثمان محصور فأرسل إليه عثمان يطالب منه أن يخرج إلى ينبع ، فخرج فلم يقل هتافهم
باسمه ، وتفاقم الأمر ثم استدعاه فحضر فزاد الأمر توتراً فطلب إليه أن يخرج إلى ينبع .
(٤) الناضح في الأصل : الحمل يسقى به الزرع ، سمى ناضحاً لأنه ينضح العطش ، أي
'بله بالماء الذي يحمله ، ثم استعمل الناضح في كل بعر وان لم يحمل الماء ، والغرب - بفتح
فسكون - الدلو الكبير .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ
أَخْرُجَ . وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا

روى بعض ذلك ابن عبد ربه في « العقد الفريد » : ج ٤ ص ٣٠٩
وقال بعد ذلك : فخرج علي إلى ينبع فكتب إليه عثمان حين اشتد الأمر :
أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين (٢) ، وطمع في من كان
يضعف عن نفسه :

فأنك لم تفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك غير مغلب
فاقبل إلي على أي امرئك أحببت ، وكن لي أم علي ، صديقاً كنت أم عدواً :
فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل والا فادركني ولما أمركي
وروى مثل ذلك المبرد في « الكامل » ج ١ ص ١١ ، وابن قتيبة في
« الإمامة والسياسة » ج ١ ص ٣٤ .

٢٣٩ - فَمِنْ خُطْبَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يبحث فيها أصحابه على الجهاد

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرُهُ ٣ وَمُورِثُكُمْ أَمْرُهُ ، وَمُمَهِّلُكُمْ

(١) يحتمل قوله عليه السلام : « حتى خشيت ... الخ » ثلاثة وجوه (الأول) دافعت
عنه حتى خشيت لكثرة أحداثه أن أكون آثماً (الثاني) إني خشيت الإثم في تنزيري بنفسي لأن
الإقدام في دفع الجمع العظيم في مثل تلك الأمور ضرر على المدافع (الثالث) أنه خشي الأثم من
الإفراط في حقهم كأن يضرب أحدهم بالسوط أو يغلظ له في القول .

(٢) الزبى جمع زبية : مصيدة الأسد ، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة ، وتقول
العرب : قد علا الماء الزبى : إذا جل الأمر عن أن يغير أو يصلح ، قال المعاج (قد بلغ الماء
الزبى فلا غير) وتقول العرب : في الأمر إذا فسد فلا يرجى صلاحه : (قد بلغ الحزام الطبيين)
والأطباء جمع طبي للمخيل كالأخلاف للابل .

(٣) مستأديكم : طالب منكم .

فِي مَضْمَارِ مَحْدُودٍ لَتَتَنَازَعُوا سَبْقَهُ . فَشَدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ ١ ،
وَأَطَوْوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ ، وَلَا تَجْتَمِعْ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ ٢ .
مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ ٣ ، وَأَمَحَى الظُّلَمَ
لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ .

في (غرر الحكم) ص ٣٠٨ : « ما انقض النّوم بعزائم اليوم » وفيه
ص ٣٤٦ : « لا يجتمع عزيمة ووليمة » بالمشناة التحية .

وقال ابن ابي الحديد : « اتى عليه السلام بثلاثة امثال مخترعة لم يسبق بها
وان كان قد سبق بمعناها وهي قوله : « لا تجتمع عزيمة ووليمة » وقوله :
« ما انقض النّوم لعزائم اليوم » وقوله : « وأمحى الظلم لتذاكير الهمم » .

وهذا آخر ما جمعه الشريف الرضي عطر الله مرقداه من كلام امير
المؤمنين صلوات الله وسلامه وخطبه في (الباب الاول) من ابواب (نهج
البلاغة) .

وهو ايضاً آخر ما يسر الله تعالى جمعه من مصادر هذا الباب .
وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله مصابيح الدجى، والعروة
الوثقى وسلم تسليماً كثيراً .

-
- (١) المضار : مر معناه مراراً والمراد به هنا معطيكم المهلة في مضار الحياة المحدود،
والسبق - بالتحريك - الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق والمراد به هنا الأجر .
(٢) عقد المآزر هنا كناية عن الجد والتشهير .
(٣) لا يجتمع عزيمة ووليمة أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذات .
(٤) أي ما أشد النّوم نقضاً لعزيمة النهار وهو أن الإنسان يعزم نهاراً على عمل شيء . فيأخذه
النّوم دونه ، ومثله المثل الثاني لأن الظلم جمع ظلمة متى دخلت تحت تذكار الهمة التي كانت
بالنهار ، والحمد لله أولاً وآخراً .

* باب *

لِخْتَارِ مَنْ كُتِبَ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِثَلَاثِ أَعْدَادٍ وَأَمْرٍ بِالْأَوَّلِ
وَسَيُخْلَفُ فِي ذَلِكَ مَا لَخْتَيْنِ مِنْ عَهْدِهِ إِلَى عَمَلِهِ . وَوَصَايَاهُ لِأَهْلِهِ وَأَهْوَابِهِ

« لما فرغ من إيراد المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجاري مجرى الخطب من المواعظ والزواجر شرع في إيراد باب من مختار كلامه عليه السلام ، وهو ما كان جارياً مجرى الرسائل والكتب ، ويدخل في ذلك المهود والوصايا. وقد أورد في هذا الباب ما هو بالباب الأول أشبه »

« ابن أبي الحديد »

١ - ومن كتابه عليه السلام

إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :
 مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةً
 الْأَنْصَارِ . وَسَامِ الْعَرَبِ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ
 سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ . إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا
 مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْتَابَهُ وَأَقْلُ عِتَابَهُ ، وَكَانَ
 طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ^(١) ، وَأَرْفَقُ
 حَدَائِهِمَا الْغَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةٌ غَضِبَ
 فَأُتِيَاحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ
 وَلَا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخِيرِينَ .

وَأَعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ،
 وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ ،
 فَاسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(١) الوجيف : السريع .

روى محمد بن اسحق^(١) عن عمه عبد الرحمن بن يسار قال : لما نزل علي
الربذة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى أهل الكوفة محمد بن جعفر بن أبي
طالب^(٢) ومحمد بن أبي بكر الصديق وكتب اليهم هذا الكتاب ، وفي آخره
زيادة على ما في « النهج » : فحسبي بكم إخواناً ، وللدين أنصاراً « فانفروا
خففاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله لعلكم تفلحون » .
نقل ذلك عن ابن اسحق مع تلك الزيادة ابن أبي الحديد^(٣) .

وروى هذا الكتاب أيضاً ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) : ج ١ - ٦٧
مع زيادة واختلاف يسير .

ورواه الشيخ المفيد في (الجمل) ص ١٣١ وفي روايته أن الكتاب مرسل
إلى أهل الكوفة مع الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنه .
ونقل الزمخشري طرفاً من هذا الكتاب وفسر بعض كلماته في الجزء

(١) أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار القرشي بالولاء إمام أصحاب السير والمغازي ، كان
صدوقاً من محور العلم ، ثبتاً في الحديث ، وقد عده الشيخ في رجاله من أسند عن الإمام الصادق عليه
السلام ، نشأ بالمدينة ، واضطر إلى الخروج منها إلى مصر بسبب تشييعه ، ثم قدم على أبي جعفر
المنصور وهو بالخيرة ، وكتب له المغازي ، وسبع منه أهل الكوفة بهذا السبب ، وكتابه في السيرة
ينقسم إلى قسمين « مبتدأ الخلق » و « المغازي » والظاهر أنه لم يبق من هذين الكتابين إلا ما اختاره
ابن هشام من سيرة النبي صلى الله عليه وآله ، وما نقله أصحاب الكتب منها كالطبري وابن
أبي الحديد وغيرهما .

توفي ابن اسحق ببغداد سنة ١٥١ ودفن في مقبرة الخيزران في الجانب الشرقي
(٢) محمد بن جعفر أمه أساء بنت عميس كان مع عمه يوم صفين وبارز عبيد الله بن عمر بن
الخطاب فتعانقا بعد أن انكسر رماهما فعض كل واحد منهما أنف صاحبه فوقما عن فرسيهما وحمل
أصحابهما عليهما فقتل بعضهم بعضاً حتى صار عليهما مثل التل العظيم من القتل فلما كشفوهما فإذا
هما متعانقان فقال علي عليه السلام لما رأى ذلك : أم والله لعن غير حب تعانقتما . ومحمد هذا أحد
المحامدة الذين قال فيهم علي عليه السلام : إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل . وهم محمد بن
جعفر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن الحنفية .

(٣) شرح نهج البلاغة : م ٣ ص ٢٩١ .

الرابع من (ربيع الابرار) باب العداوة والبغضاء ونحوهما .
ورواه الطوسي في (الأمالي) ج ٢ ص ٣٥٩ بتفاوت مع رواية الرضي .
وما نقله الرضي من هذا الكتاب مختاره كما هي عادته .

٢ - ومن كتابه عليه السلام

إليهم بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ
أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ ،
فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد فتح البصرة وبعثه مع عمر بن سلمة
الارحبي إلى أهل الكوفة ، نقله المفيد في كتاب « النصر » ص ٢١٥ عن
كتاب « الجمل » للواقدي بسنده عن عمر بن سعد (١) عن يزيد بن الصلت ،
عن عامر الاسدي ، وأول هذا الكتاب :

من عبد الله علي بن أبي طالب إلى قرظة بن كعب (٢) ومن قبله من المسلمين

(١) هو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي ، أنظر ج ٢ ص ٨٤ من هذا الكتاب .

(٢) قرظة بن كعب الأنصاري شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وهو أحد العشرة
الذين بعثهم عمر مع عمار بن ياسر لما ولاه الكوفة لتعليم الناس ، وفتح الري سنة ٢٣ ، ونزل
الكوفة ، وولاه أمير المؤمنين عليه السلام عليها لما خرج إلى حرب الجمل ولذا ترى أن الكتاب في
المتن باسمه ، ولما خرج علي عليه السلام إلى صفين أخذه معه وجعل على الكوفة أبا مسعود البصري ،
وتوفي قرظة بالكوفة في أيام أمير المؤمنين عليه السلام - على الأصح - وصلى عليه . وهو أول من
نيج عليه بالكوفة ، وخلف أولاداً أشهرهم عمرو وعلي (أما عمرو) استشهد مع الحسين عليه
السلام بكر بلاء ، جاءه لما نزل الكوفة وانضم إليه ففاز بالشهادة ، وهو القائل يومئذ .
قد علمت كتاب الأنصار أني سأحيي حوزة الدمار

سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو .

أما بعد : فانا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا ، الباغين علينا من أمتنا فحاججنهم إلى الله ، فنصرنا الله عليهم ، وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت اليهم بالنذر ، وأشهدت عليهما صلحاء الأمة ، فما أطاعا المرشدين ، ولا أجابا الناصحين ، ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جُمٌّ لا يحصي عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا ، فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر ، مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونبيها من الحرب ، واغترار من اغتر بها ، وما صنعت من التفرقة بين المؤمنين ، وسفك دماء المسلمين ، لا بينة ولا معذرة ولا حجة لها ، فلما هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبراً ، ولا يجhez على جريح ، ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا باذن أهلها ، وقد امننت الناس ، واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ، ورفع درجاتهم ، وأثابهم ثواب الصابرين ، وجزاكم من أهل مصر ... إلى آخر ما ذكره الشريف الرضي وبعده :

فنعم الاخوان والاعوان على الحق أنتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه عبيد الله بن أبي رافع (١) في رجب سنة ست وثلاثين .

= فعل غلام غير نكس شار دون حسين مهجتي وداري
يعرض بقوله : « وداري » بعمر بن سعد فإنه قال للحسين عليه السلام أخاف على داري تهدم .
(أما علي) فأنضم إلى عمر بن سعد وقاتل الحسين عليه السلام وأصابته طعنة يومئذ برى منها .
(١) عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله كان هو وأخوه علي كاتبين لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهما من الأوائل في التأليف في صدر الإسلام ، فقد ألف عبيد الله كتاب « قضايا أمير المؤمنين » وكتاب « من شهد مع أمير المؤمنين حروبه الثلاثة من الصحابة » وألف علي كتاب « الرضوء والصلاة » .

٣ - ومن كتابه عليه السلام

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روي أن شريح بن الحارث قاضي أمير المؤمنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له : بَلَّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِينَاراً وَكَتَبْتَ كِتَاباً وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهوداً ، فَقَالَ شَرِيحٌ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرٌ مُغْضِبٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ :

يَا شَرِيحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مِنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً ، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً . فَاَنْظُرْ يَا شَرِيحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ . أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا أَشْتَرَيْتَ لَكْتُبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي

شَرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ. وَالنُّسخَةُ هَذِهِ: « هَذَا
مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ ،
اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ ،
وَحِطَّةُ الْهَالِكِينَ ، وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودُ أَرْبَعَةٍ : الْوَحْدُ
الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ ، وَالْوَحْدُ الثَّانِي يَنْتَهِي
إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ ، وَالْوَحْدُ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى
أَلْهَوَى الْمُرْدِي ، وَالْوَحْدُ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ
الْمُغْوِي ، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ . اشْتَرَى هَذَا
الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هَذِهِ الدَّارَ
بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقِنَاعَةِ وَالْدُخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ
وَالْفِرَاعَةِ ، فَمَا أَدْرَاكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ
مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبْلِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ ، وَسَالِبِ نَفُوسِ
الْجَبَابِرَةِ ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفِرَاعِنَةِ ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ ،
وَتَبَعِ وَحَمِيرَ ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَكَثُرَ ،
وَبَنَى وَشَيْدَ ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ ، وَأَدَّخَرَ وَاعْتَقَدَ وَنَظَرَ
بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرَضِ

وَالْحَسَابِ ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ . إِذَا وَقَعَ
الْأَمْرُ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ « وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ » شَهِدَ
عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا أُخْرِجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ
عَلَائِقِ الدُّنْيَا .

قال ابن ابي الحديد : «املى عليه كتاباً زهدياً وعظيماً مماثلاً لكتب الشروط
التي تكتب في ابتياع الأملاك - إلى أن قال - وهذا يدل على أن الشروط
المكتوبة الآن قد كانت في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها إلا أنا ما
سمعنا عن أحد منهم أنه نقل صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر كما نظمه
هو عليه السلام ، ولا غرو فما زال سباقاً إلى العجائب والغرائب» (١) .

أما قصة دار شريح فرواها الشيخ الصدوق في أماليه ص ١٨٧ باسناده
المتصل بالسيد عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبيه عن ابان مولى زيد بن
علي عن عاصم بن بهدلة قال : قال لي شريح القاضي اشترت داراً بثمانين
ديناراً ، وكتبت كتاباً ، واشهدت عدولا ، فبلغ ذلك امير المؤمنين علي بن
ابي طالب عليه السلام ، فبعث إلي قنبراً مولاه فأتيته ، فلما ان دخلت عليه
قال : يا شريح اشترت داراً ، وكتبت كتاباً ، واشهدت عدولا ووزنت
مالاً ؟.. وذكر كما في (النهج) مع تفاوت يسير جداً .

وذكرها من المتأخرين عن الشريف الرضي سبط ابن الجوزي في (تذكرة
الخواص) ص ١٨٥ تحت عنوان خاص عن الشعبي وذكر ما في (النهج)
بتفاوت قليل وزاد عليه هذه الكلمات : شهد على ذلك التواني بن الفاقة ،

(١) الشرح م ٣ ص ٢٩ .

والغرور بن الأمل ، والحرص بن الرغبة ، واللهو بن اللعب ، ومن اخلد إلى محل الهوى ، ومال إلى الدنيا عن الأخرى .

وذكرها أيضاً القاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٣٥ تحت عنوان : (شرط له كرم الله وجهه في شراء دار) بتفاوت في بعض الالفاظ ورواها الشيخ البهائي في (أربعينه) ص ٧٧ بسنده المتصل بأبان مولى زيد بن علي عليهما السلام وفي آخره شهد بذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ونظر بعين الزوال إلى أهل الدنيا وسمع منادي الزهد ينادي في عرصاتها (ما ابين الحق لذي عينين) إن الرحيل احد اليومين تزودوا من صالح الأعمال وقربوا الآمال بالآجال فتأمل .

٤ - ومن كتابه عليه السلام

إلى بعض أمراء جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نَحِبُ ، وَإِنْ
تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعَصِيَانِ فَانْهَدْ بِمَنْ
أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ ، وَاسْتَغْنِ بِمَنْ أَنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ
تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ شُهُودِهِ ،
وَقَعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

الأمير الذي كتب اليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، وذلك

(١) انهد : انهض ، وتقاعس : أبطأ .

حين انتهى اصحاب الحمل اليها ، وعزموا على الحرب فكتب عثمان اليه
يخبره بما لهم فكتب عليه السلام اليه كتاباً فيه الفصل المذكور (١) .
وجاء في « تذكرة » سبط ابن الجوزي الحنفي ما هذا نصه :
ومن كتاب كتبه إلى بعض امراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن
الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، رواه الشعبي عن ابن عباس : (٢)
سلام عليك ، أما بعد : فان عادت هذه الشرذمة إلى الطاعة فذلك الذي
اثره ، وإن تمادى بهم العصيان إلى الشقاق فأنه بمن أطاعك إلى من عصاك ،
واستعن بمن اتقاد معك على من تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من
حضوره ، وعدمه خير من وجوده ، وقعوده أغنى من نهوضه (٣) .

ليس - رعاك الله - في نص ابن ميثم على الأمير المكتوب اليه هذا الكتاب ،
ورواية السبط له بما يختلف مع رواية الرضي في بعض الفقرات والكلمات
مع ما تقدم له من التمهيد الذي خلا منه « النهج » دليل على ان الرضي لم
يجيء به من عنده ، ولم ينفرد بروايته . هذا وقد ذكر السبط في أول الباب
السادس من كتابه هذا إنه لم ينقل من كلام علي عليه السلام الا ما اتصل به
اسناده (٤) .

٥ - ومن كتابه عليه السلام

إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان
وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ

(١) شرح نهج البلاغة لميثم البحراني ٤ / ٣٤٩ .

(٢) لاحظ أنه ليس في « النهج » ذكر للشعبي ولا لابن عباس .

(٣) تذكرة الخواص ص ٦٦ .

(٤) أنظر « التذكرة » ص ١٢٩ .

أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ . لَيْسَ لَكَ أَنْ
تَفْتَاتُ فِي رَعِيَّةٍ وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ
مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ
إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا وَلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ .

هذا الكتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الحمل^(١) ، وقد نقله
نصر في كتاب « صفين » ص ٢٠ واوله : (اما بعد فلولا هنات كن فيك
كنت المقدم في هذا الأمر قبل الناس ، ولعل امرئ يحمل بعضه بعضاً إن
اتقيت الله ، ثم انه كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك ، وكان طلحة
والزبير من بايعاني ، ثم نقضا بيعتي على غير حدث ، واخرجوا أم المؤمنين ،
وسارا إلى البصرة ، فسرت اليهما فالتقينا ، فدعوتهم إلى ان يرجعوا فيما
خرجوا منه فأبوا ، فأبلغت في الدعاء واحسنت في البقية ، وان عملك ليس
لك بطعمة ... إلى آخر ما في « النهج » .

وفي نهاية هذا الكتاب : وكتب عبيد الله بن ابي رافع في شعبان سنة ست
وثلاثين ، وقد أرسله مع زياد بن مرحب الهمداني^(٢) .

ونقله ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ٣ - ١٠٤ وفيما ذكره زيادات
على ما ذكر نصر .

ونقل ذلك ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ج ٢ ص ٩١ بأخصر مما نقله
نصر وابن عبد ربه . فتأمل .

(١) كان الأشعث عاملاً لعثمان على أذربيجان ، وقد كان عمرو بن عثمان تزوج ابنة
الأشعث قبل ذلك ، وبقي على عمله ، فلما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أصحاب الحمل كتب
إليه بالكتاب المذكور .

(٢) أنظر شرح النهج لابن ميثم ، ج ٤ ص ٣٥٠ و ٣٥١ .

٦ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ
عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ
وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ،
فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ
رِضًى ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بَطْعَنٍ أَوْ بِدْعَةٍ
رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى .

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَشِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ
لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي
كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى . فَتَجَنَّ مَا بَدَأَ لَكَ
وَالسَّلَامُ .

هذا الفصل من كتاب كتبه عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي حين
نزعه من همدان . وصدره : «أما بعد ، فإن بيعتي بالمدينة لزمك وانت
بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان » - إلى قوله

عليه السلام — : « وولاه ما تولى . » ويتصل به : « ويصليه جهنم وساءت مصيراً ، وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضوا بيعتي ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور إلى قبولك العافية . إلا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك ، واستعنت عليك بالله وقد اكرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلى احمالكم على كتاب الله ، فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن . »

ثم يتصل به قوله عليه السلام : « ولعمري — يا معاوية — لأن نظرت إلى آخر ما ذكر الرضي وبعده :

« واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعقد معهم الامامة ، ولا تعرض فيهم الشورى ، وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله . »

ولما بلغ جرير الشام أوصل الكتاب إلى معاوية ، ودعا الناس إلى بيعة علي عليه السلام وحذرهم الفتنة ، وخوفهم العاقبة فقال معاوية : انظر ونظر واستطلع رأي اهل الشام .

ومضت ايام وطاول جريراً بالجواب ، فاستحثه بالبيعة ، فقال معاوية : يا جرير انها ليست بخلسة ، وانه امر له ما بعده ، فابلغني ريتي .

ثم نادى معاوية بالصلاة جامعة فاجتمع اليه اهل الشام فخطبهم ، وأثنى عليهم لطاعتهم ومناصحتهم ، وكيف جعلهم الله اهل الارض المقدسة ، ومحل الانبياء والاولياء لما علم ايمانهم . وقال في كلامه : انه خليفة عمر عليهم وابن عم عثمان ، ووليه ، ودعاهم إلى الطلب بدمه ، فأجابوه إلى

ذلك ، وبايعوه عليه ، واوثقوا له ان يبذلوا اموالهم وانفسهم حتى يدركوا
بشاره أو تلحق ارواحهم بالله .

واحب الزيادة في الاستظهار فدعا اهل ثقته فاستشارهم ، فأشار عليه
اخوه عتبة بعمر بن العاص وهو يومئذ مقيم بفلسطين ، فكتب اليه معاوية
يعلمه بقدم جريز في بيعة علي ، وانه حبس الأمر عليه ، وطلب منه ان
يقدم للمذاكرة فاستشار عمرو ولديه عبد الله ومحمد آبالأمر ، فنهاه عبد الله
وحبذ له محمد .

فقال عمرو : اما انت يا عبد الله فأمرني بما هو خير لي في ديني ، واما
انت يا محمد فأمرني بما هو خير لي في دنيائي ، وانا ناظر ، فبات ليلته
ساهراً مفكراً في الأمر فلما أصبح دعا غلامه وردان وكان داهياً ، وقال
ارحل يا وردان ، ثم قال : احطط يا وردان ثم قال : ارحل يا وردان
احطط يا وردان ، وجعل يردد هذا القول ، فقال وردان : خلطت يا أبا
عبد الله ، اما إن شئت انبأتك بما في قلبك . قال : هات ويحك قال :
اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت علي معه الآخرة في غير دنيا ،
وفي الآخرة عوض من الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا
عوض من الآخرة ، وانت واقف بينهما . قال : قاتلك الله ما أخطأت ما في
قلبي فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى ان تقيم في بيتك ، فان ظهر اهل الدين
عشت في عفو دينهم وإن ظهر اهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن :
الآن : لما شهرت العرب سيرى إلى معاوية . فارتحل فسار حتى قدم على
معاوية ، وعرف حاجة معاوية اليه وكايد كل واحد منهما صاحبه ، فقال له
معاوية : يا ابا عبد الله إني ادعوك إلى جهاد هذا الرجل . الذي عصى الله ،
وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة ، وظهر الفتنة ، وفرق الجماعة ،

وقطع الرحم ، فقال عمرو من هو ، قال علي قال : - والله يا معاوية ما انت وعلي حملي بعير ، وليس لك هجرته ولا سابقته ، ولا صحبته ولا جهاده ، ولا فقهه ولا علمه ، وان له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكني قد تعودت من الله تعالى احساناً وبلاء جميلاً ، فما تجعل لي ان شايعتك على حربيه وانك لتعلم ما فيه من الغرر والخطر ؟ قال : حكمك ، فقال : مصر طعنة (١) ، فتلكأ عليه معاوية وقال : يا ابا عبد الله اني اكره ان تتحدث العرب عنك انما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا ، فقال عمرو : دعني عنك ما مثلي يخدع لانا اكيس من ذلك ، قال معاوية : ادن مني اسارك فدنا منه عمرو ليساره فعض معاوية اذنه وقال : هذه خدعة (٢) . واستشار معاوية اخاه عتبة بالامر فقال : اما ترضى ان تشتري عمرأ بمصر إن هي صفت لك ؟ ليتك لا تغلب على الشام فقال : يا عتبة بت عندنا الليلة ، فلما اصبح ارسل إلى عمرو ، واجابه إلى ما طلب ، وكتب له كتاباً على ان لا ينقض شرط طاعة ، فكتب عمرو على ان لا تنقض طاعة شرطاً ، فكأيد احدهما الآخر .

وإلى ذلك اشار امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة (٢٦) : ولم يبايع حتى شرط ان يؤتیه على البيعة ثمنأ ... الخ (٣) .

(١) قال أبو عثمان الجاحظ : كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره وما قد عرفه من أموالها ، وسعة الدنيا فيها فلا يستعظم أن يجعلها ثمنأ من دينه .

(٢) قال ابن أبي الحديد : قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى قول عمرو له : دعنا عنك كناية عن الإلحاد ، بل تصريح به : أي دع هذا الكلام لا أصل له ، فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات ، قال رحمه الله تعالى : وما زال عمرو بن العاص ملحدأ ، ما تردد قط في الإلحاد والزندقة ، وكان معاوية مثله ، ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروي ؛ وإن معاوية عض أذن عمرو ، أين هذا من أخلاق علي عليه السلام وشدة في ذات الله وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة أ. هـ. « الشرح : م ١ / ١٣٧ » .

(٣) نهج البلاغة ١ / ٦٢ .

واستقدم معاوية شرحبيل بن السمط رئيس اليمنية وشيخها ، والمقدم عليها ، ودس اليه رجالا يغرونه بعلي ويشهدون عنده انه قتل عثمان حتى ملأوا صدره حقداً وترة وإحنا على علي عليه السلام وجاء شرحبيل إلى حصين بن نمير وقال ابعث إلى جرير فليأتنا ، فبعث اليه ان زرنا فعندنا شرحبيل فاجتمعوا عند حصين ، فقال شرحبيل أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في طوات الاسد ، وأردت ان تخلط الشام بالعراق ، واطريت علياً وهو قاتل عثمان ، والله سائلك عما قلت يوم القيامة .

فقال جرير : اما قولك : اني جئت بأمر ملفف ، فكيف يكون ملففاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والانصار ، وقوتل على رده طلحة والزبير ؟ واما قولك اني القيتك في طوات الاسد ففي طواتها القيت نفسك واما خلط اهل الشام بأهل العراق فخلطهما على حق ، خير من فرقتهما على باطل ، واما قولك : ان علياً قتل عثمان ، فوالله ما في نفسك وبدنك من ذلك إلا القذف بالغيب من مكان بعيد ، ولكنك ملت إلى الدنيا وشيء كان في نفسك على زمان سعد بن ابى وقاص .

فبلغ ما قالوا إلى معاوية فبعث إلى جرير فزجره .

والقي إلى شرحبيل كتاب غفل لا يدرى كاتبه وفيه :

شرحبيل يا بن السمط لا تتبع الهوى فما لك في الدنيا من الدين من بدل
ولا تلك كالمجرى إلى شر غاية فقد خرق السربال واستنوق الحمل^(١)

(١) مثل يضرب للرجل : يكون في حديث ثم يخلطه بغيره وينتقل ، وأول من قاله طرفة ابن العبد سمع المسيب بن علس ينشد عند عمرو بن هند ملك الحيرة شعراً في وصف جمل حتى بلغ هذا البيت :

وقد أتلقى الهم عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مكدم
فقال طرفة وهو غلام يومئذ : (إستنوق الحمل) فضحك الحاضرون وذلك لأن الصيعرية =

وقل لابن حرب ما لك اليوم خلّة
وأورد ولا تفرط بشيء تخافه
وما من عليّ في ابن عفان سقطة
وما كان إلا لازماً قعر بيته
وصي رسول الله من دون اهله
فمن قال قولاً غير هذا فحسبه
تروم بها ما رمت واقطع له الامل
عليك ولا تعجل فلا خير في العجل
بقول ولا مآلاً عليه ولا قتل
إلى أن أتى عثمان في داره الاجل
ومن باسمه في فضله يضرب المثل
من الزور والبهتان بعض الذي احتمل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر ، وقال : هذه نصيحة لي في ديني ،
ولا والله لا أعجل في هذا الامر بشيء ، وكاد يحول عن نصر معاوية
ويتوقف ، فلفق معاوية له الرجال يدخلون عليه ويخرجون ، وهم يعظمون
عنده قتل عثمان ، ويرمون علياً به ، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب
المختلقة حتى أعادوا رأيه ، وشحدوا عزمه . فقام ودخل على معاوية وقال :
انت عامل امير المؤمنين (عثمان) وابن عمه ، ونحن المؤمنون ، فان كنت
تجاهد علياً وقتله عثمان حتى نأخذ ثأرنا او تذهب ارواحنا استعملناك علينا
والا عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان
او نهلك .

فقال جرير — وكان حاضراً — : مهلا يا شرحبيل فان الله قد حقن الدماء ،
ولمّ الشعب ، وجمع امر الامة ، ودنا من هذه الامة سكون فايالك ان تفسد
بين الناس وامسك عن هذا القول قبل ان يشيع ، ويظهر عنك قول لا تستطيع
رده ، فقال : والله لا اسره ابداً ، ثم قام فتكلم به . فقال الناس : صدق ،

== سمة للناقة فنقلها للفعل .

فغضب المسيب وقال : ليقتلنه لسانه فكان كما تفرس المسيب فقد قتله عمرو بن هند وهو
ابن ست وعشرين سنة والقصة مشهورة في كتب الأدب .

القول ما قال والرأي ما رأى ، فأيس جرير عند ذلك من معاوية ومن عوام اهل الشام .

وأبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس ، قيل مكث ثلاثة اشهر وقيل اربعة ، و اشار على علي عليه السلام اصحابه للاستعداد للحرب فقال عليه السلام : ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام ، وصرف لاهله عن خير ارادوه . إلى آخر الكلام الذي ذكره الرضي تحت رقم (٤٣) خطب (١) .

ولما أبطأ جرير على امير المؤمنين كتب اليه : اما بعد ، فاذا اتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل .. إلى آخر الكتاب وقد ذكره الرضي في هذا الباب وسيأتي الكلام عليه برقم ٨ ان شاء الله تعالى (٢) .

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فقرأه الكتاب ، قال : يا جرير الحق بصاحبك وكتب اليه بالحرب كما سنشير إلى ذلك عند الكلام على مصادر الرسالة الآتية .

اجملت قصة بعث جرير من مطولات السير امثال « صفين » لنصر بن مزاحم و « الامامة والسياسة » لابن قتبية ، وليس فيما ذكرته خروج عن الصدد وإنما الغاية بيان ارتباط مواد « نهج البلاغة » بعضها ببعض .

اما من ذكر كتاب امير المؤمنين عليه السلام مع جرير إلى معاوية قبل الشريف الرضي فهم :

١ - نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٢٩ .

٢ - ابن قتبية في « الامامة والسياسة » ج ١ - ٩٣ .

(١) نهج البلاغة ١ / ٨٩ وانظر ج ١ ص ٤٤٥ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٢١٤ من هذا الجزء .

٣ - ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ج ٤ - ٣٢٢ .

هذا وقد اشار الطبري إلى الكتاب والقصة في التاريخ ٥ - ٢٣٥ ط ليدن ، واحتج شيوخ المعتزلة ومتكلموهم بهذا الكتاب على صحة الاختيار وكونه طريقاً للإمامة (١) كما رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » برواية الكلبي في ترجمة معاوية (٢) .

٧ - ومن كتابه عليه السلام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحِبَّةٌ نَمَّقَتْهَا بِضَلَالِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وَكِتَابُ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلَا قَائِدٌ يَرْشُدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَاَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لَأَغْطَأَ وَضَلَّ خَابِطاً .

(مِنْهُ) لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يَثْنَى فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ . الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ / ٣٠٢ .
(٢) اطلعت على أجزاء مصورة من (تاريخ دمشق) على نسخة المكتبة الظاهرية في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف مضافاً إلى ما أفادني به أخي العلامة الباحث الشيخ محمد باقر المحمودي صاحب كتاب « نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة » .

ما ورد هنا من كتاب نقله قبل الرضي أعثم الكوفي في (الفتوح) ج ٢ ص ٤٣١ والمبرد في (الكامل) ج ١ ص ١٩٣ ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ٦٤ بصورٍ تختلف اختلافاً قليلاً وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً عن كتاب معاوية في اثناء حرب صفين بل في اواخرها^(١). وكان كتاب معاوية :

من عبد الله معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .

اما بعد : فان الله تعالى يقول في محكم كتابه : (ولقد اوحى اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)^(٢) اني احذرك الله ان تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الامة وتفريق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف القيامة ، واقطع عما اسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، واني سمعت رسول الله يقول : (لو تمالأ اهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لا كتبهم الله على مناخرهم في النار) فكيف يكون حال من قتل اعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله^(٣) ما طمحت رحي حربه من اهل القرآن ، وذوي العبادة والايمان ، من شيخ كبير ، وشاب غرير ، كلهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقرر عارف ، فان كنت ابا حسن انما تحارب على الامرة والخلافة فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريباً من ان تعذر في حرب المسلمين ، واكنها ما صحت لك ، أننى بصحتها واهل الشام لم يدخلوا فيها؟ فقد والله اكبتهم الحرب فلم يبق منهم الا كالثمد في قرارة الغدير^(٤) والله المستعان .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٣ / ٣٠٢ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) بله اسم فعل بمعنى دع واترك .

(٤) الثمد : الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف

فكتب علي عليه السلام اليه جواباً عن كتابه :

من عبد الله امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد : اتني منك موعظة موصلة ^(١) ، ورسالة محبرة ، نمتها بضلالك ، وامضيتها بسوء رأيك وكتاب امريء ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فاجابه ، وقاده الضلال فاتبعه ، فهجر لاغطاً ، وضل خابطاً ^(٢) .

فأما امرك لي بالتقوى فأرجو ان اكون من اهلها ، واستعيذ بالله من ان اكون من الذين إذا مروا بها اخذتهم (العزة بالاثم) .

واما تحذيرك اياي ان يحبط عملي ، وسابقي في الاسلام ، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك ان تحذرني ذلك ، ولكني وجدت الله تعالى يقول (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله) ^(٣) فانظر إلى الفئتين ، اما الفئة الباغية فوجدنا الفئة التي انت فيها ، لان بيعتي في المدينة لزمك وانت بالشام كما لزمك بيعة عثمان بالمدينة وانت امير لعمر على الشام وكما لزمك يزيد اخاك بيعة عمر وهو امير لابي بكر على الشام .

واما شق عصا هذه الامة فانا احق ان انهالك عنه ، فاما تخويفك لي من قتل اهل البغي ، فان رسول الله امرني بقتلهم وقتلهم ، وقال لاصحابه « ان

(١) موصلة : مجموعة الألفاظ من هاهنا وهاهنا ، وذلك عيب في الكتابة والخطابة ، وهو الظاهر على رسالة معاوية كما ترى :

(٢) هجر : هدى ، واللاخط : ذو اللنط وهو الصوت والجلبة ، والخطب هنا المشي على غير هدى .

(٣) الحجرات : ٩ .

فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله (٢) « وأشار إلى وأنا أول من اتبع امره (١) » .

وأما قولك : ان بيعتي لم تصح لان اهل الشام لم يدخلوا فيها ! كيف وإنما هي بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يثنى فيها النظر (٢) ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن ، والمروي فيها مداهن (٣) ، فاربع على ظلمك (٤) ، وانزع سربال غيك ، واترك ما لا جدوى له عليك ؛ فليس لك عندي الا السيف حتى تفنيء إلى امر الله صاغراً وتدخل في البيعة راعماً ،

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي ستقاتلك الفئة الباغية ، وأنت على الحق ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني » شرح المواهب للزرقاني : ٣ / ٣١٧ ، وقرأت اخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تقتل عمار الفئة الباغية » وهذا من أخباره بالغيب ، وأعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وهو من أصح الأحاديث . قاله ابن عبد البر في « الإستيعاب » : ج ٢ / ٤٧٤ في ترجمة عمار بن ياسر رضي الله عنه .

وإلى ذلك أشار عمار بن ياسر برجزه يوم صفين كما رواه ابن عبد البر في ترجمته :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نصر بكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام من مقيله ويذهل الخليل عن خليله

أو رجع الحق إلى سبيله

والحديث المذكور في المتن رواه ابن كثير في تاريخه : ٧ / ٣٠٥ من طريق الإمام أحمد . وكون علي عليه السلام مأموراً بقتال الناكثين والفاسطين والمارقين متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحسبك أن ترجع إلى « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٣٠ وما بعدها لترى هناك ما رواه ابن كثير من ذلك عن أحمد وأبي يعلى ، وابن عدي ، والخطيب البغدادي ، وابن عساكر ، والحاكم ، أن علياً عليه السلام قال : أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والفاسطين ، وما روى في ذلك عن أم سلمة وأبي سعيد الخدري ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعتاب بن ثعلبة وغيرهم .

(٢) لا يثنى فيها النظر : أي لا يماود ولا يراجع فيها ثانية .

(٣) المروي فيها : الذي يبطل ويفكر أصله من الروية ، والمداهن : المنافق .

(٤) أربع على ظلمك : أي انك ضعيف . فأرفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق أي اسكت على ما فيك من العيب وأبصر نفسك وعجزك وظلمك كنع ، غمز في مشبه ، وربع كنع أيضاً وقف وانتظر وتحبس .

والسلام (١١) .

٨ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ ،
وَاخْذُهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خِيَرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَةٍ أَوْ
سَلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ
اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلَامَ .

كان جرير قد أرسله علي عليه السلام إلى معاوية - كما قدمنا - فأبطأ جرير
عند معاوية حتى اتهمه الناس ، فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام بهذا
الكتاب (٢) ، وقد رواه قبل الشريف نصر بن مزاحم في كتاب « صفين »
ص ٥٥ ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » ٢ - ٢٣٢ ط : الازهرية .

٩ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا ، وَهَمُّوا

(١) شرح النهج للحديدي : ٣ / ٣٠٢ .

(٢) أنظر ص ٢٠٩ من هذا الجزء .

بِنَا أَلْهُمُّومَ وَفَعَلُوا بِنَا أَلْفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا أَلْعَذْبَ ،
وَأَحْلَسُونَا أَلْخَوْفَ ، وَأَضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعَرٍ ، وَأَوْقَدُوا
لَنَا نَارَ أَلْحَرْبِ ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى أَلذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ،
وَأَلرَّمِيِّ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ . مُؤْمِنًا يَبْغِي بِذَلِكَ أَلْأَجَرَ ،
وَكَافِرًا يُحَامِي عَنْ أَلْأَصْلِ . وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خَلَوْ
مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ
مِنْ أَلْقَتْلِ بِمَكَانٍ أَمْنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا أَحْمَرَ
أَلْبَاسُ وَأَحْجَمَ أَلْنَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ
حَرَ أَلْسُوفٍ وَأَلْأَسِنَّةِ . فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ أَلْحَارِثِ يَوْمَ
بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرُ يَوْمَ مُوتَةَ .
وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ أَسْمَهُ مِثْلَ أَلَّذِي أَرَادُوا مِنْ
أَلشَّهَادَةِ ، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عَجَلَتْ وَمَنِيَّتُهُ أَجَلَتْ . فَيَا
عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ،
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي أَلَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ

يَدْعِي مُدْعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَلَا أَظُنُّ اللَّهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عَثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي
نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسْمَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا
إِلَى غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَشَنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيْكَ وَشَقَاقِكَ
لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي
بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبُ يَسْوءِكَ
وَجَدَانَهُ ، وَزَوْرٌ لَا يَسْرُكَ لِقْيَانَهُ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

كان أبو مسلم الخولاني (١) قد قدم على معاوية في اناس من قراء اهل
الشام — قبل مسير امير المؤمنين عليه السلام إلى صفين — فاحتجوا عليه لعزمه
على قتال علي وليس له مثل صحبته ، ولا هجرته ، ولا قرابته ولا سابقته ،
فادعى عليهم انما يفعل ذلك لان علياً قد آوى قتلته عثمان ، ولو دفعهم اليه

(١) هو عبد الله بن توب : أدرك الجاهلية ، ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو
معدود من تابعي أهل الشام ، تنسب له كرامات يكذبها واقعه الذي عاش فيه من مناصرته لمعاوية
وحربه لأمر المؤمنين مثل : أنه القى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً (مثل ابراهيم الخليل
تماماً) ! ومثل : أنه جاء إلى دجلة وهي ترمى بالخشب لطغيان ماها ، فخاضها بدايته وتبعه
أصحابه (كما فعل موسى الكليم !) ومثل : أن صبيّاً نظر إلى ظبي تعدو في الفلاة فعلم أبو
مسلم أنه يريد بها فدعى الله وحسبها .. إلى آخر ما ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وأبو نعيم
في حليته ٢ / ١٢٢ عندما تعرضا لذكر أحواله ، ولو أن أحداً نسب دون هذه الكرامات
لأحد الأئمة من أهل البيت الذين هم أعدل القرآن لنسب إلى الغلو ورمي بالكفر ، ووسم
بالإلحاد ، تو في أبو مسلم في أيام يزيد بن معاوية .

ليقتصر منهم - وهو وليه - لما قاتله ، فطلبوا منه ان يكتب اليه بذلك ، فكتب معاوية إلى علي عليه السلام بذلك ، وارسل الكتاب مع ابي مسلم الخولاني ، فقدم بالكتاب على امير المؤمنين عليه السلام ، ثم قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

اما بعد فانك قد قمت بأمر وتوليته ، والله ما احب انه لغيرك ان اعطيت الحق من نفسك ، ان عثمان قتل مسلماً محرماً^(١) مظلوماً ، فادفع اليها قتله ، وانت اميرنا ، فان خالفك احد من الناس كانت ايدينا لك ناصرة ، والسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذا عذر وحجة .

فقال له علي عليه السلام : اغد علي غداً فخذ جواب كتابك ، ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه ، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فملاؤا المسجد واخذوا ينادون : كلنا قتل ابن عفان ، واذن لابي مسلم فدخل على امير المؤمنين فدفع اليه جواب كتاب معاوية ، فرجع ابو مسلم بالجواب من امير المؤمنين وهو يقول : الآن طاب الضراب ، في قصة مشهورة رواها المؤرخون تجدها مفصلة في « صفين » لابن مزاحم : ص ٨٥ وما بعدها كما تجد الكتاب والجواب هناك ، وما ذكره الشريف هنا هو آخر الكتاب ، وقد رواه مختصراً ابن عبد ربه في العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٣٥ . كما رواه البلاذري في ترجمة علي عليه السلام من « انساب الاشراف » ص ٢٨٢ ط الأعلمي واستشهد في قطعة منه شيخنا المفيد رحمه الله كما في (الفصول المختارة) من (العيون والمحاسن) : ٢ - ٧٦ ، ونقله الخطيب الخوارزمي في (المناقب) : ١٧٦ ويشتمل ما رووه على جميع ما اختاره الرضي في هذا الموضع ، وسيأتي كلام عليه في الكتاب (٢٢) ان شاء الله تعالى .

(١) محرماً : أي له حرمة وذمة قال الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مقتولا

١٠ - ومن كتابه عليه السلام إليه أيضاً

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا
أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجْتَ بِزِينَتِهَا وَخَدَعْتَ بِلَذَّتِهَا
دَعْتَكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتَكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرْتَكَ فَأَطَعْتَهَا .
وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ
مُنْجٍ . فَاقْعَسُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ، وَخُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ ،
وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ الْغَوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ،
وَلَا تَفْعَلْ أُعْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ
مُتَرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخِذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ،
وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ .

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرِّعِيَةِ ، وَوُلَاةَ أَمْرِ
الْأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ
مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ وَأَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي

غِرَّةِ الْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفِ الْعَلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِباً وَآخِزْهُ
إِلَيَّ وَأَعْفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى
قَلْبِهِ وَالْمُغْطَى عَلَى بَصَرِهِ . فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ
وَحَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي ،
وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيناً ، وَلَا
اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً . وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكَتُمُوهُ
طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ
حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَأَطْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ،
فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ
الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعاً
مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ
مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاكِدَةٌ ، أَوْ
مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ .

أول هذا الكتاب : من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام على من اتبع الهدى ، فإني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد ، فإنك رأيت الدنيا وتصرفها بأهلها فيما مضى منها ، وخير ما بقي من الدنيا ما أصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ، ومن يقس الدنيا بشأن الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً .

واعلم يا معاوية بأنك قد ادعيت امرأ لست من أهله ، لا في القدم ، ولا في البقية ، ولا في الولاية ، ولست تقول فيه بأمر بين يعرف لك فيه اثر ، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ، ولا عهد تدعيه من رسول الله ﷺ فكيف انت صانع ... إلى آخر ما رواه الشريف رحمه الله .

روى ذلك - قبل الرضي - نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ورواه بعد الرضي ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في ترجمة معاوية عن الكلبي ، كما رواه ابن ميثم في (شرح نهج البلاغة) : ٤ - ٣٧١ ، ونقله ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) : م ٣ - ٤١٠ عن كتاب « صفين » .

ويذهب ابن أبي الحديد إلى أن الرضي قد ضمّ إلى هذا الكتاب بعض كلام أمير المؤمنين عليه السلام من موضع آخر لأن غرضه التقاط البليغ والفصيح من كلامه ^(١) وحجته في ذلك خلو رواية نصر بن مزاحم من بعض فقرات هذا الكتاب ، ولو كان الأمر كما ذكر لنبه عليه الرضي فقد عرفت احتياطه في النقل ، وثبته في الرواية ^(٢) هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الاختصار والنقل بالمعنى معروف عند القدامى من المؤلفين ، وبحسبي أن أذكر لك شاهداً واحداً وهو :

(١) الشرح : م ٣ / ٤١٣ .

(٢) لاحظ الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٤٤ .

ان ابن بطوطة ذكر في رحلته « تحفة النظار في عجائب الامصار » : ج ١ ص ١٠٩ فما بعدها مروره بالنجف الاشرف ، وزيارته لحرم امير المؤمنين عليه السلام فيقول — بعد ان وصف النجف واسواقها المتعددة يومئذ ، ومدارسها وزواياها — : (ومن تلك المدرسة — يعني الصحن الشريف — يدخل إلى القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية — يعني الخدم — فعندما يصل الزائر يقوم اليه احدهم او جميعهم — وذلك على قدر الزائر — فيقفون معه على العتبة ، ويستأذنون له ويقولون : عن امركم — يا امير امير المؤمنين — هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية . فان اذنتم له والا رجع ، وان لم يكن اهلا لذلك فانتم اهل المكارم والستر . اه .

فارجع إلى كتب الزيارات المؤلفة قبل ابن بطوطة وبعده ، او اقرأ اللوحة المنصوبة على الباب الثاني من الروضة المباركة لتراه كيف اختصر تلك الزيارة ؟ وكيف رواها بالمعاني دون الالفاظ ، بل انه سمجها فرواها ناقصة مفككة ولم تستوف كل المعاني مع ما اضافه من زيادات لا توجد بالاصل مثل : (الروضة العلية) و (فان اذنتم والارجع) و (انتم اهل المكارم والستر) .

وانا اذكر لك اصل الزيارة لتقارن بينه وبين المذكور في الرحلة :

(اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ، السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا حبيب الله وخيرته من خلقه ، السلام على امير المؤمنين عبد الله واخي رسول الله ، يا مولاي يا امير المؤمنين عبدك وابن عبدك وابن امك جاعلك مستجيراً بدمتك ، قاصداً إلى حرمك ، متوجهاً إلى مقامك ، متوسلاً إلى الله تعالى بك ، ادخل يا الله ؟ ادخل يا رسول الله ؟ ادخل يا

المؤمنين ءادخل يا حجة الله؟ ءادخل يا امين الله؟ ءادخل ياملائكة الله المقيمين في هذا المشهد الشريف ؟ يا مولاي يا امير المؤمنين اتأذن لي بالدخول افضل ما اذنت لاحد من اوليائك ؟ فان لم اكن له اهلا فأنت اهل لذلك .

والزيارة هذه مروية في كتب العلماء قبل ابن بطوطة المتوفى عام (٧٧٩)
كالمفيد المتوفى (٤١٣) وابن طاووس (٦٦٤) (١)

وهب ان الرضي ضم إلى هذا الكتاب فقرات من غيره فانه لم يجيء بها من عنده ، لان ابن ابي الحديد رواها (٢) عن كتاب ابي العباس الصيمري

١١ - ومن وصيته عليه السلام

وصى بها جيشاً بعته إلى العدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مَعَكُمْ فِي قَبْلِ الْأَشْرَاقِ أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ وَدُونَكُمْ مَرَدًّا . وَلْتَكُنْ مُقَاتِلَتُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ أَثْنَيْنِ . وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي

(١) أنظر « مفاتيح الجنان المغرب » ص ٣٣٩ .

(٢) الشرح : م ٣ / ٤١٠ . وأنظر الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٦٩ .

صِبَاصِي الْجِبَالِ ۱ وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ لَثَلَا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ
مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ
عِيُونُهُمْ ، وَعِيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَاتِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ ،
فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا أَرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا
جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً ،
وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً .

المذكور هنا ملتقط من كتاب له عليه السلام كتبه إلى زياد بن النضر
الحارثي وشريح بن هاني (٢) - وكانا على مذبح والاشعريين - حين سرحهما
على مقدمته إلى الشام من النخيلة في اثني عشر ألفاً ، وامرهما ان يأخذوا في
طريق واحد ولا يختلفا فاختلفا فكتب كل واحد منهما إلى امير المؤمنين
عليه السلام يشكو صاحبه ، فكتب عليه السلام اليهما :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني :
سلام عليكما ، فاني احمد اليكما الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد : فاني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وامرته عليها ، وشريح
على طائفة منها امير ، فان انتما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس ،

(١) صياصي الجبال : اعاليتها ، ومناكب الهضاب : ارفعها .

(٢) زياد بن النضر (بالضاد المعجمة وقيل بالمهمله) كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه
السلام وكان يوم صدين على مذبح والاشعريين من اليمانيين . وشريح بن هاني يكنى أبا المقدام
ولأبيه صحبة وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكنى أباه به كان من أعيان أصحاب
أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه حروبه كما شهد التحكيم بدومة الجندل عمر طويلا وسار إلى
سجستان غازياً فاستشهد بها سنة ٧٨ وله من العمر ١٢٠ سنة .

وان افترقتما فكل واحد امير الطائفة التي وليناه امرها . فاذا انتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ، ومن نفض الشعاب والشجر والخمر (١) ، في كل جانب كي لا يغتركما عدو ، او يكون لهم كمين ، ولا تسيرا الكتائب من لدن الصباح والمساء الا على تعبئة ، فان دهمكم داهم ، او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة وإذا نزلتم بعدو ... إلى آخر ما في « النهج » وبعده :

ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما ، وليكن عندي كل يوم خبركما ، ورسول من قبلكما ، فاني - ولا شيء الا ما شاء الله - حيث السير في اثاركما ، عليكم في حربكما بالتوادة ، واياكما والعجلة الا ان تمكنكم فرصة بعد الاعذار والحجة ، وإياكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكم الا أن تُبدآ ، أو يأتیکما امري ان شاء الله والسلام .

روى ذلك قبل الرضي نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١٢٣ ، وابن شعبة في « تحف العقول » ص ١٩١ ، والدينوري في « الاخبار الطوال » ص ١٦٦ ، ورواه بعده ابن ميثم البحراني في شرحه على « نهج البلاغة » : ٤ ص ٣٧٧ . هذا وفي خلال ما اختاره الشريف الرضي فقرات محذوفة نشير اليها إتماماً للفائدة في رواية نصر : « فاذا غشيكم ليل فتزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والأترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماتكم ؛ وما اقمتم فكدلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ، ولا تلفي منكم غرة ، فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم ، وترستهم من ليل او نهار الا كانوا كأنهم في حصون ، واحرسا عسكركما بأنفسكما واياكما ان تذوقا نوماً حتى تصبحا الا غرراً او مضمضة ... الخ (٢) .

(١) الخمر (بالتحريك) ما وارك من جبل وغيره

(٢) الفرار والمضمضة : ما قل من النوم .

١٢ - ومن وصيته له عليه السلام

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في
ثلاثة آلاف مقدمة له :

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلَا مُنْتَهَى لَكَ
دُونَهُ . وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ . وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ .
وَعُورِ النَّاسِ ١ . وَرَفِّهِ بِالسَّيْرِ . وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ فَإِنَّ
اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَقَدَرَهُ مُقَامًا لَا ظَعْنًا . فَارْحُ فِيهِ بَدَنَكَ
وَرُوحَ ظَهْرِكَ . فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ أَوْ
حِينَ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَاتِ اللَّهِ . فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ
فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا ، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُونُ مَنْ
يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ ، وَلَا تَبَاعِدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ
يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ
شَنَائِهِمْ عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

معقل بن قيس الرياحي له ادراك (٢) ، كان من رجال الكوفة وابطالها ،
وله رئاسة وقدم ، ارسله عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان

(١) البردين : الغداة والعشي . وغور : انزل بهم الغائرة اي القائلة .

(٢) الإصابة : ٣ / ٤٧٥ عن ابن عساكر .

بفتح تستر وكان من شيعة علي عليه السلام ^(١) ، جعله على شرطته ، وكان اميراً من امراء جيشه يوم الحمل ^(٢) ولما خرج امير المؤمنين إلى صفين وخطب اصحابه بالنخيلة بالخطبة التي ذكر الرضي رحمه الله مختارها تحت رقم : (٤٨) ^(٣) والتي اولها : الحمد لله كلما وقب ليل او غسق ^(٤) قال معقل بن قيس : والله يا امير المؤمنين لا يتخلف عنك الا ظنين ، ولا يتربص بك الا منافق .

ولما بلغ امير المؤمنين المدائن بعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف رجل مقدمة له واوصاه بوصية اختار الشريف منها ما نقله في هذا الموضع ، وروى طرفاً من هذه الوصية نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١٩٨ ، ولا ريب ان للرضي مصدراً غير كتاب « صفين » .

١٣ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أميرين من امراء جيشه

وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ
الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَاهُ ، وَأَجْعَلَاهُ دِرْعاً
وَمِجَنّاً ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقَطُتُهُ وَلَا

(١) شرح النهج للحديدي : م ٣ / ٤١٤ .

(٢) الإصابة : ٣ / ٤٧٥ عن ابن عساكر .

(٣) نهج البلاغة : ١ / ٩٣ .

(٤) أنظر الجزء الثاني من كتابنا هذا ص ١٥ .

بَطُّوهُ عَمَّا أَلْسَرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا أَلْبَطُّهُ
عَنْهُ أَمْثَلُ .

الاميران هما زياد بن النضر وشريح بن هاني ، وكان امير المؤمنين عليه السلام سرحهما امامه في اثني عشر الفاً - كما مر ذلك - (١) فلما انتهوا إلى معاوية لقيهم ابو الاعور السلمي (٢) في جند اهل الشام ، فدعوهما إلى الدخول في طاعة امير المؤمنين عليه السلام فأبوا ، فكتبنا إلى امير المؤمنين عليه السلام يخبرانه بالامر ، فدعى عليه السلام مالك بن الحارث الاشتر فسرجه اليهما ، وكتب اليهما بهذا الكتاب ومفصل هذه القضية مع هذا الكتاب تجده في تاريخ الطبري ج : ٥ - ٢٣٨ ، وكتاب « صفين » لنصر بن مزاحم ص ١٣٥ .

١٤ - وَمِنْ وَصِيَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى
حُجَّةٍ ، وَتَرَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى

(١) أنظر ص ٢٢٣ من هذا الجزء .

(٢) أبو الاعور السلمي اسمه : عمرو بن سفيان من أعيان أصحاب معاوية قال ابن الأثير في « أسد الغابة » ١٠٩ / ٤ و ١٣٨ / ٥ وعليه كان مدار الحرب بصفين ، وكان أشد من معاوية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان علي يدعو عليه في القنوت . وقال : لا تصح له صحبة ولا رواية شهد حينئذ كافرين ثم أسلم .

لَكُمْ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا كَانَتْ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَا تَقْتُلُوا
مُدْبِرًا ، وَلَا تُصِيبُوا مُعَوَّرًا ، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ .
وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ
أُمَّرَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ .
إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ . وَإِنْ
كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوْ
الْهَرَاوَةِ فَيُعِيرُ بِهَا وَعَقِبَهُ مِنْ بَعْدِهِ .

تواترت عنه عليه السلام هذه الوصية ، ورواها جماعة من المتقدمين على
الشریف الرضی نظراً :

١ - محمد بن جرير الطبري في « التاريخ » : ٦ - ٣٢٨٢ ط : ليدن في
حوادث سنة (٣٧) ، روى بإسناده إلى عبد الرحمن بن جندب الأزدي
عن أبيه : ان علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا عدواً معه ، فيقول : لا
تقاتلوهم حتى يبدأوكم ... الخ .

٢ - نصر بن مزاحم في « صفين » : ص ٢٠٣ بسنده عن عبد الله بن
جندب عن أبيه : ان علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه
عدوه يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ... الخ .

٣ - الكليني في فروع الكافي : ج ٥ - ٣٨ في « كتاب الجهاد » بسنده
عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه : ان امير المؤمنين صلوات الله عليه
كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى

يبدأوكم فانكم بحمد الله على حجة ... الخ .

٤ - المسعودي في «مروج الذهب : ٢ - ٧٣١» .

٥ - احمد بن اعثم الكوفي في كتاب « الفتوح » ج ٣ - ٤٤ .

ولسنا - بعد ذلك - بحاجة إلى تعداد من روى هذه الوصية بعد الرضي .

١٥ - وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ

إذا لقي العدو محارباً

اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ . وَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ .
وَشَخَصَتِ الْأَبْصَارُ ، وَنُقِلَتِ الْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ
الْأَبْدَانُ . اللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ الشَّانِ . وَجَاشَتْ
مَرَاجِلُ الْأَضْغَانِ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا .
وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشْتَتِ أَهْوَانُنَا . « رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ » .

١ - روى نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ٢٣١ : عن عمرو

بن شمر ، عن عمران ، عن سلام بن سويد قال : كان علي عليه السلام
إذا أراد أن يسير إلى الحرب قعد على دابته وقال :

الحمد لله رب العالمين على نعمه علينا ، وفضله العظيم ، سبحانه الذي
سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

ثم يوجه دابته إلى القبلة ثم يرفع يديه إلى السماء ثم يقول ... وذكر الدعاء مع مغايرة طفيفة لما في « النهج » .

ورواه نصر بسند آخر عن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم ... الخ (١)
كما رواه بسند ثالث عن قيس بن الربيع ، عن عبد الواحد بن حسان العجلي
عن حدثه عن علي عليه السلام ... الخ (٢) .

ورواه أيضاً بصورة أخرى عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن عمير
الانصاري قال : والله لكانني اسمع علياً يوم التحرير حين سار إلى أهل الشام وذلك
بعد أن طحنت رحي مذحج فيما بينها وبين عك ونخم وجذام والاشعريين
بأمر عظيم تشيب منه النواصي ، من حين استقلت الشمس حتى قام قائم
الظهير ، ثم إن علياً قال : حتى متى بين هذين الحيين قد فنيا وانتم وقوف
تنظرون إليهم ؟ أما تخافون مقت الله ؟ ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله
ثم نادى :

يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا صمد يا الله يا اله محمد ثم ذكر
الدعاء (٣) .

ويظهر من روايات نصر هذه انه عليه السلام دعا به غير مرة ولذا
اختلفت الفاظه .

٢ — ورواه عبد العزيز بن يحيى الجلودي في كتاب « صفين » كما حكى
ذلك المجلسي عليه الرحمة .

٣ — وروى المفيد في كتاب « النصرة » ص ١٨٢ انه عليه السلام دعا
بهذا الدعاء يوم الجمل أيضاً .

(١) صفين : ١٣٠ .

(٢) صفين : ٢٣١ .

(٣) صفين : ٤٧٧ .

١٦ - وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لأصحابه عند الحرب

لَا تَشْتَدَنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ ، وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا . وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ هَضَارِعَهَا وَأَذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ ١ . وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشْلِ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ أَسْتَسْلَمُوا وَأَسْرُوا الْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

هذا الفصل من جملة كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في يوم من أيام صفين ، ويظهر من رواية ابن أبي الحديد أنه تابع للكلام المروي في « نهج البلاغة » تحت رقم : (٦٢) في باب الخطب وكيف كان فإنه مروي قبل الرضي عليه الرحمة . فقد روى الكليني فقرات من هذا الكلام في « كتاب الجهاد » من « فروع الكافي » : ٥ - ٤١ في كلام له عليه السلام قال فيه : « إذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقتاتلوكم ، فإذا بدأوكم فانهبوا إليهم - إلى أن قال - : لا يشدن عليكم كرة بعد فرة ، ولا حملة بعد جولة ... الخ .

(١) الدعسي : اسم من الدعس أي الطعن الشديد ، والطلحفي - بفتح الحين فسكون ففتح - أشد الضرب ، وأمانة الأصوات : انقطاعها بالسكوت .

والجملة الاخيرة من هذا الكلام رواها نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٢١٥ بسنده عن يونس بن الارقم بن عوف عن شيخ من بكر بن وائل قال :

كنا مع علي بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة خميصه سوداء (١) في رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ فلم يزالوا حتى بلغ علياً ، فقال : هل تدرون ما امر هذا اللواء ؟ ان عدو الله عمرو بن العاص اخرج له رسول الله هذه الشقة ، فقال : « من يأخذها بما فيها » ؟ فقال عمرو وما فيها يا رسول الله ؟ قال : « فيها ان لا تقاتل بها مسلماً ، ولا تغربها من كافر » فأخذها . فقد والله فربها من المشركين ، وقاتل بها اليوم المسلمين ، والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر ، فلما وجدوا عليه اعواناً اظهروه ... الخ (٢) .

ويبدو من هذه الرواية ومما رواه الرضي انه عليه السلام قال هذه الكلمة غير مرة .

ومثل هذا ما رواه نصر ايضاً بسنده عن حبيب بن ابي ثابت قال : لما كان قتال صفين قال رجل لعمار : يا ابا اليقظان : ألم يقل رسول الله ﷺ « قاتلوا الناس حتى يسلموا ، فاذا اسلموا عصموا مني دماءهم واموالهم ؟ » قال : بلى ، ولكن والله ما اسلموا ولكن استسلموا ، واسروا الكفر حتى وجدوا عليه اعواناً (٣) .

ورواه بطريق آخر عن منذر الثوري قال : — قال عمار بن ياسر : والله

(١) الخميصة : ثوب من خز أو صوف معلم ، وقيل لا تسمى خميصه إلا أن تكون سوداء معامة .

(٢) رواه ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م ١ ص ٣٤٧ عن كتاب « صفين » .

(٣) صفين : ٢١٥ .

ما اسلم القوم ولكن استسلموا واسروا الكفر حتى وجدوا عليه اعواناً :
وروى مثله عن محمد بن الحنفية (١) .

١٧ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ
مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ
الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ
فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي
الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ فَلَسْتُ بِأَمْضِي عَلَى الشُّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ
وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ
عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ
نَحْنُ . وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ . وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ
الْمُطَّلِبِ . وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ
كَالطَّلِيْقِ ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيْقِ ٢ . وَلَا الْمُحِقُّ
كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَكَيْشُ الْخَلْفِ خَلْفاً

(١) ص ٢١٦ .

(٢) الصريح : ذو النسب الواضح ، واللصيق من ينتمي إلى القوم وليس منهم والمدغل : المفسد .

يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوءَةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ
وَنَعَشْنَا بِهَا الدَّلِيلَ ١ . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ
أَفْوَاجًا وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا كُنْتُمْ مِمَّنْ
دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ
السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ
فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ
سَبِيلًا .

سبق الرضي إلى نقل هذا الكتاب جماعة من المؤلفين امثال :

- ١ - نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٤٧١ .
 - ٢ - البيهقي في « المحاسن والمساوي » : ص ٥٣ .
 - ٣ - ابن قتبية في « الامامة والسياسة » ج ١ - ١١٨ .
 - ٤ - المسعودي في (مروج الذهب) ج ٣ ص ٢٢ .
 - ٥ - ابن اعثم الكوفي في « الفتوح » ج ٣ - ٢٥٩ .
- وهذا الكتاب من اجوبة امير المؤمنين عليه السلام لمعاوية .
قال نصر بن مزاحم : إن هذا الكتاب كتبه علي عليه السلام إلى معاوية
قبل ليلة التحرير بيومين أو ثلاثة (٢) .

(١) نعشنا : رفعنا .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ / ٤٢٣ ، وكانت ليلة التحرير الجمعة ١٠
صفر سنة ٣٧ .

وقال نصر : اظهر علي عليه السلام انه مصبح ، ومناجز له ، وشاع ذلك من قوله ، ففرع اهل الشام لذلك ، وانكسروا لقوله ، وكان معاوية بن بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية مبغضاً لمعاوية واهل الشام ، وله هوى مع اهل العراق وعلي بن ابي طالب عليه السلام ، وكان يكتب بأخبار معاوية إلى عبد الله ابن الطفيل العامري وهو مع اهل العراق ، فيخبر علياً عليه السلام ، فلما شاعت كلمة علي عليه السلام ، وجل لها اهل الشام .

وبعث ابن الضحاك إلى عبد الله بن الطفيل : اني قاتل شعراً اذعر به اهل الشام وارغم به معاوية ، وكان لا يتهمه ، وكان له فضل ونجدة لسان . فقال ليلاً ليستمع أصحابه :

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدنا علينا وانا لا نرى بعده غسدا
ويا ليتته إن جاءنا بصباحه وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا
حذار علي انه غير مخلف — مدى الدهر مالب الملبون—موعدا
واما قراري في البلاد فليس لي مقام وان جاوزت «جابلق» مصعدا

(١) في معجم البلدان : م ٢ / ٩١ أن جابلق مدينة بأقصى المغرب وذكر ياقوت أن الحسن بن علي عليهما السلام لما خطب عام الصلح قال في خطبته : « لو نظرت ما بين جابلق وجابرس — وفي رواية جابلص — ما وجدت ابن نبيي غيري وغير أخي » ، هذا ما ذكره ياقوت وغيره . وأرى أن المراد بجابرس وجابلق المشرق والمغرب بمد أن ثبت عدم وجود هاتين المدينتين على وجه البسيطة ، ولا يصح أن يكون المراد بذلك الرستاق — الذي ذكره ياقوت — بأصبهان . بلى ، جاء في « شرح النهج » لابن أبي الحديد : أن معاوية لما سمع شعر ابن الضحاك هذا قال لأهل الشام : ألا تعلمون ما جابلق ، قالوا : لا ، قال : مدينة في أقصى المشرق ليس بعدها شيء . نقل ذلك عن كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم وفي المطبوع من كتاب « صفين » ص ٩٦ أن التفسير للمؤلف وليس لمعاوية .

كأنني به في الناس كاشف رأسه على ظهر خوار الرحالة أجردا (١)
 يخوض غمار الموت في مرجحنة ينادون - في نقع العجاج - محمداً (٢)
 فوارس بدر والنضير وخير واحد يهزون الصفيح المهندا
 ويوم حنين جالدوا عن نبيهم فريقاً من الاحزاب حتى تبددا
 هنالك لا تلوى عجوزا على ابنها وان أكثر من قول: نفسي لك الفدا
 فقل لابن حرب ما الذي انت صانع اثبتت ام ندعوك في الحرب: قعددا (٣)
 فلا رأى إلا تركنا الشام جهرة وإن ابرق الفجفاج فيها وارعدا (٤)

فلما سمع معاوية شعره طلبه ، فأتوه به فهم بقتله ، ثم راقب فيه قومه
 وطرده عن الشام فلحق بمصر ، وندم معاوية على تسييره إياه . وقال : والله
 لقول السلمي اشد على اهل الشام من لقاء علي ، ما له - قاتله الله - لو
 اصاب خلف جابلق مصعداً نفذه ؟ (٥)

وقال الاشر حين قال علي : « انني مناجز القوم إذا أصبحت » :
 قد دنا الفصل في الصباح وللسلم رجال وللحروب رجال
 فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الأهوال (٦)
 يضرب الفارس المدجج بالسيف إذا فل في الوغى الاكفال (٧)

-
- (١) أجرد : صفة لخوار الرحالة ، وخوار هنا : الحسن ، والرحالة ككتابة السرج ،
 والأجرد : الفرس ذو الشعر القصير .
 (٢) المرجحنة : الأمر العظيم .
 (٣) القعدد - هنا - الجبان القاعد عن الحرب .
 (٤) الفجفاج : كثير الكلام المفتخر بما ليس عنده .
 (٥) نفذه : جازه .
 (٦) الخدب : الشديد الصعب ، والمقحم من قحم في الأمر إذا رمى نفسه فيه .
 (٧) الأكفال جميع كفل « بالكسر » هو من الرجال الذين يكون في مؤخرهم تأهباً للفرار

يا بن هند شدّ الحيازم للموت ولا يذهب بك الآمال^(١)
 إن في الصبح ان بقيت لأمرأ تتفادى من هوله الابطال
 فيه عز العراق او ظفر الشام بأهل العراق والزلال
 فاصبروا للطعان بالأسل السمر وضرب تجري به الأمثال^(٢)
 ان تكونوا قتلتمهم النفر البيض وغالت اولئك الآجال^(٣)
 فلنا مثلهم وان عظم الخطب قليل امثالهم ابدال
 يخضبون الوشيج طعناً إذا جرت من الموت بينهم اذيال^(٤)
 طلب الفوز في المعاد وفي ذا تستهان النفوس والأمسوال

قال : فلما انتهى إلى معاوية شعر الاشتر قال : شعر منك من شاعر
 منك ، رأس اهل العراق وعظيمهم ، ومسر حربهم ، واول الفتنة
 وآخرها ، وقد رأيت ان اعاود علياً واسأله اقرارى على الشام — وهو الشيء
 الاول الذي ردني عنه — والقي في نفسه الشك والريبة ، فضحك عمرو بن
 العاص ، ثم قال : اين انت يا معاوية عن خدعة علي ؟ قال : ألسنا بني عبد
 مناف ؟ ، قال : بلى ، ولكن لهم النبوة دونك ، وإن شئت ان تكتب له
 فاكتب . فكتب معاوية إلى علي مع رجل من السكاسك ، يقال له : عبد الله
 ابن عقبة ، وكان من ناقلة اهل العراق فكتب :

اما بعد ، فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت
 وعلمنا لم يجننها بعضنا على بعض ، وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا
 منها ما نندم على ما مضى ونصلح به ما بقي . وقد كنت سألتك الشام على

(١) شد الحيازم للموت : الاستعداد له ، والحيازم : وسط الصدر .

(٢) الأسل : الرماح .

(٣) يقال : غاله غول : إذا أهلكه .

(٤) الوشيج : شجر الرماح .

الا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك علي ، فاعطاني الله ما منعت ،
وانا ادعوك اليوم إلى ما دعوتك اليه امس ، فاني لا ارجو من البقاء الا ما
ترجو ، ولا اخاف من الموت الا ما تخاف وقد والله فارقت الأجناد ،
وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف فضل الافضل لا يستدل به عزيز ،
ولا يسترق به حر ، والسلام .

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي قرأه ثم قال : العجب لمعاوية ولكتابه ،
ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه وقال له اكتب إلى معاوية :

أما بعد : فقد جاءني كتابك ، تذكر فيه ان لو علمت وعلمنا ان الحرب
تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنّها بعضنا على بعض ، فانا وإياك منها في غاية لم
تبلغها ، واني لو قتلت في ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم
ارجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لا عداء الله .

واما قولك انه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فاني ما
نقصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي .

واما طلبك إلى الشام (١) ... إلى آخر الكتاب .

قال : فلما اتى معاوية كتاب علي عليه السلام كتبه عن عمرو بن العاص
اياماً ، ثم دعاه فأقرأه إياه ، فشمت به عمرو ، ولم يكن احد من قريش
اشد اعظماً لعلي من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه وصفح عنه ، فقال عمرو
فيما كان اشار به على معاوية :

ألا لله درك يا بن هند ودر الأمرين لك الشهود
أتطمع لا ابا لك في علي وقد قرع الحديد على الحديد
وترجو أن تحيره بشاك وتأمل ان يهابك بالوعيد

(١) أنظر صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧٠ و ٤٧١ .

وقد كشف القناع وجرحرباً
له جأواء مظلمة طحون
يقول لها إذا دلفت اليه
فان وردت فاولها وروداً
وما هي من ابي حسن بنكر
وقلت له مقالة مستكين
دَعْنِي الشامَ حسبك يابن هند
ولو اعطاكها ما ازددت عزاً
فلم تكسر بذاك الرأي عوداً
يشيب لهولها رأس الوليد
فوارسها تلهب كالاسود (١)
وقد ملت طعان القوم : عودي
وان صدت فليس بذي صدود
ولا هو من مسائلك بالبعيد
ضعيف الرأي منقطع الوريد :
من السوات والرأي الزهيد
ولا لك لو اجابك من مزيد
لركته ولا ما دون عود

فلما بلغ معاوية شعر عمرو دعاه ، فقال له : العجب لك تفيل رأيي او تعظم
علياً وقد فضحك ! فقال اما تفيلي رأيك (٢) فقد كان ، واما إعظامي
علياً فانك باعظامه اشد معرفة مني ، ولكنك تطويه وانا انشره ، واما
فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي ابا حسن .

١٨ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة
أَعْلَمُ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْيَطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرَسُ الْفِتَنِ ،
فَحَادِثُ أَهْلِهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَأَحْلُلُ عُقْدَةَ الْخَوْفِ

(١) الجأواء : الكتيبة يعلوها لون أسود لكثرة الدروع .

(٢) تفيل الرأي : ضعف .

عَنْ قُلُوبِهِمْ .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ ،
وَأَنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ ،
وَأَنَّهُمْ لَمْ يُسَبِّقُوا بَوْغُمِ أَفِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ . وَإِنَّ
لَهُمْ بِنَا رَحِمًا مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مُأْجُرُونَ عَلَى
صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا . فَارْبِعُ أَبَا الْعَبَّاسِ رَحِمَكَ
اللَّهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّا
شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ ، وَلَا
يَفْصِلُنَّ رَأْيِي فِيكَ . وَالسَّلَامُ .

روي ان ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولي البصرة من قبل
علي عليه السلام للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل ، لأنهم كانوا من
شعبة طلحة والزبير وعائشة ، فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم ، وتنكر
عليهم ، وغيرهم بالجمل حتى كان يسميهم : شعبة الجمل وانصار عسكر^(٢)
وحزب الشيطان . فاشتد ذلك على نفر من شعبة علي عليه السلام من بني

(١) التمر : تنكر الأخلاق ، والوغم - بفتح فسكون - الحرب والحقد .

(٢) قال الدميري الشافعي في « حياة الحيوان : ج ١ / ١٩٨ » : (فائدة) كان اسم
الجمل الذي ركبه عائشة رضي الله تعالى عنها يوم وقعت عسكره اشتراه لها يعلى بن أمية بأربعمائة
درهم ، وقيل بمائتي درهم وهو الصحيح . اهـ .

تميم ، منهم جارية بن قدامة^(١) وغيره ، فكتب بذلك جارية إلى علي يشكو إليه ابن عباس ، فكتب عليه السلام إلى ابن عباس :

اما بعد : فان خير الناس عند الله غداً اعملهم بطاعته فيما عليه وله ، واقولهم بالحق وإن كان مرأ ، الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد ، فلتكن سريرتك فعلا ، وليكن حكمك واحداً ، وطريقك مستقيماً واعلم ان البصرة .. إلى آخر الفصل .

روى ذلك ابن ميثم^(٢) والسياق يقتضي انه اخذه عن غير الرضي وروى ابو هلال العسكري في (الصناعتين) ص ٢٧٧ فقرات منه والباقلاني في (اعجاز القرآن) ج ١ ص ١٠٣ . وقد روى السيد العلوي في « الطراز » : ج ١ ص ٢١٩ وص ٤١٦ طرفاً من هذا الكتاب وفيه ما يغير رواية « النهج » فروى (تنمر على بني تميم) مكان (لبي تميم) و (منهم نجم) مكان (لهم نجم) وفي هذا مقتنع على انه نقله عن غير « النهج » .

١٩ - ومن كتابه عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلَ بَلَدِكَ شَكَّوْا مِنْكَ غِلْظَةً

(١) جارية « بالجمبع بعدها ألف والمنشأة التحتانية بعد الراء المهملة » التميمي السعدي رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه وروى عنه هذا الحديث : أن رجلاً قال : يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل ليلي أعقاه ، قال : « لا تغضب » فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول : « لا تغضب » ، وكان من أصحاب علي عليه السلام وشهد معه حروبه وهو الذي حصر ابن الحضرمي بالبصرة في دار ابن شبيب وحرقها عليه في قصة أشرنا إليها في هذا الكتاب ، ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤ / ٣٩٥ .

وَقَسْوَةً ، وَاحْتِقَاراً وَجَفْوَةً ، وَنَظَرَتْ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا
لَأَنْ يُدْنُوا لِشَرِكِهِمْ ، وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ،
فَالْبَسَ لَهُمْ جَلَبَاباً مِنَ اللَّيْنِ تَشْوِبُهُ بِطَرْفٍ مِنَ الشَّدَّةِ ،
وَدَاوَلَ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَأَمْزَجَ لَهُمْ بَيْنَ
التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذا الكتاب رواه قبل الرضي البلاذري في « أنساب الاشراف » : ص
١٦١ ط الاعلامي وابن واضح في تاريخه : ج ٢ - ١٩٢ بمغايرة في بعض
بعض الكلمات ، وزيادة على ما في « النهج » ، وذكرنا ان العامل المكتوب
اليه هذا الكتاب هو عمر بن ابي سلمة الارجبي .

٢٠ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس
على البصرة . وعبد الله عامل امير المؤمنين عليه السلام يومئذ
عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان
وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا لِّئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ
مَنْ فِيهِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ
شَدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهِرِ، ضَعِيلَ الْأَمْرِ ،
السَّلَامُ .

أول هذا الكتاب :

« أما بعد ، فإن رسولي أخبرني بعجب ، زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه : إن الأكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج ، وقلت له : لا تعلم أمير المؤمنين وأقسم بالله ... الخ .

ذكر ذلك ابن واضح في « التاريخ » : ج ٢ ص ١٩٣ ورواه البلاذري في « أنساب الأشراف » ص ١٦٢ ط الأعلمي .

وروى البيهقي في « المحاسن والمساوي » ج ٢ ص ٢٠١ ط مصر فقرات من هذا الكتاب وهي « لا شدك عليك شدة أدعك فيها قليل الوفرة ثقل الظهر » .

٢١- ومن كتابه عليه السلام

فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا ، وَادَّكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا ،
وَأَمْسَكَ مِنَ الْمَالِ بِقَدَرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ
لِيَوْمِ حَاجَتِكَ ١ .

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ
مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ . وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ ٢ فِي النَّعِيمِ
تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ

(١) الفضل : ما يزيد عن الحاجة من المال ، فقدمه ليوم الحاجة كالأعداد ليوم الحرب
مثلا ، أو المراد بيوم الحاجة يوم القيامة .
(٢) المتمرغ بالنعيم : المتقلب به .

الْمُتَصَدِّقِينَ . وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ ١ ، وَقَادِمٌ
عَلَى مَا قَدَّمَ . وَالسَّلَامُ .

هذا الكتاب رواه البلاذري في «أنساب الأشراف» ص ١٦٩ ط
الأعلمي والسبب في إرساله : أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أخرج إليه
سعداً مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد
ملاحات ومنازعة ، وعاد سعد وشكاه إلى علي عليه السلام وعابه فكتب علي
عليه السلام إليه كتاباً اقتبس منه الشريف الرضي الفقرات التي مر ذكرها .

وكان جواب زياد على هذا الكتاب :

أما بعد — يا أمير المؤمنين — فإن سعداً قدم علي ، فأساء القول والعمل
فأنتهرته وزجرته ، وكان أهلاً لأكثر من ذلك ، وأما ما ذكرت من
الإسراف ، واتخاذ الألوان من الطعام والنعم فإن كان صادقاً فثأبه الله
ثواب الصالحين ، وإن كان كاذباً فوقاه الله أشد عقوبة الكاذبين ، وأما
قوله : إني أصف العدل وأخالفه إلى غيره فليني أذن لمن الأخسرين ، فخذ
يا أمير المؤمنين بمقال قلته : (الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل) فإن
أتاك بشاهدي عدل وإلا تبين لك كذبه وظلمه (٢) .

ومن لطيف تعليقات ابن أبي الحديد تعليقه على هذا الكتاب بقوله :
« قَبَّحَ اللَّهُ زياداً فإنه كافاً لإنعام علي عليه السلام ، وإحسانه إليه واصطناعه
له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبيه ، والإسراف في
لعه ، وتهجين أفعاله ، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير

(١) أسلف : قدم في سالف أيامه .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٧٣ / ٤ .

منه ، ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية ، كلا ، بل يفعله بطبعه ، ويعاديه بباطنه وظاهره : وأبى الله إلا أن يرجعه إلى أمه ، ويصحح نسبه (وكل إناء ينضح بما فيه) ثم جاء ابنه بعده فحتم تلك الأعمال السيئة بما ختم (وإلى الله ترجع الأمور) .

٢٢ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَلَمْرءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ،
وَيَسُوئُهُ قُوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ . فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا
نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ . وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا .
وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحًا . وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا
فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا . وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ أَلْمَوْتِ

هذا الكتاب متواتر عنه عليه السلام نذكر من رواته :

- ١ - نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ١٠٧ .
- ٢ - محمد بن يعقوب الكليني في « روضة الكافي » ص ٢٤٠ .
- ٣ - ثعلب في « مجالسه » ص ١٨٦ .
- ٤ - أبو علي القمي في « الأمل » ج ٢ ص ٩٦ .
- ٥ - ابن واضح في « التاريخ » ج ٢ ص ١٤٨ .

- ٦ - ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ج ٢ ص ١٤٢ .
- ٧ - أبو طالب المكي في « قوت القلوب » ج ١ ص ١٥٨ .
- ٨ - البلاذري في « أنساب الأشراف » ص ١١٧ ط الأعلمي في ترجمة علي عليه السلام .
- ورواه بعد الرضي :
- ٩ - الراغب الأصفهاني في « المحاضرات » ج ٢ ص ١٧٣ ، تحت عنوان (الحث على الإهتمام بأمر الآخرة دون الدنيا) .
- ١٠ - القاضي القضاعي في « دستور معالم الحكم » ص ٩٦ ، وذكر كلام ابن عباس في الكتاب .
- ١١ - سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ١٦٠ ، بسند متصل بالمأمون عن آبائه عن عبد الله بن عباس ، كما نقل قول ابن عباس في هذا الكتاب .
- ١٢ - ابن هذيل في « عين الأدب والسياسة » ص ٢١٠ .
- وقال السيد في (الطراز) ج ٢ ص ٣٧٠ وأنا أقول أيضاً : ما قرع مسامعي مرة بعد مرة إلا وأحدث لي موعظة لي وانشأ لي عن الغفلة يقظنة

٢٣ - وَمِنْ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله قبيل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصَيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا . وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تَضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هَذَيْنِ

الْعَمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلَاكُمْ ذَمًّا .
 أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَدًا
 مُفَارِقُكُمْ . إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَى فَالْفَنَاءُ
 مِيعَادِي . وَإِنْ أَعَفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ،
 فَاعْفُوا « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ » .
 وَاللَّهُ مَا فَجَّانِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدُ كَرِهَتُهُ ، وَلَا طَالِعُ
 أَنْكَرَتِهِ . وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ ۚ وَطَالِبٍ وَجَدَ « وَمَا
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ » .

(أقول) : وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هَذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ
 مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ هَهُنَا زِيَادَةً أَوْجَبَتْ تَكَرُّيرَهُ .

هذا الكلام تابع الكلام الذي مر في باب الخطب تحت رقم : (١٤٧) وقد
 أعاده الرضي هنا لأنه عثر على زيادة أوجبت تكريره ، وقد وعدنا هناك
 أن نذكر مصادره في هذا الموضع (٣) .

١ - روى محمد بن يعقوب الكليني بسند ذكره هناك ، قال : لما ضرب
 أمير المؤمنين عليه السلام حنف به العواد ، وقيل له يا أمير المؤمنين أوص ،
 فقال عليه السلام : اثنوا لي وسادة ، ثم قال :

-
- (١) خلاكم ذم : أي عداكم ذم ، والمراد جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية .
 (٢) فجأه الأمر : أثناء بفتة ، والقارب : طالب الماء ، وقد بقي بينه وبين الماء ليلة .
 (٣) انظر ج ٢ / ص ٣٣٣ من هذا الكتاب .

الحمد لله حق قدره ، متبعين أمره ، أحمدوه كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب .

أيها الناس كل إمريء لاق في فراره ما منه يفر ، والأجل مساق النفس إليه ^(١) والهرب منه موافاته ، كم اطردت الأيام ^(٢) أبجثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عن ذكره إلا إخفاءه ، هيهات علم مكنون .

أما وصيتي فإن لا تشركوا بالله جل ثناؤه شيئاً . ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا ^(٣) .

حمل كل إمريء منكم مجهوده ، وخفف عن الجهلة رب رحيم ، وإمام عليم ، ودين قويم ^(٤) .

أنا بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عبدة لكم ، وغداً مفارقكم . إن ثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك ، وإن تدحض القدم ^(٥) فانا كنا في أفياء أغصان وذرى رياح ، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها ، وعفى في الأرض مخطها ^(٦) ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً وستعقبون

(١) مساق النفس : تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه .

(٢) اطردت الأيام : صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضاً بالبحث عن كيفية قتلي ، وتعرف مكنون هذا الأمر : أي الذي دفع له من القتل ، وإن كان قد أخبره رسول الله بالكيفية ولكن (ليس الخبر كالمعاينة) .

(٣) أي حداكم الذم إذا وحدتم الله سبحانه ، واتبعتم سنة رسوله صلى الله عليه وآله ، وهو داخل في باب الإستعارة اذ شبه توحيد الله ورسوله بعمودي الحيمة تقوم عليهما ، وبمصباحين يستضاء بهما .

(٤) أي أن التكليف بذلك يتفاوت بحسب الطاقات والتحصيل ، فالعلماء مثلاً يختلف تكليفهم عن تكليف العامة .

(٥) دحضت القدم : زلت وزلقت .

(٦) اضمحل : تقشع ، ومتلفقها : ما اجتمع منها والتلفيق الجميع ، وعفا : درس ، ومخطها : أثرها والضمير في متلفقها للقيام ، وفي مخطها للرياح .

مئي جثة خلاء ، ساكنة بعد حركة ، كاظمه بعد نطق . ليعظكم هدوي ،
وخفوت اطراقي (١) . وسكون اطراقي . فإنه أوعظ من الناطق البليغ .

ودعتكم وداع امرئ مرصد للتلاقي (٢) ، غداً ترون أيامي ، ويكشف
الله عز وجل عن سرائري ، وتعرفوني بعد خلو مكاني ، وقيام غيري
مقامي .

إن أبق فأنا ولي دمي ، وإن أفن فالفناء ميعادي ، وإن أعف فالعفو لي
قربة ، ولكم حسنة . فأعفوا وأصفحوا (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) .
فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو
تؤديه .

جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة ، أو تحل به بعد
الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه (٣) .

٢ - ورواها المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ص ٤٣٦ بأخصر من
رواية الكليني . وقال : وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبد الله جعفر
ابن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين : أن علياً قال في صبيحة الليلة
التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم ... وذكر الوصية .

٣ - ورواها المسعودي أيضاً في كتاب « لإثبات الوصية » ص ١٠٣ .

٤ - وابن عساكر في « مقتل أمير المؤمنين عليه السلام » من تاريخه م ١٢
الورقة ٢١١ (مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف) بسنده
عن عوانة بن الحكم قال : لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم علياً وحمل إلى
منزله أتاها العواد فحمد الله وأثنى عليه وصلى إلى النبي ﷺ ثم قال : كل

(١) الخفوت : السكون ، وأطراقي بكسر الهمزة والقاف من أطرق أي أرخى عينه .

(٢) مرصد : منتظر .

(٣) الكافي « الأصول » : ١ / ٢٩٩ .

إمرىء لا يفرّ منه فراره الوصية وفي آخرها :

عش ما بدا لك قصرك الموت لا مرحل عنه ولا فـوت
بيننا غنى بيت يبهجته زال المغنى وثقوص البيت
يا ليت شعري ما يراد بنا ولقلّ ما يجدي لنا ليت

٢٤ - ومن وصيته له عليه السلام

بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين
هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي
مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمَنَةَ .
(مِنْهَا) وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ
بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنِ
حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ .

وإِنَّ لِأَبْنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ،
وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى أَبْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَقُرْبَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَتَكْرِيمًا
لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفًا لِرُصُلَتِهِ .

وَيَشْتَرِطُ عَلَى الَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ الْمَالَ عَلَى

أُصُولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أَمَرَ بِهِ وَهَدِي لَهُ ،
وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخِيلِ هَذِهِ الْقَرْيِ وَدِيَّةً حَتَّى
تُشْكَلَ أَرْضُهَا غَرَاسًا .

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِي اللَّاتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ
هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ، فَإِنْ مَاتَ
وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَحَرَّرَهَا
أَلْعَتَقُ .

قال الرضي : قوله عليه السلام في هذه الوصية « أن لا يبيع من نخيلها
ودية » . الودية : الفسيلة ، وجمعها ودى ، وقوله عليه السلام « حتى
تشكل أرضها اغراساً » هو من أفصح الكلام ، والمراد به أن الأرض يكثر
فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها
فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها .

حذف الرضي رحمه الله فصلاً من هذه الوصية ، وقد رويت عنه
عليه السلام بطرق مختلفة ، وأسانيد عديدة ، وإليك الوصية لتطلع على
المحذوف منها :

هذا ما أوصى به ، وقضى في ماله عبد الله علي أمير المؤمنين ابتغاء
وجه الله ليولج به الجنة ويعطيه به الأمانة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) :

(١) أي تمتليء بالغراس حتى بشكل طريقها فلا يرى واضحاً .

إن ما كان لي من مال بينع^(١) ، يعرف لي فيها وما حولها صدقة .
ورقيقها غير أبي رياح^(٢) وأبي نيزر^(٣) وجبير عتقاء ، ليس لاحد عليهم
سبيل ، فهم موالي يعملون في المال خمس حجج ومنه نفقتهم وأرزاق
اهاليهم .

وما كان لي بوادي القرى^(٤) من مال لبني فاطمة ، ورقيقه صدقة .

وما كان لي بديمة واهلها صدقة ، غير ان زريقاً له مثل ما كتبت

(١) يبيع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتولاها
ولده (أنظر معجم البلدان ٥ / ٤٥٠) .

(٢) رياح : بالثناة التحتية بعد الراء وقيل بالباء الموحدة ، وهو ومن ذكر معه من موالي
أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد روى عنه صلوات الله عليه أعتق ألف مملوك من ماله وكده
وفي ذلك يقول السيد الحميري :

وأعتق من يديه ألف نفس فأضحوا بعد رق معتقينا

(٣) قال المبرد في « الكامل » ج ٢ / ١٣٢ كان أبو نيزر من ولد بعض ملوك المعجم
وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي ، رغب في الإسلام صغيراً ، فأتى به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها وذكر
قصة مفادها : أن أبا نيزر كان يقوم بضيمي علي عليه السلام اللتين هما « عين أبي نيزر » و
« البغيفة » وأن علياً عليه السلام أتاها فأطعمه طعاماً فيه قرع صنعه بأهالة وقام إلى الربيع ففسل
يديه بالرمل حتى أنقاهما ، ثم ضم يديه كل واحد منهما إلى أختها ، وشرب بهما ، حتى من
ماء الربيع ثم قال : « يا أبا نيزر الأكف أنظف الآنية » ثم مسح ندا ذلك الماء على بطنه وقال :
« من أدخله بطنه النار فأبعده الله » ثم أخذ معولاً وجعل يضرب فاستخرج العين المعروفة بعين
أبي نيزر ، وكتب بتحجيس الضيعة على فقراء المدينة وابن السبيل إلا أن يحتاج الحسن والحسين
عليهما السلام فهما طلق لهما .

قال : وركب الحسين عليه السلام دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف فأبى أن
يبيع وقال : إنما تصدق بها أبيي ولست بائعها بشيء ، أه . ومن ولد أبي نيزر نصر بن أبي
نيزر انضم إلى الحسين عليه السلام بعد علي والحسن عليهما السلام ، ثم خرج معه إلى كربلاء فقتل
بها ، وكان فارساً فقترت فرسه ، ثم قتل في الحملة الأولى رضي الله عنه .

(٤) وادي القرى : وادي بين المدينة والشام ، وهو من أعمال المدينة كثير القرى فتحها
النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزوة في جمادى الآخرة سنة سبع ، « معجم البلدان : ٥ / ٣٤٥ »

لاصحابه .

وما كان بارينة (١) واهلها صدقة .

والفقيرين (٢) كما قد علمتم صدقة في سبيل الله .

وإن الذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بثلة (٣) حياً انا او ميتاً ،
ينفق في كل نفقة يبتغي بها وجه الله ، في سبيل الله ووجهه ، وذوي الرحم
من بني هاشم ، وبني المطلب ، والقريب والبعيد .

وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف ، وينفقه حيث يراه
الله عز وجل في حل محل لا حرج عليه فيه . فان اراد ان يبيع نصيباً من
المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء ، ولا حرج عليه فيه .

فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر من بعده ، واصدره
مصدره .

وإن لبني فاطمة من صدقة علي ، مثل الذي لبني علي ، وإني إنما جعلت
القيام بذلك لإبني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل ، وقربة إلى رسول الله
ﷺ ، وتكريماً لحرمة ، وتشريفاً لوصلته (٤) إلى آخر ما نقله الرضي
رحمه الله ، وبعد : هذا ما قضى به علي بن ابي طالب في امواله من يوم
قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، والله المستعان على كل حال ،

(١) في الأصل أذينة بالذال المعجمة والظاهر أنه تصحيف ، وأرينة بالضم ثم الفتح ثم ياء
ساكنة ونون وهاء من نواحي المدينة كما في « معجم البلدان : ١ / ١٦٦ » ويؤيده ما عن مناقب
ابن شهر آشوب أنه عليه السلام وقف أرينة .

(٢) في « معجم البلدان : ٤ / ٢٦٩ » : عن جعفر بن محمد أن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم أقطع علياً رضي الله عنه أربع ارضين ، الفقيرين ، وبئر قيس ، والشجرة .

(٣) يقال : هذه صدقة بثلة أي مقطوعة عن صاحبها .

(٤) الوصلة « بالضم » : الصلة وهي هنا القرابة .

و لا يحل لامريء مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول في شيء قضيته من مالي ، ولا يخالف فيه امري من قريب او بعيد .

روى هذه الوصية قبل الرضي ثقة الاسلام الكليني في « فروع الكافي » :
ج ٧ - ٤٩ في « كتاب الوصايا » بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال :
بعث إلي ابو الحسن موسى عليه السلام بوصية امير المؤمنين عليه السلام وهي
هذه ... الخ .

ورواها بعده شيخ الطائفة في « التهذيب » ج ٢ ص ٣٧٥ .

٢٥ - ومن وصيته عليه السلام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وإنما ذكرناها جملاً
منها ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحق ويشرع
أمثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها ودقيقةها وجليلها .
أَنْطَلِقَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَلَا تُرَوِّعَنَّ
مُسْلِمًا ١ وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا ، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْخِيِّ فَانْزِلْ
بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، ثُمَّ أَمْضِ
إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمْ

(١) الروع : الفزع ، والاجتياز : المرور أي لا تمرن عليه وهو كاره .

عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُخْذِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ ١ ، ثُمَّ تَقُولَ : عِبَادَ اللَّهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ لَأَخْذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ لِلَّهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّهُ إِلَى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا ، فَلَا تُرَاجِعْهُ ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ ٢ فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تُعَسِّفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنْ أَكْثَرَهَا لَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ ، وَلَا تُنْفِرَنَّ بِهِيْمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا وَلَا تُسَوِّنَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، وَأَصْدَعْ أَلْمَالَ صَدْعَيْنِ ٣ ثُمَّ خَيْرُهُ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . ثُمَّ أَصْدَعْ أَلْبَاقِي صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ ٤ فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرِضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ . فَإِنْ اسْتَقَالَكَ ، فَأَقِلَّهُ ٥

(١) لا تُخْذِجْ بِالتَّحِيَّةِ : أي لا تنقصها من أخذت السحابة إذا قل مطرها .

(٢) أنعم : قال نعم ، والعسف : الأخذ بشدة ، والإرهاق : تكليف السر .

(٣) أصدع المال صدعين : أقسمه قسمين .

(٤) أي فإن طلب الإعفاء من هذه القسمة فأعفه ، وأخلط ، وأعد القسمة .

ثُمَّ أَخْلَطَهُمَا ثُمَّ أَصْنَعَ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى
تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ . وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا ١ وَلَا هَرِمَةً وَلَا
مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ٢ ، وَلَا تَأْمَنْنَّ عَلَيْهَا
إِلَّا مَنْ ثَقِيَ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى
وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا
شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا ، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجَحِفٍ ٣ ، وَلَا
مُلْغِبٍ وَلَا مُتَعَبٍ ، ثُمَّ أَحْدِرْ إِلَيْنَا مَا أَجْتَمَعَ عِنْدَكَ
نُصِيرُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ
أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا وَلَا يُمَصِّرَ لِبَنِّهَا
فَيُضِرَّ ذَلِكَ بِوَلِيدِهَا ، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا . وَلْيَعْدِلْ
بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا ؛ وَلْيُرَفِّهُ عَلَى الْأَغْبِ .
وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ ٤ . وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنْ

(١) العود - بفتح العين المهملة - المسنن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل، والهرمة
أسن من العود ، والمكسورة : التي أنكسرت إحدى قوائمها ، والمهلوسة المصابة بالهلوس وهو
السل والمراد هنا الضعيفة ، والموار - بضم العين وفتحها - العيب .
(٢) المجحف : الذي يسوقها سوقاً عنيفاً حتى تهزل ، والملغب : المعيب .
(٣) اللاغب : المتعب ، والنقب - بفتح فكسر - الذي رقت أخفافه ، والظالع الذي
غمز في مشيته .

الْغُدْرُ ١ وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ،
وَلَيْسَ رَوْحُهَا فِي السَّاعَاتِ وَلَيُمَهِّلُهَا عِنْدَ النَّطَافِ ٢ وَالْأَعْشَابِ
حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدْنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتَعَبَاتٍ وَلَا
مَجْهُودَاتٍ ٣ ، لِنَنْقَسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

هذه الوصية معروفة بين العلماء قبل الرضي رحمه الله تعالى ، فقد رواها
الكليني في كتاب « الزكاة » من « فروع الكافي » : ٣ - ٥٣٦ ، تحت عنوان
(ادب المصدق) بسنده عن بريد بن معاوية (٤) ، قال : سمعت ابا عبد
الله عليه السلام يقول بعث امير المؤمنين صلوات الله عليه مصدقاً من الكوفة
إلى باديتها . فقال له : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله .. إلى آخر
الوصية .

(١) الغدر : جمع غدير : وهو ما غادره السبل من المياه .

(٢) النطاف : جمع نطفة وهي الماء القليل .

(٣) البدن : جمع بادنة أي سميعة ، والمنقيات : التي صارت من سمتها ذات نقى وهو
مخ العظام والنقو : كل عظم ذي مخ .

(٤) هو أبو القاسم بريد بن معاوية بن أبي حكيم - واسمه حاتم - العجلي ، وجه من
وجوه الشيعة ، وفقهه من أكابر فقهاءهم ، وراو من أوثق روايتهم ، روى عن أبي جعفر الباقر
وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام ، وله مكانة عندهما عليهما السلام ، وعده الإمام الصادق
عليه السلام : من أوتاد الأرض ، وأعلام الدين ، وأبناء الله على حلاله وحرامه ، الذين لولاهم
لأنقطعت آثار النبوة وأندرت ، وعده عليه السلام من المخبتين السابقين الذين سبقوا إليهم في
الآخرة ولذا كانوا أحب الناس إليه أحياء وأوتاً .
مات في حياة الصادق عليه السلام سنة ١٥٠ .

قال ثم بكى ابو عبد الله عليه السلام ^(١) ثم قال :

يا بريد والله ما بقيت لله حرمة الا انتهكت ، ولا عمل بكتاب الله ،
ولا سنة نبيه في هذا العالم ، ولا أقيم في هذا الخلق حد منذ قبض امير
المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم
الناس هذا .

ومن نقلته قبل الشريف ابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات » على
ما نقله المجلسي في كتاب « الزكاة » من « بحار الانوار » والمحدث النوري
في « مستدرک الوسائل » : ١ - ٥١٦ بسند عن عبد الرحمن بن سليمان ^(٢)
عن ابي جعفر محمد بن علي عليهم السلام قال : بعث علي عليه السلام
مصدقاً من الكوفة إلى باديتها وذكر الوصية . وانظر الغارات ص ٢٦٤

ومنهم المفيد في « المقنعة » ص ٥٤٢ ونقله عن « المقنعة » محمد بن ادريس
في « السرائر » ص ١٠٧ .

ومن رواية هذه الوصية شيخ الطائفة في « التهذيب » : ١ - ٣٨٦ .
والزنجشيري في (ربيع الابرار) في الباب : ٥٢ بصورة تختلف قليلا
مع رواية الرضي ^(٣) .

(١) أقسم بالله تعالى أن هذه الوصية أبكتني أكثر من مرة عندما أقرأها في « نهج البلاغة »
قبل أن أطلع على ما رواه صاحب « الكافي » من بكاء الصادق عليه السلام عند روايتها والحمد
لله رب العالمين .

(٢) لعل عبد الرحمن هذا هو ابن سايمان بن الفسيل المدني ، وكان قد رأى سهل بن سعد
وروى عن عكرمة ، وعمر مائة وستين سنة أو هو عبد الرحمن بن سايمان الأصهباني فكلامها
في عصر واحد **والقول أقرب لأنه من الرواية عن الباقر الصادق عليهما السلام** .

(٣) أنظر « روضات الجنات » : ج ٨ ص ١٢٢ .

٢٦ - ومن عهدٍ له عليه السَّلامُ

إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ ،
حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ . وَأَمْرُهُ أَنْ لَا
يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ
فِيمَا أَسْرَى ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَفِعْلُهُ
وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ آدَى الْأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَجِبَهُمْ وَلَا يَعْضَهُمْ ، وَلَا يَرِغَبَ
عَنْهُمْ تَفْضُلاً بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمْ الْإِخْوَانُ فِي
الدِّينِ وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقّاً
مَعْلُوماً ، وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكِنَةٍ وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ،
وَإِنَّا مُفَوِّضُكَ حَقَّكَ فَوْفَهُمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلَّا تَفَعَّلْ فَإِنَّكَ
مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصَمَهُ
عِنْدَ اللَّهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ

(١) يعضهم : يرميهم بالعضية وهي الكذب ، واليهتان .

وَالْغَارِمُ وَابْنُ السَّبِيلِ . وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِي
الْخِيَانَةِ وَلَمْ يُنْزِهِ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي
فِي الدُّنْيَا الْخِزْيَ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى . وَإِنْ
وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ الْغَشِّ غَشُّ
الْأُتَمَّةِ . وَالسَّلَامُ .

العامل المذكور هو مخنف بن سليم الأزدي كما نص على ذلك القاضي
النعمان في « دعائم الاسلام » : ١ - ٢٥٢ قال :

عن علي عليه السلام انه اوصى مخنف بن سليم الأزدي (١) وقد بعثه على
الصدقة بوصية طويلة ، امره بتقوى الله ربه في سرائر اموره ، وخفيات
اعماله ، وان يلقاهاهم ببسط الوجه ، ولين الجانب ، وامره ان يلزم التواضع ،
ويجتنب التكبر ؛ فان الله يرفع المتواضعين ، ويضع المتكبرين ، ثم قال له :
يا مخنف بن سليم إن لك في هذه الصدقة نصيباً وحقاً مفروضاً ، ولك
فيها شركاء فقراء ومساكين ، وغارمين ومجاهدين ، وابناء سبيل ، ومملوكين ،
ومتألفين ، وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم ، وإلا فانك من اكثر الناس
يوم القيامة خصماء ، وبؤساً لامرئ ان يكون خصمه مثل هؤلاء .

فترى ان رواية النعمان هذه مع تلخيصه لها تضمنت معنى ما ذكره الرضي
من هذه الوصية .

(١) مخنف بن سليم الأزدي الغامدي له صحبة وعداده في الكوفيين ، وكان من اصحاب
علي عليه السلام استعمله على اصبهان ، وشهد معه صفين ، وكان معه راية الازد ، ومن ولد
مخنف هذا ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم صاحب السير والاخبار .

٢٧ - ومن عهد له عليه السلام

إلى محمد بن أبي بكر (رض) حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَأَبْسُطْ
لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ ١ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ حَتَّى
لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَنَاسَ اللَّهُ عَفَاءُ مِنْ
عَدْلِكَ بِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ
الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ ،
فَإِنْ يُعَذِّبُ فَانْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ .

وَأَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا
وَأَجَلِ الْآخِرَةِ ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ
يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ . سَكَنُوا الدُّنْيَا
بِأَفْضَلِ مَا سَكَنْتَ ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتَ ،
فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ ، وَأَخَذُوا
مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ أَنْقَلَبُوا عَنْهَا

(١) آس : امر من آسى (بمد الهنزه) اي سوى ، واللحظة : اخف من النظرة .

بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ وَالْمَتَجَرِّ الرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ
الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ غَدًا فِي
آخِرَتِهِمْ . لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ
مِنْ لَذَّةٍ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ
عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرِ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ
لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ، أَوْ شَرٌّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا .
فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا ١ ؟ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ
مِنْ عَامِلِهَا ؟ . وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ،
وَلِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ . وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ .
الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ ٢ وَالدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ .
فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا
جَدِيدٌ . دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ،
وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَلِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ
مِنْ اللَّهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ

(١) استفهام بمعنى النفي ، أي لا اقرب إلى الجنة من يعمل لها ... الخ .

(٢) النواصي جمع ناصية : وهي مقدم شعر الرأس .

إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدَرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ ١ ،
وَلِإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ .

وَأَعْلَمَ يَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ
أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ
تُخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ ٢ ، وَأَنْ تُنَافِصَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ
يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا
أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ مِنْ
اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمَوْقِتَ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتُهَا
لِفِرَاقٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاسْتِغَالٍ . وَأَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ .

(وَمِنْهُ) فَإِنَّهُ لَا سَوَاءَ إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ،
وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ . وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا . أَمَّا

(١) أي ان مقدار حسن ظن العبد بربه مطابق لمقدار خوفه منه .

(٢) محقوق : أي حقيق ، والمنافعة : المجادلة .

الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللَّهُ بِإِيْمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللَّهُ
بِشِرْكِهِ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ
عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ ١ .

هذا العهد كتبه امير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن ابي بكر لما ولاه
مصر ، وكان محمد رحمه الله ينظر فيه ، ويتأدب بأدبه ، فلما ظهر عليه
عمرو بن العاص وقتله اخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية ، فكان معاوية
ينظر في هذا الكتاب ، ويعجب منه ، فقال الوليد بن عقبة وهو عند
معاوية ، وقد رأى إعجابه به : مر بهذه الاحاديث ان تحرق ، فقال معاوية :
مه لا رأي لك ، فقال الوليد : أفمن الرأي ان يعلم الناس ان احاديث
أبي تراب عندك تتعلم منها ! فقال معاوية : ويحك أتأمرني ان احرق علماً
مثل هذا ؟ والله ما سمعت علماً هو اجمع منه ولا احكم ، فقال الوليد :
ان كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله ؟ فقال : لولا ان ابا تراب
قتل عثمان ثم افتانا لآخذنا عنه .

ثم سكت هنيهة ، ثم نظر إلى جلسائه ، فقال :

إننا لا نقول : إن هذه من كتب علي بن ابي طالب وكلامه ، ولكن نقول :
هذا من كتب ابي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها ،
ونأخذ منها .

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز ،
فهو الذي اظهر انها من احاديث علي بن ابي طالب عليه السلام .

(١) صاحب هذه الصفة أضر على المؤمنين من الكافر ، لانه يقول بلسانه ما يعرف صوابه ،
وما يفعل سراً لو علمه المؤمنون لا نكروا عليه .

- روى ذلك ابراهيم بن هلال الثقفي في « كتاب الغارات » ص ٢٥٢ .
 وليعلم ان ما ذكره الرضي من هذا العهد مختاره .
 اما رواته قبل الرضي فمنهم :
 ١ - ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » ص ٢٣٤ .
 ٢ - ابن شعبة في « تحف العقول » : ص ١٧٦ .
 ورواه بعد الرضي :
 ٣ - الشيخ المفيد في « المجالس » : ص ١٣٧ .
 ٤ - شيخ الطائفة في « الامالي » : ج ١ - ٢٤ .
 ٥ - الطبري في « بشارة المصطفى » ص ٥٢ .
 وكل هؤلاء رووا هذا العهد بأسانيد ذكروها في كتبهم .
 ٦ - ابن ابي الحديد في « شرح النهج » : م ٢ - ٢٦ ، عن كتاب
 « الغارات » للثقفى .
 ٧ - الشيخ ورام ذكر فقرات منه في مجموعته ص ١٢ و ص ٤٨٩ .

٢٨ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ أَصْطَفَاءُ اللَّهِ
 مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدُهُ إِيَّاهُ بِمَنْ
 أَيْدُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَّرْنَا لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا إِذْ

(١) موضع العجب : ان معاوية يخبر علياً عليه السلام باصطفاء الله محمدًا صلى الله عليه وآله
 وتشريفه له .

طَفَقْتَ تُخَبِّرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ،
فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرًا أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ
إِلَى النَّضَالِ . وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ
وَفُلَانٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَ لَكَ كُلُّهُ ٢ ، وَإِنْ
نَقَصَ لَمْ تَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ . وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ
وَالْمَفْضُولَ ٣ ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ؟ وَمَا لِلطُّلُقَاءِ وَأَبْنَاءِ
الطُّلُقَاءِ وَالْتِمِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ
دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ . هِيَئَاتِ لَقَدْ حَنَّ قِدْحُ
لَيْسَ مِنْهَا ٤ ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا .

(١) هجر : هنا ناحية بالبحرين كثيرة النخل ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر ،
واصل هذا المثل : ان رجلا قدم البصرة للتجارة فلم يجد فيها اكسد من التمر ، فاشترى بجميع
ما معه من المال تمرأ وحمله إلى هجر ، وادخره ينتظر به السعر فلم يزدد الا رخصاً حتى فسد
جميعه وتلف ماله فضرب به المثل .

(٢) ان صح ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه لانك بمعدل عنه .

(٣) وما للطلقاء .. الخ : استفهام على سبيل الاستحقار ، واستنكار عليه ان يخوض في
مثل هذه الامور العظيمة مع حقارته .

(٤) حن : صوت ، والقدح - بكسر القاف - السهم من قداح الميسر ، وإذا كان احد
القداح من غير اخواته فاجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها فيعرف به انه ايس من جملة
القداح ، مثل يضرب لمن يفاخر بقوم ليس منهم ، وقد تمثل به عمر بن الخطاب « رضي الله عنه »
حين امر رسول الله علياً عليهما السلام ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط فقال : اقتل
من بين قريش فقال عمر : (حن قدح ليس منها) ، وذلك ان جده ذكوان غلام من اهل صفورية
تبناه امية .

أَلَا تَرَبُّعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ ١ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ؟
وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخْرَكَ الْقَدَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ
وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ .

وَإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي آتِيهِ ٢ رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ . أَلَا
تَرَى - غَيْرُ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أَحَدْتُ - أَنْ
قَوْمًا ٣ اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلِكُلِّ
فَضْلٍ ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ ،
وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً
عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ . أَوَلَا تَرَى أَنْ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلِّ فَضْلٍ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا
فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ ه قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ ،
وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسُهُ لَذَكَرَ

(١) استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجة السابقين ، واستعارة لفظ الظلع
اقصوره ، ووجه المشابهة قصوره عن لحاق رتبة السابقين كقصور البعير أنطالع عن شأو الضليع .
(٢) التيه : الضلال ، والرواغ : الميال ، والقصد : الاعتدال .
(٣) قوله عليه السلام لست مخبراً لك : أي لست عندي أهلاً لأخبرك بذلك ، و « ان قوماً »
مفعول لتري .

(٤) يعني حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .
(٥) المراد به جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه .

ذَاكَرُ فُضَائِلَ جَمَّةٍ ١ تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمَجُّهَا
 آذَانُ السَّامِعِينَ قَدَعُ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ ٢ فَإِنَّا
 صَنَائِعُ رَبِّنَا ٣ وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا . لَمْ يَمْنَعَنَا
 قَدِيمَ عِزِّنَا وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ
 بِأَنفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنكَحْنَا فَعَلَ الْكَفَاءُ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ .
 وَأَنْتَى يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ ه ،
 وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ

(١) اشارة إلى نفسه عليه السلام .

(٢) الطريقة : التي يرميها الصائد ، والمراد بها الدنيا ، اي دع عنك من مال إلى الدنيا
 ومالت به من الطمع والمقاصد ، الذين يغرونك بالمضي في الباطل طلباً للدنيا وطمعاً فيها . قيل
 يمرض عليه السلام بهذا بعمرو بن العاص وامثاله من اصحاب معاوية وفي « نهاية الارب » ودع
 عنك من مالت به (الدنيا) وهي الدنيا ، او الامر الخسيس .

(٣) يقال : (فلان صنيعه فلان) اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى : (واصطنعتك لنفسي)
 والمعنى : ان الله اصطفانا ، وجعل النبوة في بيتنا ومنه فاضت الهداية على الوري .

(٤) قديم مفعول (يمنع) والفاعل (ان خلطناكم) والعادي : الاعتيادي المعروف ،
 والاكفاء : جمع كفء : وهو النظير في الشرف .

(٥) المكذب : عتبة بن ربيعة او شيبه وفيهما وفي جماعة من قريش نزل قوله تعالى :
 (ذرني والمكذبين) ، او المراد به ابو سفيان فان تكذيبه لرسول الله معلوم . و (اسد الله)
 الله حمزة و (اسد الاحلاف) عتبة بن ربيعة ووههم بعض شراح « النهج » فقال : اسد بن عبد
 العزى لانه من بني زهرة ولا يمكن ان يعبر به معاوية (سيدا شباب اهل الجنة) الحسن والحسين ،
 و (صبيبة النار) اولاد عقية بن ابي معيط ، و (خير نساء العالمين) فاطمة بنص من رسول الله صل
 الله عليه وآله وسلم كما مر في مصادر الكلام برقم ٢٠٠ (خطب) ، و (حمالة الحطب) ام جميل عمة معاوية .

وَمِنْكُمْ حَمَالَةٌ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ ١ .
 فَاِسلامنا قَدْ سَمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتِنَا لَا تُدْفَعُ ٢ ، وَكِتَابُ
 اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَدَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ
 بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ « إِنَّ أَوْلَىٰ
 النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ » فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقُرَابَةِ ، وَتَارَةً
 أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا أَحْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْأَنْصَارِ يَوْمَ
 السَّقِيْفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُّوا عَلَيْهِمْ ،
 فَإِنْ يَكُنْ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بغيرِهِ
 فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ ٣ .

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَىٰ كُلِّهِمْ

-
- (١) اي هذه الفضائل المحدودة لنا واضدادها المسرودة لكم .
 (٢) اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا يخفى به في الاسلام فقط فان شرف هاشم في
 الجاهلية ايضاً مشهور ، ومكارم اخلاقهم لا يدفعها دافع .
 (٣) وهو الزام لهم وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين
 (منا امير ومنكم امير) احتج المهاجرون عليهم بان رسول الله منهم وانه من شجرتهم فهم بذلك
 احق بالأمر من بعده فسلموا لهم ، ولا يخلو هذا التسليم اما لكونهم اقرب إلى النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم من الانصار او اخير ذلك ، فان كان الاول فاهل البيت اولى بذلك الحق لكونهم اقرب
 اليه صلى الله عليه وآله وسلم من غيرهم ، وهم ثمرة تلك الشجرة ، وان كان بغيره فحجة الانصار
 قائمة ، وهم على دعواهم .

بَغِيَتْ ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ
فَيَكُونُ الْعُذْرُ إِلَيْكَ . (وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا) ١ .

وَقُلْتُ : «إِنِّي كُنْتُ أَقَادُكُمْ أَيْقَادَ الْجَمَلِ الْمَخْشُوشِ
حَتَّى أَبَايَسَ» ٢ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ،
وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَخْتَ . وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاظَةٍ
فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكَاً فِي دِينِهِ وَلَا
مُرْتَاباً بِبَيْعِيهِ ٣ . وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَضَدُهَا ، وَلَكِنِّي
أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا .

ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَمْ أَنْ تَجَابَ

(١) شكاة - بالفتح - أي نقيصة ، واصلها المرض ، وظاهر أي بعيد والشرط لابي
ذؤيب وأول البيت :

(وعبرها الواشون أي احبها) وتلك ... الخ (.

(٢) المخشوش : الذي جعل في انفه الخشاش - ككتاب - وهو خشبة توضع في انف
الفحل ليسهل قياده .

(٣) الغضاظة : النقص ، وأراد معاوية الغض من الامام بقوده إلى البيعة يوم السقيفة ،
فقاله الامام عليه لعدم تفريقه بين ما يمدح به ويذم . وفي قوله عليه السلام : ما لم يكن شاكاً في
دينه .. الخ تعريض بمعاوية كما لا يخفى .

(٤) أي ان حجتي هذه على كوني مظلوماً في اخذتي لبيعة غيري فان المقصود بها غيرك ، إذ
لست في هذا الامر بشيء . فتخاطب فيه و (سنج) بمعنى عرض .

عَنْ هَذِهِ لِرَحْمِكَ مِنْهُ ١ فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَأَهْدَى إِلَى
مَقَاتِلِهِ ٢ . أَمَّنْ بَدَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَأَسْتَكْفَهُ ٣ ،
أَمَّنْ آسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَبَثَّ أَلْمُنُونَ إِلَيْهِ ٤ حَتَّى أَتَى
قَدْرُهُ عَلَيْهِ . كَلَّا وَاللَّهِ (لَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُعْوَِقِينَ ٥ مِنْكُمْ
وَأَلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا
قَلِيلًا) .

وَمَا كُنْتُ لَأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ
أَحْدَاثًا ٦ ، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ
فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظُّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ ٧ (وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) .

(١) لقرايتك منه يصح الجدال معك فيه .

(٢) أعدى : أشد عدواناً ، والمقاتل : وجوه القتلى .

(٣) أي طلب قعوده والكف عن نصرته .

(٤) وذلك أن عثمان بعث إلى معاوية مستصرخاً فلم يزل يبعده ويتراخى عنه إلى أن قتل .

(٥) المانعون من النصرة .

(٦) نقم عليه : عاب عليه ، والاحداث جمع حدث : وهو البدعة .

(٧) الظنّة - بكسر الظاء - : التهمة ، والمتنصح : المبالغ في النصيح . والمذكور حجز

بيت صدره :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد البيت

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ. فَلَقَدْ
 أَضْحَكَتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارِ ١ ، مَتَى الْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ
 عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ ٢ وَيَالِ السُّيُوفِ مُخَوِّفِينَ . (لَبِثُ قَلِيلًا
 يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمْلٌ) ٣ . فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ
 مِنْكَ مَا تَسْتَبْعُدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنْ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ
 زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مَتَسَرِّبِلِينَ سَرَابِيلَ
 الْمَوْتِ ، أَحَبَّ الْلِقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، قَدْ
 صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفَتْ
 مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ
 « وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ » .

(١) الاستعبار : البكاء . وهو يضحك عجباً لتهديد معاوية له بعد بكائه على الدين الذي
 تلاعب به معاوية واشباهه .

(٢) الاستفهام انكاري ، والفيت : وجدت ، وناكلين : متأخرين .

(٣) لبث — بالتشديد — فعل امر ، اي امهل ، والهيجاء : الحرب ، وحمل — بالتحريك —
 هو حمل بن بدر القشيري اغير على ابله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذا الموت نزل

(٤) مرقل : مسرع ، والجحفل : الجيش العظيم ، والقَتَام : الغبار ، وساطع : منتشر ،
 وسرايل جمع سرايل : وهو القميص او الدرع ، او كل ما لبس ، والمعنى انهم مستعدون
 للموت ، مرحبون به .

كان معاوية قد كتب لأمير المؤمنين عليه السلام كتاباً مع أبي امامة الباهلي (١) يقول فيه :

من معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب :

أما بعد : فإن الله تعالى جده ، اصطفى محمداً عليه الصلاة والسلام لرسالته ، واختصه بوحيه وتأدية شريعته ، فألقه به من العماية ، وهدى به من الغواية ، ثم قبضه إليه رشيداً حميداً ، قد بلغ الشرع ، ومحق الشرك ، واخمد نار الألفك ، فأحسن الله جزاءه . وضاعف عليه نعمة وآلاءه .

ثم إن الله اختص محمداً عليه الصلاة والسلام بأصحاب أيدوه ونصروه ، وكانوا كما قال الله سبحانه لهم (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ، فكان افضلهم مرتبة واعلاهم عند الله والمسلمين منزلة . الخليفة الاول الذي جمع الكلمة ، ولم الدعوة ، وقاتل اهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، واذل رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم ، الذي نشر الملة ، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفة .

فلما استوثق الاسلام . وضرب بجرانه (٢) عدوت عليه ، فبغيته الغوائل ، ونصبت له المكاييد . وضربت له بطن الامر وظهره ، ودسست عليه ، واغريت به وقعدت — حيث استنصره — عن نصره . وسألك ان تدركه قبل ان يمزق فما ادركته . وما يوم المسلمين منك بواحد .

(١) أبو امامة « بضم الهمزة » : صدي « بالتصغير » بن العجلان الباهلي صحابي مشهور ، سكن مصر ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص ، وبعثه معاوية إلى علي عليه السلام مع أبي الدرداء بالكتاب المذكور ، وعاد بالجواب إلى معاوية ، واعتزل القتال ، ويقال : ان معاوية وضع عليه الحراس لئلا يلحق بأمير المؤمنين عليه السلام ، وله رد على معاوية وقد قال له ذات يوم : أما خير من علي تجده في « التاسع » من « بحار الانوار » ص ٦٤٢ . ط الكلباني .
مات أبو امامة بحمص سنة « ٨١ » أو « ٨٦ » وهو آخر من مات من الصحابة بالشام .
(٢) جران البعير مقدم عنته من مذبحه إلى منحره ، ومعنى ضرب الاسلام بجرانه : أي استقام وقر في قراره ، كما ان البعير اذا برك واستراح مد جراحه على الارض .

لقد حسدت ابا بكر والتويت عليه ، ورمت افساد امره ، وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تعدوا عن بيعته ، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته ، وسررت بقتله ، واظهرت الشماتة بمصابه ، حتى انك حاولت قتل ولده^(١) لأنه قتل قاتل ابيه .

ثم لم يكن اشد منك حسداً لابن عمك عثمان ، نشرت مقابحه ، وطويت محاسنه ، وطعنت في فقهه ، ثم في دينه ، ثم في سيرته ، ثم في عقله ، واغريت به السفهاء من اصحابك وشيعتك ، حتى قتلوه بمحضر منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد وما من هؤلاء الا من بغيت عليه ، وتلكأت في بيعته ، حتى

(١) كان الهرمزان من عظماء الفرس ، وقد استولى على الاهواز ونواحيها فلما فتح المسلمون الاهواز سنة ١٧ ، حاصروا الهرمزان في قلعته ، فطلب الصلح على حكم عمر ، فارسلوا به إلى المدينة ، فلما مثل بين يدي عمر استسقى ، فاتي بماء ، فقال لعمر - وكان الترجمان بينهما المغيرة بن شعبة - : اخاف ان تقتلني وانا اشرب فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب ، فرمى الهرمزان بالاناء فانكسر فقصده عمر قتله ؟ فقال : انك قد امنتني ، فقال عمر كذبت ، فقال الحاضرون من الصحابة انك امنت به بقولك : لا بأس عليك حتى تشرب ولم يشرب ذلك الماء - قيل ان القائل هو علي عليه السلام - فتركه عمر وعفا عنه ، فلما رأى ذلك الهرمزان قال : أهكذا دينكم ! فاسلم وفرض عمر له الفين فسكن المدينة له ما للمسلمين وعليه ما عليهم . قال ابن كثير : « وحسن اسلام الهرمزان فكان لا يفارق عمر » .

فلما قتل عمر اتهم الهرمزان بماللات ابي لؤلؤة ، فجاءه عبيد الله بن عمر فقال له : اصحبني ننظر إلى فرس لي - وكان الهرمزان بصيراً بالخيول - فخرج بين يدي عبيد الله فعلاه بالسيف فقتله وهو يقول : لا إله الا الله ، ثم قصد عبيد الله إلى جفينة - وهو رجل ذمي من النصارى من اهل الحيرة اقدمه سعد بن ابي وقاص المدينة ليعلم الناس الكتابة - ثم قصد ابنة ابي لؤلؤة وهي صغيرة فقتلها ، فأخذ عبيد الله وحبس حتى يتم الاستخلاف ، وقد اعظم المسلمون فعله ، فلما بويع عثمان استشار الصحابة في القضية فاشار علي عليه السلام بقتله ، وقال جماعة : بالأمس قتل عمر وتريدون ان تتبعوه ابنة اليوم ، فأخذ عثمان يقولهم وعفا عن عبيد الله ، فلما بويع علي عليه السلام طلب عبيد الله ليعتص منه فهرب إلى معاوية وقتل بين يديه يوم صفين وقد اشرنا إلى مقتله فيما مضى من هذا الكتاب « انظر ص ١٠ من هذا الجزء » .

حملت اليه قهراً تساق بجزام الإقتسار^(١) كما يساق الفحل المخشوش . ثم نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك^(٢) والمحدثون بك ، وتلك من امانى النفوس ، وضلالات الاهداء .

فدع اللجاج والعبث جانباً ، وادفع الينا قتلة عثمان ، واعد الامر شورى بين المسلمين ، ليتفقوا على من هو الله رضى ، فلا بيعة لك في اعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عتي^(٣) لك عندنا ، وليس لك ولاصحابك عندي الا السيف ، والذي لا اله الا هو لا طلبن قتلة عثمان اين كانوا ، وحيث كانوا ، حتى اقتلهم او تلحق روجي بالله .

فأما ما لا تزال تمن به من سابقك وجهادك فأني وجدت الله سبحانه يقول (يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين)^(٤) ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها اشد الانفس امتناناً على الله بعملها ، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل اجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل اجر الجهاد ، ويجعله (كصفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلداً^(٥) لا يقدر على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) .

فاجابه امير المؤمنين عليه السلام في الكتاب المسطور .

وقد روى هذا الكتاب ابو العباس القلقشندي في « صبح الاعشى » : ج ١ ص ٢٢٩ وشهاب الدين النويري في « نهاية الارب » ج ٧ ص ٢٣٣ .

(١) الاقتسار : القهر .

(٢) الخلصاء : جمع خلص - بالكسر - : وهو الصاحب ، والسجاء : جمع سجير - ككريم - وهو الخليل .

(٣) العتي : الرضى .

(٤) الحجرات : ١٧ .

(٥) الصفوان : واحده صفوانة ، وهي الحجر الصلب الضخم . والوايل : المطر ، والصلد : الصلب . والآية الكريمة في سورة البقرة : ٢٦٤

ياختلاف قليل مع رواية الرضي في بعض الألفاظ ، وذلك ما نهتدي به إلى ان مصدرهما غير « نهج البلاغة » .

وقال ابن ابي الحديد : سألت النقيب ابا جعفر يحيى بن ابي زيد (١) فقلت له :

ارى هذا الجواب منطقاً على جواب معاوية الذي بعثه مع ابي مسلم الخولاني إلى علي عليه السلام فان كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره ارباب السيرة ، واورده نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » اذن غير صحيح ، وان كان ذلك الجواب فهذا الجواب اذن غير صحيح ولا ثابت ، فقال : بل كلاهما ثابت مروى (٢) ، وكلاهما كلام امير المؤمنين عليه السلام والفاظه ، ثم امرني ان اكتب ما يعليه على فكتبته ، قال رحمه الله :

(١) ولد ابو جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد العلوي سنة « ٥٤٨ » بالبصرة ونشأ بها ، وتخرج على علمائها ، واخذ عن ادبائها ، وبرع في كثير من العلوم كالفقه والحديث واللفظ والادب ، ونظم الشعر .

وولى نقابة الطالبين بعد وفاة ابيه سنة « ٥٦٠ » في عهد المستنجد العباسي وله من العمر اثني عشرة سنة . واستبعد الدكتور مصطفى جواد ان يكون باشر مهام النقابة وهو بهذا السن ، وقال : ففي مثل هذا يجب ان يكون له نائب يباشرها عنه .

وقدم بغداد متظلماً من ناظر البصرة واجتمع في هذه القدمة بالناصر لدين الله وحجب اليه هذا الاجتماع الهجرة إلى بغداد فانتقل اليها سنة « ٦٠٥ » ، وكانت حافلة بالعلماء والأدباء ، وما حظ رحله ببغداد حتى قصده طلاب الادب ، واهل الحديث ، ورواة الشعر والاختبار والانساب وكان من اقرب التلاميذ اليه ، واكثرهم اختلافاً إلى مجلسه عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي ، وقد نثر ابن ابي الحديد في شرحه على « نهج البلاغة » بعض تقريراته في مختلف الفنون وجمعها الدكتور مصطفى جواد في كتابه « ابو جعفر النقيب » .

توفي ابو جعفر في شهر رمضان سنة « ٦١٣ » .

(٢) تأمل في قول النقيب رحمه الله : كلاهما ثابت مروى ... الخ .

كان معاوية يتسقط (١) علياً وينعي عليه ما عساه يذكره من حال أبي بكر وعمر ، وإنهما غصبا حقه ، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه ، والرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث ما في صدره من حال أبي بكر وعمر ، أما مكاتبة أو مراسلة فيجعل ذلك حجة عليه عند أهل الشام ، ويضيفه إلى ما قرّره في انفسهم من ذنوبه — كما زعم — فقد كان غمسه (٢) عندهم بأنه قتل عثمان ومالاً على قتله ، وأنه قتل طلحة والزبير ، وأسر عائشة ، وارق دماء أهل البصرة . وبقيت خصلة واحدة ، وهو أن يثبت أنه يتبرأ من أبي بكر وعمر ، وينسبهما إلى الظلم ، ومخالفة الرسول في أمر الخلافة ، وإنهما وثبا عليها غلبة وغصبا إياها ، فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد أهل الشام عليه ، بل وأهل العراق الذين هم جنده وبطانته وانصاره ، لأنهم كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلا القليل الشاذ من خواص الشيعة . فلما كتب ذلك الكتاب مع أبي مسلم الخولاني قصد أن يغضب علياً ويحوجه إذا قرأه إلى ذكر أبي بكر وأنه أفضل المسلمين إلا أن يخط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في أبي بكر فكان الجواب مجمماً غير بين ، ليس فيه تصريح في التظلم لهما ، ولا التصريح ببرائتهما . وتارة يترحم عليهما ، وتارة يقول : اخذا حقي وقد تركته لهما ، فأشار عمرو بن العاص على معاوية أن يكتب كتاباً مناسباً ثانياً للكتاب الأول ليستفزا فيه علياً عليه السلام ويستخفاه ويحمله الغضب منه أن يكتب كلاماً يتعلقان به في تقييح حاله وتهجين مذهبه .

وقال له عمرو : وإن علياً رجل نزق (٣) تيّاه فما استطعت منه الكلام بمثل تقرّض أبي بكر وعمر فاكتب فكتب كتاباً أنفذه مع أبي امامة الباهلي

(١) يتسقط يقال ، فلان يتسقط فلاناً أي : عاجله ليروح بما عنده ، وينعى عليه : أظهر ذنوبه .

(٢) غمسه : هنا ، عابه .

(٣) النزق : الطائش .

وهو من الصحابة بعد ان عزم على بعثته مع ابي الدرداء^(١) ونسخة الكتاب :
من عبد الله معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب :
اما بعد : فان الله تعالى جده اصطفى محمداً عليه السلام .. إلى آخر الكتاب
الذي ذكرناه فيما تقدم .

ثم قال النقيب ابو جعفر : فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع
ابي امامة الباهلي كلم ابا امامة بنحو مما كلم به ابا مسلم وكتب معه هذا
الجواب .

قال النقيب : وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو
الفحل المخشوش لا في الكتاب الواصل مع ابي مسلم ، وليس في ذلك هذه
اللفظة ، وإنما فيه حسدت الخلفاء ، وبغيت عليهم ، عرفنا ذلك من نظرك
الشزر ، وقولك الهجر ، وتنفسك الصعداء ، وابطائك عن الخلفاء .

قال : وانما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين والمشهور عندهم كتاب
ابي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح انها في كتاب ابي امامة ، الا
تراها عادت في جوابه ؟ ولو كانت في كتاب ابي مسلم لعادت في جوابه^(٢)

وعلى كل حال فالكتاب من كتبه عليه السلام المشهورة ومثنه يغني عن
سنده . مضافاً إلى انه مروي قبل الرضي في « كتاب الفتوح » لابي محمد احمد بن
اعثم الكوفي ج ٢ ص ٩٦١ مع زيادة فقرات لم تذكر في « النهج » .

(١) عويمر او عامر بن مالك بن زيد الانصاري صحابي معروف ، ولي قضاء دمشق من
قبل عثمان بن عفان ، وقد وهم من قال : ان ابا الدرداء توفي قبل مقتل عثمان لاجماع اهل السيرة
على انه من جملة الرسل إلى علي عليه السلام يطالب منه ان يدفع اليه قتلة عثمان ؛ ويقال ان ابا
الدرداء من جملة من اعتزل القتال بصفين .
(٢) شرح النهج م ٣ ص ٤٤٧ .

٢٩ - ومن كتابه عليه السلام

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبُوا
عَنْهُ ١ فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ
مُذِيرِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ . فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ
الْمُرْدِيَّةُ وَسَفَهُ الْأَرَاءِ الْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي فَهَا
أَنَا إِذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي ٢ وَرَحَلْتُ رِكَابِي ، وَلَيْسَنَ
الْجَائِئِمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لِأَوْقَعَنَ بِكُمْ وَقَعَةً لَا يَكُونُ
يَوْمُ الْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْعَقَةٍ لَاعِقٍ ٣ ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ
لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ ، غَيْرَ
مُتَّهِمًا إِلَى بَرِيٍّ ، وَلَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ ٤ .

كتب عليه السلام هذا الكتاب مع جارية بن قدامة السعدي لما وجهه إلى

(١) ما لم تنبوا عنه : أي لم تسهو عنه ولم تغفوا .

(٢) قربت جيادي : أمرت بتقريب خيلي لاركب واسير اليكم ، ورحلت ركابي : شددت على ظهورها الرحل ، والركاب : الابل .

(٣) مثل يضرب للشيء الحقيق الثاقف ، والعقّة بفتح اللام : اللحسة بضم اللام ما تأخذه الملعقة .

(٤) الناكث : الناقض عهده .

البصرة لقمع فتنة ابن الحضرمي وقد مر فيما تقدم من هذه الكتاب مجمل
القصة (١) ، واول هذا الكتاب :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا من ساكني
البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ،

اما بعد : فان الله حليم ذو اناة ، لا يعجل بالعقوبة قبل البينة (٢) ، ولا
يأخذ المذنب عند اول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضي
بالانابة ليكون اعظم للحجة ، وابلغ في المعذرة ، وقد كان من انتشار
جبلكم ، وشقاق جلكم . إلى آخر ما ذكره الرضي ، وبعده :

ولاني لظان ان لا تجعلوا ان شاء الله على انفسكم سبيلا ، وقد قدمت هذا
الكتاب اليكم حجة عليكم ، ولن اكتب اليكم من بعده كتاباً ان انتم
استغششتم نصحي وناذتم رسولي حتى اكون انا الشاخص اليكم ان شاء الله
تعالى والسلام .

ص ٤٠٣

ذكر ذلك ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » بسند عن
كعب بن قعين وصاحب « الغارات » متقدم على الشريف كما ذكرنا ذلك
في غير موطن من هذا الكتاب .

٣٠ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَارْجِعْ

(١) انظر الجزء الاول ص ٦٢ و ٦٣ .

(٢) لعل الصواب : قبل النية .

إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذِرُ بِجَهَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا
وَأَصْحَةَ ، وَسُبُلًا نِيرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً ١ وَغَايَةً مُطْلَبَةً
يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ . مَنْ نَكَبَ عَنْهَا
جَارَ عَنِ الْحَقِّ وَخَبَطَ فِي آلَتِيهِ ٢ ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ ،
وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ . فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ
سَبِيلَكَ . وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى
غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةٍ كُفْرٍ ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا ،
وَأَقْحَمَتْكَ غِيًّا ٣ ، وَأَوْرَدَتْكَ أَلْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ
الْمَسَالِكَ ٤ .

اول هذا الكتاب :

اما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه مشاغبي ، وتستقيح موازرتي ،
وتزعمني متجبراً . وعن حق الله مقصراً . فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة ،
وتستحسن العضيئة ٥ ، فاني لم اشاغب الا في امر بمعروف ، او نهي عن
منكر ، ولم تجبر الا على باغ مارق ، او ملحد منافق ، ولم آخذ في ذلك الا

(١) المحجة : الطريق ، ونهجة واضحة ، ومطلبة : بمعنى مطلوبة . والاكياس العقلاء ،
والانكاس : الادنياء .

(٢) نكب : عدل ، وجار : مال ، وخبط مشى على غير هدى ، والتية : الضلال .

(٣) أولجتك : أدخلتك ، وأقحمتك : رمت بك ، والني : ضد الرشاد .

ويروى (أولجتك شرأ) اي اورطتك في الوحل .

(٤) أوعرت : جعلتها وعرة : اي صعبة .

(٥) العضيئة : الكذب والبهتان .

بقول الله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم)^(١) .
واما التقصير في حق الله تعالى فمعاذ الله ، والمقصر في حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة ، وركن إلى الاهواء المبتدعة ، واخذ إلى الضلالة المحيرة .

ومن العجب ان تصف — يا معاوية — الاحسان ، وتخالف البرهان ، وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبه وعلى عباده حجة ، مع نبذ الاسلام ، وتضييع الاحكام وطمس الاعلام ، والجري في الهوى ، والتهوس في الردى ، فاتق الله فيما بين يديك . إن آخر ما ذكر في « النهج » . وفيه زيادات يسيرة لم يذكرها الرضي رحمه الله .

منها : وان للناس جماعة يد الله عليها ، وغضب الله على من خالفها ، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك ، فانك إن الله راجع ، وإلى حشره مهطع^(٢) وسيهضك كربه ، ويحل بك غمه ، يوم لا يغني النادم ندمه ، ولا يقبل من المعتذر عذره ، (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون)^(٣) .
روى هذا الكتاب بهذه الصورة مع هذه الزيادة كل من ابن ابي الحديد ، وابن ميثم في شرحيهما على « نهج البلاغة »^(٤) وفي الاختلاف الجزئي بين روايتيهما دلالة على ان لكل واحد منهما مصدره الخاص .

ونضيف إلى ذلك ان السيد العلوي روى في « الطراز » : ج ٢ ص ١٢٣ بعض هذا الكتاب وفي روايته كلمات تختلف مع رواية الرضي مما يدل على ان مصدره غير « نهج البلاغة » فانه روى : (تاهت بك الامور) بمكان (تناهت) و (اوصلتك شراً) مكان (اوبختك) فتأمل .

(١) المجادلة : ٢٢ .

(٢) مهطع : اي مسرع .

(٣) الدخان : ٤١ .

(٤) شرح ابن ابي الحديد م ٤ ص ٤٤٩ .

٣١ - ومن وصيته له عليه السلام

للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين
منصرفاً من صفين ١ .

مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ . الْمُقَرَّرُ لِلزَّمانِ ٢ ، الْمُدْبِرُ الْعُمُرِ ،
الْمُسْتَسْلِمُ لِلدَّهْرِ . الدَّامُّ لِلدُّنْيَا ، السَّاكِنُ مَسَاكِنَ
الْمَوْتِ . وَالظَّاعِنُ عَنْهَا غَدًا . إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا
يُدْرِكُ ، أَلْسَالِكَ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ
وَرَهِينَةِ الْأَيَّامِ . وَرَمِيَّةِ الْمَصَائِبِ ٣ . وَعَبْدِ الدُّنْيَا .
وَتَاجِرِ الْغُرُورِ . وَغَرِيمِ الْأَمْنَايَا . وَأَسِيرِ الْمَوْتِ . وَحَلِيفِ
الْهُمُومِ . وَقَرِينِ الْأَحْزَانِ . وَنُصْبِ الْأَفَاتِ ٤ . وَصَرِيحِ
الشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ .

(١) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين (قاله الشيخ محمد عبده) وقال ابن أبي الحديد
كنا نقرأه قديماً كتبها بالحاضرين على صيغة التشية ، يعني حاضر حلب وحاضر قنبرين وهي
الارباض والنواحي المحيطة بهذه البلاد .

(٢) المقرر للزمان : المعترف له بالشدة أو القهر والغلبة .

(٣) الرمية : الهدف .

(٤) نصب : اذا كانت بالضم فمن قولهم « فلان نصب عيني » اي لا يفارقني ، واذا
كانت بفتحيتين او ففتح فسكون فالمراد به الغاية .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ
 الدَّهْرِ عَلَيَّ ١ وَإِقْبَالَ الْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ
 سِوَايَ ٢ ، وَالْاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ
 تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأْيِي ٣
 وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَقْضِي
 بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ .
 وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً
 لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ أَلَمُوتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ،
 فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ
 مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنَيْتُ .

فَلْنِي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بَنِي وَلُزُومِ أَمْرِهِ ،
 وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ
 أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟
 أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمِّتْهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوِّهِ

(١) جموح الدهر : استعصاؤه من قولهم جمع الفرس : اذا غلب صاحبه فلم يملكه .

(٢) يزعني اي يمنعي وتروى : يرغبي من رغب عنه اذا لم يرده .

(٣) صدفه عنه : اماله .

بِالْيَقِينِ ، وَنَوْرُهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ،
 وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ ، وَبَصَّرَهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا ، وَحَذَّرَهُ
 صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَأَعْرَضَ
 عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذَكَرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ
 قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَسَرَّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ
 فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا أَنْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا .
 فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدْ أَنْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْبَةِ ، وَحَلُّوا دِيَارَ
 الْغُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَيَّاحِدِهِمْ .
 فَاصْلِحْ مَثَوَاكَ ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ . وَدَعِ
 الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ . وَأَمْسِكْ
 عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةٍ
 الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ . وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ
 مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنِ مَنْ فَعَلَهُ
 بِجَهْدِكَ ١ . وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي
 اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ . وَخُصِّ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ،

(١) باين : اي باعد .

وَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ ، وَعَوَّذَ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُ
وَنِعَمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ . وَالْجِيءُ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّ
إِلَى إِلَهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيْزٍ ١ ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ
وَأَخْلَصَ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحَرَمَانَ
وَأَكْثَرَ الْأَسْتِخَارَةِ ٢ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْ
صَفْحَا ٣ فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي
عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

أَيُّ بَنِيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا ، وَرَأَيْتُنِي
أَزْدَادًا وَهَنًا بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَا
مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِ
فِي نَفْسِي ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتَ فِي
جِسْمِي ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَةِ
الدُّنْيَا ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ . وَإِنَّمَا قَلْبُ الْإِنْسَانِ

-
- (١) استعمار عليه السلام لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه
يمنع الكهف من يلتجئ اليه .
(٢) الاستخارة : الطلب إلى الله سبحانه ان يخير له فيما يأتي ويذر .
(٣) صفحا : جانبا ، وانتصب على الحال .

كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُتْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ . فَبَادَرْتُكَ
بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ
بِحِجْدٍ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ
وَتَجَرَّبَتَهُ ، فَتَكُونُ قَدْ كُفِّتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيتَ
مِنْ عِلَاجِ التَّجَرُّبَةِ ، فَاتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ ،
وَاسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ ١ .

أَيُّ بَنِي إِنْشِي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِرْتُ عُمَرًا مِنْ كَانَ قَبْلِي
فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ،
وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي
بِمَا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى
آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ
ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ ٢ وَتَوَخَّيْتُ
لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ

(١) اتاك ... الخ : اي تجشم غيرك به المشقة في اكتسابه جاءك عفواً صفواً ، واستبان .
بمعنى ظهر .

(٢) النخيل المختار المصطفى ، و ، ، نخيله : اي خلاصته ، ر ، ويروى
جليلة اي عظيمة ، وتوخيت لك : اي تطلبتك دون سواك .

عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِي أَلْوَالِدَ الشَّفِيقِ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ
 مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ١ ذَلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ وَمُقْتَبِلُ
 الدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِثَكَ
 بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ -
 وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أَجَاوِزُ ذَلِكَ بِكَ إِلَى
 غَيْرِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ
 فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي أَلْتَبَسَ
 عَلَيْهِمْ ٢ ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ
 لَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ
 أَلْهَكَةَ . وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللَّهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ
 يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهَدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هَذِهِ .
 وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ
 وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَالْإِقْتِصَارَ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ،
 وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ ، وَالصَّالِحُونَ

(١) ان يكون في محل نصب مفعول اول لرأيت والمفعول الثاني لرأيت محذوف تقديره
 انفع واصبح .
 (٢) التباس تشابه واختلاف ، والمعنى : خفت ان يلتبس ما اختلف الناس فيه من اهوائهم
 وآرائهم مثل ما التبس عليهم .

مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِنَفْسِهِمْ
 كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ
 آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِسْكَاءَ عَمَّا لَمْ يَكْلَفُوا .
 فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا
 فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمٍ : لَا يَتَوَرَّطُ الشُّبُهَاتِ
 وَعُدُو الْأَخْصُومَاتِ ٢ . وَأَبْدَأْ قَبْلَ نَظْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالْإِسْتِعَانَةِ
 بِاللَّهِ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ
 فِي شُبْهَةٍ ٣ ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ . فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنَّ
 قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَكَانَ
 هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا فَإِنْظُرْ فِيهِمَا فَسَرْتُ لَكَ . وَإِنْ
 أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَرَاغَ
 نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ فَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْطِطُ الْعَشَوَاءَ ٤ ،

- (١) امره بالاقتصار على ما افترضه عليه من النظر في ظواهر الأدلة دون التوغل في الفكر
 وخوض الشبهات مما لم يكاف به اخذا بما مضى عليه الصالحون من اهل بيته .
 (٢) « علو الخصومات » اي رفع الاصوات بالخصومة والجدال ، والمعنى : ان ابنت
 نفسك الاقتصار على ما افترضه الله عليك فليكن طلبك لما انت طالب بتفهم وتعلم لا بجدال
 وخصومة ، وان يبدأ قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لا صابة
 الحق ، والوصول اليه .
 (٣) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة ، واولجتك ادخلتك .
 (٤) العشواء : الناقاة التي لا تبصر امامها ، وخطب العشواء ، ركوب الامر على غير
 بصيرة ، وتورط في الامر على صموبة في التخاصم منه .

وَتَتَوَرَّطُ الظُّلَمَاءُ . وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ
خَلَطَ ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ ١ .

فَتَفْهَمُ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي ، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ
مَالِكُ الْحَيَاةِ ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ ، وَأَنَّ الْمُفْنِي
هُوَ الْمُعِيدُ ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَّ هُوَ الْمُعَافِي ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ
تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمَاءِ ٢ ،
وَالْإِبْتِلَاءِ ، وَالْجَزَاءِ فِي الْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ ،
فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَأَحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ
فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ . وَمَا
أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ
بَصْرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ . فَاعْتَصِمُ بِالَّذِي خَلَقَكَ
وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ
شَفَقَتُكَ ٣ .

(١) أمثل : أفضل .

(٢) أي لا ثبت الدنيا إلا على ما أثبتته الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة ، والاختبار
بالبلاء تارة ، واعقابها الجزاء في المعاد على الخير خيراً ، وعلى الشر شراً .

(٣) شفقتك : أي خوفك .

وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئُ عَنِ اللَّهِ كَمَا أَنْبَأَ
عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا ١ .
وَأِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا ، فَإِنِّي لَمْ آتِكَ نَصِيحَةً ٢ . وَإِنَّكَ
لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَإِنْ أَجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ
نَظَرِي لَكَ .

وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ
رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ
وَصِفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسُهُ . لَا
يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا . وَلَمْ يَزَلْ ، أَوَّلُ
قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِإِلَهِ ٣ ، وَآخِرُ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِإِلَهِ نِهَائِهِ .
عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رَبُّوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا
عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي

(١) الرائد : من يتقدم القوم في طلب الكلأ لتعرف موقعه ، واستعمار عليه السلام لفظة
الرائد باعتباره أنه قد اختبر ما في الآخرة من الثواب المقيم ، والسعادة الدائمة وبشره أمته كما
يبشر الرائد أهله .

(٢) أي لم أقصر في نصحك ، ونصحاً منصوب على التمييز لا على المفعولية ، لان
الفعل لازم .

(٣) هو سبحانه أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها إلا أنه جل جلاله لا أولية أي لا
ابتداء له ، وكذلك هو تعالى آخر الأشياء أخيرة مطلقة ليس تنتهي إلى غاية معينة .

صَغَرَ خَطَرَهُ ١ ، وَقَلَّةَ مَقْدَرَتِهِ ، وَكَثْرَةَ عَجْزِهِ ؛ وَعَظِيمَ
حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَالرَّهْبَةَ مِنْ عُقُوبَتِهِ ،
وَالشَّفَقَةَ مِنْ سُخْطِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنِ وَلَمْ
يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا
وَأَنْتَقَالِهَا ، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعَدُّ لِأَهْلِهَا فِيهَا ،
وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُو عَلَيْهَا .
إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا ٢ كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَا بِهِمْ
مَنْزِلٌ جَدِيدٌ فَأَمَّوْا مَنْزِلًا خَصِيبًا وَجَنَابًا مَرِيعًا ، فَاحْتَمَلُوا
وَعِثَاءَ الطَّرِيقِ ٣ وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ ،
وَجَشُوبَةَ الْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ ،
فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلَمًا ، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً
فِيهِ مَغْرَمًا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ .

(١) الخطر : القدر .

(٢) تحلو : تقتدي وخبر الدنيا : عرفها كما هي بامتحان احوالها ، والسفر :
المسافرون ، ونبا المنزل بأهله : لم يطلب لهم المقام فيه ، وأموا : قصدوا ، والجَنَابُ الفناء
والمرجع ذو الكلاء والخصب .

(٣) وعِثَاءُ السفر : مشقته ، وجَشُوبَةُ المطعم : غلظته ، او كون الطعام بلا ادام .

وَأَذْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلٌ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ
فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهُ إِلَيْهِمْ
وَلَا أَفْطَحَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةٍ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ
عَلَيْهِ ١ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ،
فَاحِبِّ لَغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ
لَهَا ، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا
تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ . وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا
تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَأَرْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ
مِنْ نَفْسِكَ ٢ . وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ ،
وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأَعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ ٣ .

(١) هجم عليه : وقع عليه بفتة .

(٢) أي كل ما رضي أن يفعله بهم فينبغي أن يرضى بمثله منهم وتروى (وأرض من
الناس لك) قال ابن أبي الحديد : وهي أحسن .

(٣) الاعجاب استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً ، وهو ضد الصواب ، وآفة العقول .

فَاسْعَ فِي كَذْحِكَ ١ وَلَا تَكُنْ خَازِنًا لِغَيْرِكَ ٢ . وَإِذَا أَنْتَ
هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ ٣ وَمَشَقَّةٍ
شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لَا غِنَى فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيَادِ ٤ . وَقَدَّرَ
بَلَاغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ . فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ
فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونُ ثِقْلٌ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ
مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمْلُهُ
إِيَّاهُ ٥ . وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ
تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ . وَآغْتَنِمْ مَنْ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ
غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

(١) الكدح اشد السعي ، قيل والمراد به هنا : المال الذي كدح في حصوله والسعي فيه :
انفاقه في وجوه البر .

(٢) يعني الوارثين .

(٣) هو طريق الآخرة ، وفي هذا الطريق شذائد يعسر النجاة منها ، ولذا كان عليه
السلام يتأوه من بعد هذا السفر .

(٤) الارتياذ : الطلب ، والبلاغ : الكفاية ، وخفة الظهر : كناية عن تقليل اكتساب الآثام

(٥) الفاقة : الفقر ، واستعار للمتصدق عليه لفظ الحامل باعتبار انه سبب لوصول ثوابها
إلى المتصدق يوم القيامة ، وهذا معنى الموافاة بها غداً ، قيل وهذا الكلام من أفصح ما قيل في
الحث على الصدقة .

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا ١ ، الْمُخَفُّ فِيهَا
 أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا
 مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ مَهْبطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ
 عَلَى نَارٍ . فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ ٢ وَوُطِئَ الْمَنْزِلَ
 قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ٣ ، وَلَا إِلَى
 الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ ،
 وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ وَتَسْتَرحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ
 يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ
 إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنْ
 التَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ ٤
 وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى ، وَلَمْ يُشَدِّدْ

-
- (١) كُود : صعبة المرتقى ، والمخف - بضم فكسر - من خفف حملة والمراد به قلة الآثام والمثقل بمكسه .
 (٢) ارتد لنفسك : ابعث رائداً من طيِّبات الاعمال توفِّقك الثقة به على جودة المنزل ووطئ المنزل : أي مهده بالعمل الصالح وتروى ووطن .
 (٣) الاستعتاب : طلب الرضا ، والمنصرف : العودة .
 (٤) رويت بالنون وبالطلة فبالأول معناها الرجوع إلى الله وبالثانية تحتل معنيين : الأول كمنى السابقة من تاب إذا رجع ، والثاني بمعنى الثواب .

عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيْمَةِ ، وَلَمْ
يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ . بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ
حَسَنَةً ١ ، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً ، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ
عَشْرًا ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ . فَإِذَا نَادَيْتُهُ سَمِعَ
نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتُهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ٢ ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ
بِحَاجَتِكَ ٣ ، وَأَبَيَّثْتُهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ
مُومَلِّكَ ، وَأَسْتَكْشَفْتُهُ كُرُوبَكَ ٤ ، وَأَسْتَعْنَيْتُهُ عَلَى
أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتُهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى
إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَعَةِ
الْأَرْزَاقِ . ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَدْنَى
لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَةٍ ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ
نِعْمَتِهِ ، وَأَسْتَمْطَرْتَ شَايِبَ رَحْمَتِهِ ٥ . فَلَا يَقْنِطَنَّكَ

(١) النزوع عن الذنب : الخروج منه .

(٢) النجوى : المحادثة سرًّا .

(٣) أفضيت : القيت ، وأبثثته ذات نفسك : كاشفته بحاجتك .

(٤) أي طلبت إليه كشفها .

(٥) شاييب : جمع شوبوب « بالضم » وهو الدفعة من المطر ، واستعمار عليه السلام
الاستمطار لطلب نعم الله تعالى ملاحظة لشبهها بالمطر في كونها سبباً للحياة وصلاح الحال في
الدنيا ، ولشبهه طالبتها بالمستمطر .

إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ ١ فَإِنَّ أَلْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ
عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لَأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ
لِعَطَاءِ الْآمِلِ . وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ
خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ
لَكَ . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتُهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيتُهُ .
فَلَتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ .
فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ .

وَأَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَاءِ
لَا لِلْبَقَاءِ ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ
قُلْعَةٍ ٢ وَدَارِ بُلْعَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ
الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ وَلَا يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنْهُ مَذْرُوكُهُ ،
فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ
كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ

(١) القنوط : اليأس . والمعطية على قدر النية : أي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد
بإخلاص النية ، فبقدر ما يستجيب العبد لربه يستجيب الرب لعبده ، قال تعالى : « فليستجيبوا
لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

(٢) منزل قلعة : لا يصلح للاستيطان ، او لا يملك لئلازله ولا يدرى متى ينتقل عنه ،
والبلعة : الكفاية أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة .

ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ
وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذَتْ مِنْهُ
حَذَرَكَ ١ ، وَشَدَدَتْ لَهُ أَرْكَ ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً
فَيَبْهَرُكَ ٢ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ
الدُّنْيَا إِلَيْهَا ٣ ، وَتَكَالِبِهِمْ عَلَيْهَا ، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللَّهُ
عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا ٤ ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ،
فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كَلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهْرُ بَعْضُهَا
بَعْضَاهُ ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا
صَغِيرَهَا . نَعَمْ مُعَقَّلَةٌ ٥ ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ
عُقُولَهَا ٦ وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا ، سُرُوحٌ عَاهَةٌ ٨ بِوَادٍ وَعَثٌ .

(١) الحذر : « بالكر » الاحتراز ، والازر : « بالفتح » القوة .

(٢) يبهره : يغلبه ويتعبه ، واصل البهر تتابع النفس من التعب .

(٣) اخلد إلى كذا : استند إليه ، والتكالب : التواثب .

(٤) النعي في الاصل خبر الموت ، وحيث ان الدنيا تخبر بهاها عن فنائها فكأنها نعت
نفسها ، وتروى نعت فعل ما ضي من النعت وهو الوصف فيكون معطوفاً على نياً .

(٥) ضارية : مولعة بالافتراس ، والهرير : صوت الكلب دون نباحه .

(٦) النعم : « بالتحريك » الابل ومعقلة : مقيدة .

(٧) اضلت : اضاغت عقولها وركبت طريقها المجهول .

(٨) السروح بالغم جمع سرح بفتح فسكون : وهي الانعام السائمة ، والوعث : الرخو
ويصعب السير فيه .

لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ، وَلَا مُقِيمٌ يُسِيمُهَا ١ . سَلَكَتْ
 بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ
 مَنَارِ الْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرَقُوا فِي نِعْمَتِهَا ،
 وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا .
 رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامُ ٢ . كَأَنَّ قَدْ وَرَدَتْ الْأَظْعَانُ ٣ .
 يُوْشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ .
 وَأَعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَإِنَّهُ يُسَارُ
 بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا ٤ .
 وَأَعْلَمَ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ،
 وَأَنَّكَ فِي سَبِيلٍ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ . فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ ٥ ،

(١) المسيم : الراعي ، واسام الدابة : سرحها إلى المرعى .

(٢) رويداً : امهل وتأن ، ويسفر : يكشف ، والمعنى : عن قريب يكشف ظلام الجهل
 عما خفي من الحقيقة بحلول الموت .

(٣) الاظعان جمع ظعينة : وهي الهودج تتركب فيه المرأة ؛ قال ابن أبي الحديد : استقرأني
 أبو الفرج محمد بن عباد رحمه الله - وأنا يومئذ حدث - هذه الوصية فقرأتها عليه من حفظي فلما
 وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط وكان جباراً قامى القلب .

(٤) الوداع : الساكن المستريح .

(٥) خفّض : أمر من خفف بالتشديد أي ارفق وفي معناها اجمل .

وَأَجْمَلُ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ١ .
فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلَا كُلُّ مُجْمَلٍ بِمَحْرُومٍ .
وَأَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرِّغَائِبِ
فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا ٢ ، وَلَا
تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا . وَمَا خَيْرٌ خَيْرٍ لَا
يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ ٣ ، وَيُسَّرُ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ ٤ .

وَأَيَّاكَ أَنْ تُوْجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ ٥ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ
الْهَلَكَةِ . وَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ ذُو
نِعْمَةٍ فَافْعَلْ . فَإِنَّكَ مُدْرِكُ قِسْمِكَ وَآخِذُ سَهْمِكَ . وَإِنْ
أَلْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ
خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ .

وَتَلَا فِيكَ مَا قَرِطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا

(١) الحرب - بالتحريك - سلب المال .

(٢) الرغائب جمع الرغبة : وهو الامر المرغوب فيه .

(٣) يريد اي خير فيما سي خيراً وهو لا يتوصل اليه الا بالشر .

(٤) الانسان انما يطلب اليسر فراراً من العسر ، فاذا كان اليسر لا ينال الا بالعسر فقد

وقع فيما هرب منه .

(٥) توجف : تسرع ، والمناهل : ما ترده الابل ونحوها للشرب .

فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ ١ ، وَحَفِظْتُ مَا فِي الْوَعَاءِ بِشَدِّ أَلْوِكَاءِ .
 وَحَفِظْتُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ
 غَيْرِكَ ٢ . وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ .
 وَالْحَرْفَةُ مَعَ الْعَفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ . وَالْمَرْءُ
 أَحْفَظُ لِسَرِّهِ ٣ . وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ ؛ مِنْ أَكْثَرِ
 أَهْجَرِهِ . وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ
 مِنْهُمْ ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ . بِئْسَ الطَّعَامُ
 الْحَرَامُ . وَظَلَمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذَا كَانَ الرَّفْقُ
 خَرْقًا كَانَ الْخَرْقُ رِفْقًا ٤ . رَبِّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالِدَاءُ
 دَوَاءً . وَرَبِّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ ، وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ ٥ .

-
- (١) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد أو كاد . وما فرط : قصر عن افادة الغرض ،
 وإدراك ما فات : هو اللحاق به لاسترجاعه وفات هنا سبق إلى غير صواب .
 (٢) ارشاد للاقتصاد في المال ، وليس مراد أمير المؤمنين عليه السلام وصايته بالامساك
 والبخل بل نهي عن التفريط والتبذير قال تعالى « ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .
 (٣) أي الأولى ان لا تبوح بسررك الى احد فانت احفظ له من غيرك .
 (٤) قد يسمى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده
 لخصوع الامور للمقادير .
 (٥) اهجر : هذى في كلامه أو افحش في منطقه وهذا مثل قوله عليه السلام : « من كثر
 كلامه كثر سقطه » .
 (٦) الخرق - بالتحريك أو بضم الخاء وسكون الراء - : ضد الرفق ، وقد يكون
 الرفق في بعض المواطن كالخرق في مضرتة فاللزام وضع كل واحد منهما في موضعه حسب ما
 تقتضيه المصلحة .
 (٧) المستنصح - على زنة اسم المفعول - المطلوب منه النصح .

وَأَيَّاكَ وَأَتُكَالِكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ الْمَوْتِ ١ ،
وَالْعَقْلُ حَفْظُ التَّجَارِبِ . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ ٢ .
بَدِيرِ الْفُرْصَةِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ
يُصِيبُ . وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَتُوبُ . وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ
الزَّادِ ٣ وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ . وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ . سَوْفَ يَأْتِيكَ
مَا قُدِّرَ لَكَ . التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ
كَثِيرٍ . لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ ٤ وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ .
سَاهِلِ الدَّهْرِ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ ٥ . وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءُ
أَكْثَرِ مِنْهُ . وَأَيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ ٦ . أَحْمِلْ

(١) المني : جمع منية - بضم فسكون - وهو ما يتمناه الانسان من نفسه ويعمل نفسه باحتيال
وصول اليه ، وهي بضائع الموتى لأن المتجر فيها يموت ولا يصل إلى شيء ، (وهي رأس مال
نفس) إذا لم تكن مقرونة بالعمل ، وتروى « بضائع النوكى » جمع انوك وهو الاحمق
الضعيف العقل .

(٢) افضل التجربة ما زجرت عن سيئة ، وحملت على حسنة ، وتلك الموعظة .

(٣) زاد التقوى ، او المراد اضاءة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات .

(٤) مهين : اما يفتح الميم بمعنى حقير ، فان الحقير لا يصلح ان يكون معيناً ، او بضمها
تبقى فاعل الاهانة ، فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح ، والظنين بالظاء المتهم ، وبالنضاد البهليل .
ويجب يروى .

(٥) القعود : البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى ان يثني ، اي ساهل الدهر ما دام
متقاداً وخذ حذرك من قياده .

(٦) اللجج - بالفتح - الخسومة وتروى : اياك ان تطيح بك مطية اللجاج : وأطاح به
ملكه . والمنى : احذر من ان تغلبك الخسومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها .

نَفْسِكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ ١ ، وَعِنْدَ
 صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى
 الْبَذْلِ ٢ ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُو ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى
 اللَّيْنِ ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ
 وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ
 مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ . لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ
 صَدِيقًا فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ . وَأَمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً
 كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً
 أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَدَّ مَغْبَةً ٣ . وَلَكِنْ لِمَنْ غَالَطَكَ
 فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ
 فَإِنَّهُ أَحْلَى الظُّفْرَيْنِ ٤ وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ
 لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا

(١) الصرم : القطيعة .

(٢) اللطف - بفتح اللام - : من الطلغ بكذا : أي بره ، واللطف - بضم اللام - الرفق
 بالامر ، وقرأت ههما ، والجمود : البخل ، اوصاه إذا قطعه اخوه أن يصله ، وإذا جفاه أن
 يبره ، وإذا بخل عليه أن يجود عليه إلى آخره حتى يكون كأنه عبد له ، أو كأنه المنعم عليه
 بشرط أن يضع ذلك في موضعه ويفعله مع مستحقه .

(٣) المغبة : العاقبة .

(٤) لن : امر من اللين .

(٥) تروى : « أحد الظفرين » .

مَا ١ . وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ ٢ . وَلَا تُضِيعَنَّ
حَقَّ أَخِيكَ أَتَّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ
بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ . وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى الْخَلْقِ
بِكَ . وَلَا تَرُغِبَنَّ فِيْمَنْ زَهَدَ فِيكَ . وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ
أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صَلَاتِهِ ٣ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى
الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ
ظُلْمٌ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ . وَلَيْسَ
جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ .

وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ
يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ
الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى ؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا
أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ ٤ . وَإِنْ جَزَعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ

(١) أي بقية من الصلة يسهل معها الرجوع إليك إذا ظهر له حسن العودة .

(٢) صدقه : بالزوم ما ظن بك من الخير .

(٣) مراده إذا أتى أخوك باسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تنابيه ولا يكون
هو أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة .

(٤) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة .

يَدِيكَ ١ فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . اسْتَدِلَّ
عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ . فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ وَلَا
تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغَتْ فِي إِبْلَامِهِ ،
فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَعَطَّى بِالْآدَابِ وَالْبَهَائِشِمِ لَا تَتَعَطَّى إِلَّا
بِالْفَرْبِ . أَطْرَحَ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُدُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ
وَحُسْنِ الْيَقِينِ . مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ ٢ وَالصَّاحِبُ
مُنَاسِبُ ٣ . وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ٤ . وَالْهَوَى شَرِيكُ
الْعَمَى ٥ رَبِّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَرَبِّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ
مِنْ قَرِيبٍ . وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى
الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ . وَمَنْ أَقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى
لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ . وَمَنْ لَمْ يَمَالِكْ فَهُوَ عَدُوُّكَ ٦ قَدْ يَكُونُ أَلْيَاسُ

(١) اي لا ينبغي ان تجزع على ما ذهب من مالك كما لا ينبغي ان تجزع على ما فاتك من المنافع
والمكاسب فانه لا فرق بينهما الا ان هذا حصل ، وذاك لم يحصل وهو لا يحصر فينال فالجزع عليه
غير لائق فكذا الاول .

- (٢) عزائم الصبر : ما جزم به منه ولزمته . والقصد : الاعتدال ، وجار مال عن الصواب
(٣) يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب .
(٤) عرف الصديق الحق بعلامته وهي حفظه خلقك وهو غائب عنك .
(٥) الهوى . شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والادب .
(٦) لم يمالك : لم يهتم بأمرك .

دَرَاكًا إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ
تَظْهَرُ وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ . وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ
قَصْدَهُ وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ . آخِرُ الشَّرِّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ
تَعَجَّلْتَهُ ١ . وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صَلَةَ الْعَاقِلِ . مَنْ أَمِنَ
الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ ٢ . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى
أَصَابَ . إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ . سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ
قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنْ
الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ .
وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمُهُنَّ إِلَى
وَهْنٍ ٣ . وَأَكْفَفُ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ
فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ
بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فافْعَلْ . وَلَا تُمْلِكِ الْمَرْأَةَ

(١) هذا مثل قولهم ابدأ بالحسنة قبل السيئة فليست بمستطيع للحسنة في كل وقت وانت على الامانة مهما شئت قادر .

(٢) لان من هاب شيئاً سلطه على نفسه .

(٣) لانن : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

(٤) نهاء ان يدخل عليهن من لا يوثق به وهو اعم من الرجال والنساء قال ان خروجهن اهن من ذلك ، وذلك ان دخوله عليهن امكن لخلوته بهن ، والحديث معهن من يراهن في الطرقات .

مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رِيحَانَةٌ وَلَيْسَتْ
 بِقَهْرْمَانَةٍ ١ وَلَا تَعُدُّ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُطْمَعُهَا فِي
 أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ ٢
 فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السُّقْمِ وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيبِ .
 وَاجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ
 أُخْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ ٣ . وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ
 فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ
 تَصِيرُ ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ .

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ . وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ
 فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَالسَّلَامُ .

هذه الوصية من أشهر وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ؛ رواها جماعة
 من أكابر العلماء قبل ان يتنسم الرضي روح الحياة ، منهم :

١ - محمد بن يعقوب الكليني في كتاب « الرسائل » كما ستطلع عليه .

(١) القهرمان : هو الذي يحكم في الامور ، ويتصرف بها كيف شاء ، والكلمة فارسية
 معربة . ولا تمد - بفتح فسكون - لا تتجاوز اي لا تكرمها بكرامة تتمدى ما يخص نفسها من
 مأكول او ملبوس .

(٢) التغاير : اظهار الفيرة على المرأة بسوء الظن من غير موجب .

(٣) يتواكلوا : يتكلم بمفهم على بعض .

٢ - أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ^(١) من مشايخ الصدوق في كتاب « الزواجر والمواعظ » كما سيأتي .

٣ - أحمد بن عبد ربه المالكي ذكر شيئاً منها في « العقد الفريد » في موضعين ، تحت عنوانين في « باب مواعظ الآباء للبناء » .

(الاول) في الجزء الثالث ص ١٥٥ تحت عنوان : وكتب علي بن ابي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : (من الوالد الفان المقر للزمان ..) إلى آخر ما ذكر بتقديم وتأخير ، واختصار وحذف كما هي عادته فيما ينقله من كلام امير المؤمنين عليه السلام .

(الثاني) في ص ١٥٦ تحت عنوان : وكتب (يعني علياً عليه السلام) إلى ولده محمد بن الحنفية : (تفقه في الدين - إلى قوله عليه السلام - فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) وفي روايته فقرات لا توجد في « النهج » .

٤ - الشيخ الصدوق روى طرفاً منها في موضعين من « الفقيه » :

(الاول) في الجزء الثالث ص ٣٦٢ .

(الثاني) في الجزء الرابع ص ٢٧٥ .

٥ - ابن شعبة الخراfi في « تحف العقول » : ص ٥٢ .

اما من روى هذه الوصية بعد الرضي فهم كثيرون نكتفي بذكر واحد منهم وهو السيد أبو طالب يحيى بن هارون بن الحسين الحسيني المتوفى سنة ٤٢٤

(١) نسبة إلى عسكر مكرم وهي مدينة من كور الاهواز اختطها مكرم الباهلي ، والعسكري هذا احد الأئمة في الادب والحفظ ، وصاحب اخبار ونوادر وله تصانيف منها « المختلّف والمؤتلف » و « الحكم والامثال » و « التصحيح والتحريف » و « راحة الارواح » و « علم المنطق » ، هو خال ابي هلال العسكري صاحب « الصناعتين » . توفي أبو أحمد يوم الجمعة ٩ ذي الحجة سنة ٣٨٢ .

فقد نقلها في (اماليه ص ٨١) بسنده عن جابر الجعفي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عن آبائه عليهم السلام ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كتب إلى ابنه الحسن بعد انصرافه من صفين إلى حاضرين : « من الوالد الفان ... » وذكر الوصية بأخصر من رواية الرضي .

اما اسانيد هذه الوصية فقد اشبع القول فيها السيد ابن طاووس عطر الله مرقدته في « كشف المجحة إلى ثمره المهجة » في الفصل (١٥٤) ص ١٥٧ .
وهاك ما ذكره بنصه :

قال : « قد وقع في خاطري ان اختم هذا الكتاب بوصية ابيك امير المؤمنين صلى الله عليه إلى ولده العزيز عليه السلام — إلى ان قال : ورأيت ان يكون رواية الرسالة إلى ولده بطريق المخالفين والمؤلفين فهو اجمع على ما تضمنته من سعادة الدنيا والدين .

قال ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب « الزواجر والمواعظ » في الجزء الاول منه من نسخة تاريخها ذو القعدة من سنة ثلاث وسبعين واربعمئة ما هذا لفظه :

وصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لولده .

قال : ولو كان من الحكمة ما يجب ان يكتب بالذهب لكانت هذه .

قال : وحدثني بها جماعة .

أ — فحدثني علي بن الحسين بن اسماعيل^(١) فقال : حدثنا الحسن بن ابي عثمان الادمي .

قال : اخبرنا ابو حاتم المكتب يحيى بن حاتم بن عكرمة ، قال : حدثني

(١) هو ابو القاسم المحاملي توفي ليلة السبت ٩ شهر رمضان سنة ٣٨٦ .

يوسف بن يعقوب بانطاكية قال حدثني بعض اهل العلم ، قال : لما انصرف علي عليه السلام من صفين إلى قنسرين ^(١) كتب إلى ولده الحسن بن علي عليه السلام : من الوالد القان .

ب - وحدثنا احمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا سليمان بن الربيع النهدي . قال : حدثنا احمد بن روحه الزاهد ^(٢) قال : حدثنا صباح بن يحيى المزني .

ج - وحدثنا علي بن عبد العزيز الكوفي الكاتب ، قال : حدثنا جعفر بن هرون بن زياد ، قال : حدثنا محمد بن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده جعفر الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام : ان علياً كتب إلى الحسن بن علي .

د - وحدثنا علي بن محمد بن ابراهيم التستري ، قال : حدثنا جعفر بن عنبسة ، قال : حدثنا عباد بن زياد ، قال : حدثنا عمرو بن ابي المقدام عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : كتب امير المؤمنين إلى الحسن بن علي عليه السلام .

هـ - وحدثنا محمد بن علي بن زاهر الرازي ، قال : حدثنا محمد بن العباس قال : حدثنا عبد الله بن داهر عن ابيه عن جعفر بن محمد عن آباءه عن علي عليه السلام قال : كتب علي إلى ابنة الحسن عليهما السلام . كل هؤلاء حدثونا ^(٣) : ان امير المؤمنين عليه السلام كتب بهذه الرسالة إلى ابنة الحسن عليه السلام .

(١) بلدة قريبة من حلب فتحها ابو حبيدة بن الجراح سنة ١٧ وما زالت هامة أهلة إلى سنة ٣٥١ و ٣٥٥ ثم تفرق أهلها بسبب غارة الروم عليها .
(٢) في البحار ٧٧ / ١٩٦ كادح بن رحمة الزاهدي .
(٣) لا يخفى أن هذا الكلام لصاحب «المواظف والزواجر» .

و - واخبرني احمد بن عبد الرحمن بن فضال القاضي ، قال : حدثنا الحسن بن محمد بن احمد ، واحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال حدثنا جعفر بن محمد الحسيني ، قال حدثنا الحسن بن عبدل قال : حدثنا الحسن بن طريف بن ناصح ، عن الحسن بن علوان ، عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نبة المجاشعي^(١) .

واعلم يا ولدي محمد ضاعف الله جل جلاله عنايته بك ، ورعايته لك قد روى الشيخ المتفق على ثقته وامانته محمد بن يعقوب الكليني تغمده الله جل جلاله برحمته رسالة مولانا امير المؤمنين عليه السلام ، إلى جدك الحسن سلام الله - جل جلاله - عليهما .

وروى رواية مختصرة عن خط علي عليه السلام إلى ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه وذكر الرسالتين في كتاب « الرسائل » .

ثم قال رحمه الله تعالى :

ورأيت يا ولدي بين رواية الحسن بن عبد الله العسكري مصنف كتاب « الزواجر والمواعظ » الذي قدمناه وبين رواية الشيخ محمد بن يعقوب في رسالة ابيك امير المؤمنين علي عليه السلام تفاوتاً ، فتحن نوردها برواية محمد بن يعقوب الكليني فهو اجمل وافضل فيما قصدناه .

فلذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب « الرسائل » بأسناده إلى ابي جعفر بن عنبسة ، عن عباد بن زياد الاسدي عن عمر بن ابي المقدام^(٢) عن

(١) الى هنا انتهى كلام العسكري الذي نقله السيد ابن طاووس .

(٢) عمر بن ابي المقدام ثابت بن هرمز الحداد المجلي مولاهم روى عن علي بن الحسين واهي جعفر الباقر واهي عبد الله الصادق عليهم السلام .

ابي جعفر عليه السلام قال : لما اقبل امير المؤمنين عليه السلام من صفين كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوالد الفان ، المقر للزمان ... إلى آخر الوصية بزيادة قليلة على ما في « نهج البلاغة » مما يدل على ان ما نقله الشريف الرضي مختارها .

وقد ترجمت هذه الوصية إلى غير واحدة من اللغات وشرحت بعدة شروح منها الشرح المسمى « منشور الادب الالهي » للمولى محمد صالح بن محمد باقر الروغني القزويني احد شراح « نهج البلاغة »^(١) وهو باللغة الفارسية .

و « الاخلاق المرضية في شرح الوصية » و « هداية الامم »^(٢) ونظمها بالفارسية السيد حسين بن ابراهيم القزويني المتوفى سنة ١٠٢٨ وهو من مشايخ السيد بحر العلوم ، وقد طبعت هذه المنظومة في استانبول .

واخيراً شرحها شرحاً ضافياً العلامة الخطيب السيد حسن القبانجي ، سماه « الاسس التربوية في شرح الوصية » وقد قدم له الامام الفقيه الفيلسوف السيد محمد جواد التبريزي مقدمة تنبي عن فضل المؤلف وقيمة المؤلف .

٣٢ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى معاوية

وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا ٣ مِنْ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعَتْهُمْ بِغَيْثِكَ ٤ ،

(١) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٢٣٦ .

(٢) الذريعة ١٣ / ٢٢٥ .

(٣) اردت اهلك ، وجيلا ، قبيل وروى جبلا بالباء الموحدة اي خلقاً .

(٤) الغي : ضد الرشد .

وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجٍ بَحْرِكَ ، تَغْشَاهُمْ الظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ
بِهِمُ الشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وَجْهِهِمْ^١ وَنَكَصُوا
عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَعَوَّلُوا عَلَى
أَحْسَابِهِمْ^٢ إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوا
بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُؤَازَرَتِكَ^٣ إِذْ حَمَلْتَهُمْ
عَلَى الصَّعْبِ وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ . فَاتَّقِ اللَّهَ يَا
مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ^٤ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
مَنْقُطَعَةٌ عَنْكَ وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ . وَالسَّلَامُ .

هذا فصل من كتاب له عليه السلام رواه ابو الحسن علي بن محمد المدائني
واوله :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد : فان الدنيا دار تجارة : وربحها او خسرها الآخرة ، فالسعيد من
كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ، ومن رأى الدنيا بعينها ، وقدرها
بقدرها ، واني لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك ، مما لا مرد له دون

(١) الوجهة : القصد .

(٢) عولوا : اي اعتمدوا على شرف قبائلهم فتمصبوا تعصب الجاهلية الا من فاء اي -
رجع إلى الحق ، والاشارة إلى بني أمية الذين اتهموه بدم عثمان فحاموا عن الحسب ولم يأخذوا
بموجب الشرع .

(٣) المؤازرة : المعاضدة .

(٤) القياد : ما تقاد به الدابة .

نفاذه . ولكن الله تعالى اخذ على العلماء ان يؤدوا الامانة ، وان ينصحوا
الغوي والرشيد ، فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو الله وقاراً ، ومن حقت
عليه كلمة العذاب فان الله له بالمرصاد ، وان ذنبك ستدبر عنك ، وستعود
حسرة عليك ، فاقطع عما انت عليه من الغي والضلال ، على كبر سنك
وفناء عمرك ، فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل^(١) الذي لا يصلح من
جانب الا فسد من جانب آخر ، وقد اردت جيلا من الناس ... إلى آخر
الكتاب .

قال المدائني : فكتب اليه معاوية :

من معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .
اما بعد : فقد وقفت على كتابك ، وقد ايتت على الفتن الا تهادياً ،
واني لعالم ان الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه ، وانت
كنت موثقاً^(٢) فازدد غياً إلى غيك ، فطالما خف عقلك ومنيت نفسك ما
ليس لك ، والتويت على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبة لغيرك ،
واحتملت الوزر بما احاط بك من خطيئتك والسلام .

فكتب علي عليه السلام :

اما بعد : فان ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما اتى به اهلك وقومك
الذين حملهم الكفر ، وتمني الأباطيل على حسد محمد ﷺ حتى صرعوا
مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريماً ، ولم يدفعوا عظيماً وانا صاحبهم
في ذلك المواطن ، الصالي بحريهم ، والقال لخدمهم ، والقاتل لرؤوسهم
ورؤوس الضلالة ، والمتبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلفاً
اتبع سلفاً محله ومحطه النار والسلام .

(١) المهيل : المتداعي في التمزق وتروى المهليل والمعنى واحد .

(٢) الموثق : طالب النجاة .

قال : فكتب اليه معاوية :

اما بعد : فقد طال في الغي ما استمررت ادراجك (١) ، كما طالما تهادى عن الحرب نكوصك (٢) وابطاؤك فتوعد وعيد الاسد ، وتروغ روغان الثعلب ، فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية ، والافاعي القاتلة ، ولا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب ان شاء الله والسلام .

قال : فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد : فما اعجب ما يأتيني منك ، وما اعلمني بما انت اليه صائر ، وليس ابطائي عنك الا ترقباً لما انت له مكذب ، وانا به مصدق ، وكأني بك غداً وانت تضج ضجيج الجمال من الانتقال ، وستدعوني واصحابك إلى كتاب تعظمونه بألستكم وتجدونه بقلوبكم والسلام .

فكتب اليه معاوية :

اما بعد فدعني من اساطيرك ، واكفف عني من احاديثك ، واقصر عن تقولك على رسول الله ﷺ ، وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك ، والحداد لهم ، فقد استغويتهم ، ويوشك امرك ان ينكشف لهم فيعتزلوك ، ويعلموا ان ما جئت به باطل مضمحل والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد فطالما دعوت انت واولياؤك ، اولياء الشيطان الرجيم ، الحق اساطير الاولين ، ونبتذموه وراء ظهوركم ، وجهدتهم باطفاء نور الله بأيديكم وافواهمكم ، (والله متم نوره ولو كره الكافرون) ولعمري ليتمن

(١) الادراج : جمع درج بالتحريك وهو الطريق ، واستمر درجه وادراجه : مضى في طريقه ، كما يقال : عاد ادراجه : اي رجع في طريقه الذي جاء منه .
(٢) النكوص : الاحجام .

النور على كرهك ، ولينفذ العلم بصغارك ، ولتجازين بعملك ، فعث
في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك ، فكأنك بباطلك وقد انقضى ، وبعملك
وهو هوى ، ثم تصير لال لظى ، لم يظلمك الله شيئاً (وما ربك بظلام
للعيد) .

فكتب اليه معاوية :

اما بعد : فما اعظم الرين على قلبك ، والغطاء على بصرك ، والشره من
شيمتك ، والحسد من خليقتك ، فشمر للحرب ، واصبر للضرب ، فوالله
ليرجعن الامر إلى ما علمت (والعاقبة للمتقين) .

هيئات هيئات أخطأك ما تمنى ، وهوى قلبك مع من هوى فأربع على
ظلمتك وقس شبرك بفترك ، لتعلم اين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ،
وفصل بين اهل الشك علمه والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد : فان مساويك مع علم الله فيك حالت بينك وبين ان يصلح لك
امرك ، وان يرعوي قلبك ، يا بن صخر اللعين .

زعمت ان يزن الجبال حلمك ، ويفصل بين اهل الشك علمك ، وانت
الحلف المنافق ، الاغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل (١) .

وقلت : فشمر للحرب : فان كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه ابن
الناطقة (١) فدع الناس جانباً ، وتيسر لما دعوتني اليه من الحرب ، والصبر على
الضرب ، واعف الفريقين من القتال ، ليعلم اين المارين على قلبه المغطى
على بصره ، فأنا ابو الحسن قاتل جدك واخيك وخالك وما انت منهم

(١) في رواية المدائني : ويعينك عليه اخو سهم .

ببعيد (١).

علق ابن ابي الحديد على المراسلة بقوله :

واعجب واظرب ما جاء به الدهر—وان كانت عجائبه وبدائع جملة ان يفضي
امر علي عليه السلام الى ان يصير معاوية ندأ له ونظيراً مماثلاً يتعرضان الكتاب
والجواب ، ويتساويان في ما يواجه احدهما صاحبه ، ولا يقول له علي
عليه السلام كلمة الا قال مثلها ، واخشن مسأ منها ، فليت محمداً ~~عليه السلام~~
كان شاهد ذلك ليرى عيناً لا خبراً ان الدعوى التي قام بها ، وقاسى اعظم
المشاق في تحملها ، وكابد الالهوال في الذب عنها ، وضرب بالسيوف
عليها ، لتأييد دولتها ، وتشديد اركانها ، وملأ الآفاق بها ، خلصت صفواً
عفواً لأعدائه الذين كذبوه لما دعا اليها ، واخرجوه عن اوطانه لما حض
عليها ، ورموا وجهه ، وقتلوا عمه واهله ، فكأنه كان يسعى لهم ، ويدأب
لراحتهم كما قال ابو سفيان في ايام عثمان وقد مر بقبر حمزة ، وضربه
برجله وقال : يا ابا عمار ان الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيوف امسى في يد
غلماننا اليوم ، يتلاعبون به ، ثم آل الامر إلى ان يفاخر معاوية علياً كما
يتفاخر الاكفاء ، والنظراء :

إذا عير الطائي بالبخل مادر وقرع قساً بالفهامة باقل (٢)

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ٤ ص ٥٠ و ٥١ ونقل ابن ابي الحديد بعض هذه
المراسلة أيضاً على ما رواه المدائني ههنا واختلاف في بعض الالفاظ في المجلد الثالث ص ١٠٤
و ١١٤ عن كتاب ابي العباس الصيمري الذي جمعه في كلام امير المؤمنين عليه السلام .

(٢) الطائي : هو حاتم ، ومادر : رجل من هلال بن عامر بلغ من بخله انه سقى إبله فيقي
في اسفل الحوض ماء فسلح فيه ، ومدر الحوض به فسمى مادراً لذلك واسمه مخارق وضرب ببخله
المثل فقيل (بخل من مادر) وجر العار على قومه حتى قيل فيهم :

لقد جللت خزيا هلال بن عامر بني عامر طراً بسلحة مادر
فاف لكم ، لا تذكروا الفخر بعدها بني عامر انتم شرار المعاصر
وقس : هو ابن ساعدة الايادي الذي ضرب بفصاحته المثل ، وباقل رجل اشترى ظبياً باحد
عشر درهماً فسئل عن ثمنه ، قيل : وكان على قنطرة وكان قد خبأ في فمه درهماً فأخرج لسانه
فسقط الدرهم في الماء ، وفتح كتفيه فانفلت الظبي فضرب به المثل في الي .

وقال السها للشمس : انت خفية وقال الدجى : ياصبح لونك حائل (١)
وفاخرت الارض السماء سفاهة وكاثرت الشهب الحصى والحنادل (٢)
فياموت زران الحياة ذميمة ويا نفس جدى ان دهرك هازل (٣)

٣٣ - ومن كتابه عليه السلام

إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ ؛ كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي أَنَّهُ
وَجَّهَ عَلَى الْمَوْسِمِ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ٥ أَلْعَمِي الْقُلُوبِ ،
الْصَّمُّ الْأَسْمَاعِ ، أَلْكُمِ الْأَبْصَارِ ٦ ، أَلَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ،
وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالَّذِينَ ٧ ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا

(١) السهى كوكب صغير من بنات نعش الصغرى لان الاول منها الذي هو آخرها اسمه قائد ؛ والثاني عناق وإلى جانبه قائد صغير وثانيه عناق ، وإلى جانبه العيقد ، وهو السهى ، والدجى : الليل المظلم ، وحائل متغير اللون .

(٢) الحنادل : جمع جندل وهي الحجارة . والابيات لابي العلاء المعري .

(٣) شرح النهج : م / ٤ ص ٥١ .

(٤) عيني بالمغرب : اي رقيب في البلاد الغربية يعني الشام ، وسمي الشام مغربا لأنه من الأقاليم الغربية .

(٥) وجه (مبني للمجهول) : اي وجههم معاوية ، والموسم : الايام التي يقام فيها الحج .

(٦) الكمه شمع اكه : وهو من ولد اعشى .

(٧) الدر (يفتح الدال) : اللبن والمعنى أنهم يجعلون الدين وسيلة لما ينالون من سطائها وفي هذا دلالة على أنهم دعاة كانوا يظهرن سميت الدين ، وناموس العبادة وقد وهم بعض الشراح حيث قال : ان المراد بذلك السرايا التي كان يبعثها معاوية فتغير على أعمال علي عليه السلام .

بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ وَالْمُتَّقِينَ . وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ ،
وَلَا يُجْزَى جَزَاءُ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ . فَأَقْسِمُ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ
قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ ١ وَالنَّاصِحِ اللَّيْبِ ، وَالتَّابِعِ
لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ . وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ ٢ وَلَا
تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطْرًا ٣ وَلَا عِنْدَ الْبِئْسَاءِ فَشَلًا . وَالسَّلَامُ

رواه قبل " النهج " في " الفارات " ص ٥٠٩ وعلق
ابن ابي الحديد وابن ميثم على الكتاب بما هوأت :

كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاة في السر يدعون إلى طاعته ، ويشبطون
العرب عن نصرة امير المؤمنين عليه السلام ، ويوقعون في انفسهم انه اما
قاتل لعثمان او خاذل له وعلى كلا التقديرين لا يصلح للامامة ، وينشرون
عندهم محاسن معاوية - بزعمهم - واخلاقه وسيرته في العطاء ، فكتب
امير المؤمنين عليه السلام إلى (قثم بن العباس) (٤) عامله بمكة ينبهه على ذلك

(١) الصليب : الشديد ، وتروى (الحازم الطيب) والطيب هنا : الحاذق .

(٢) احذر ان تفعل شيئاً تحتاج إلى الاعتذار منه .

(٣) البطر : شدة الفرح .

(٤) قثم بن العباس بن عبد المطلب انه وام اخوته ام الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن
الهلالية ، روى انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة رضي الله عنها وكان قثم من اشباه رسول الله
صل الله عليه وآله وسلم . وله فضيلة المشاركة مع امير المؤمنين عليه السلام بموارة رسول الله
صل الله عليه وآله وسلم وفي « اسد الغابة » ان عبد الرحمن بن خالد سأل قثماً فقال له : ما شأن
علي كان له . من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة لم تكن للعباس ؟ فقال : انه كان
اولنا لحوقاً ، واكثرنا لزوماً . واستعمله امير المؤمنين عليه السلام على مكة لما ولي الامر ولم=

ليعتمد فيه على ما تقتضيه السياسة (١) .
وفي ذكرهما للسبب دلالة على أنهما اعتمدا على مصدر غير « نهج البلاغة »
فان ذلك لم يشر الرضي اليه من قريب ولا بعيد .

٣٤ - ومن كتابه عليه السلام

إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله ٢
بالاشتراك عن مصر ، ثم توفي الاشتراك في توجهه إلى مصر
قبل وصوله إليها .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الْأَشْتَرِ إِلَى
عَمَلِكَ ٣ وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ أَسْتَبْطَاءً لَكَ فِي الْجُهْدِ
وَلَا أَزْدِيَاداً فِي الْجِدِّ ٤ . وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ
سُلْطَانِكَ . لَوَكَيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً وَأَعْجَبُ
إِلَيْكَ وَلَايَةً .

إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيَّتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ لَنَا رَجُلًا

يُزَلُّ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاسْتَشْهَدَ قَتْلَهُ فِي سَمَرْقَنْدَ أَيَّامَ مَعَارِيَةِ
وَيُقَالُ : مَا رَأَى قَبْرَ أَخِيَّةٍ أَكْثَرَ تَبَاعُداً مِنْ قَبْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ قَبْرَ عَبْدِ اللَّهِ
بِالطَّائِفِ ، وَقَبْرَ عَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَدِينَةِ ، وَقَبْرَ قَتْلِهِ بِسَمَرْقَنْدَ ، وَقَبْرَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِالشَّامِ ، وَقَبْرَ
مُعَاوِيَةَ بِقُرَيْشِيَّةٍ .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد م ٤ ص ١٢ وشرح النهج لابن ميثم ج ٥
ص ٧٢ .

(٢) توجده : تذكره .

(٣) الموجدة : الغيظ ، والتسريح : الإرسال ، والعمل : الولاية .

(٤) الجهد (بالضم) ، الطاقة ، أي لم استعطيك في بذل طاقتك ووسعك .

نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً^١ . فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ
 اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلَا قَى حِمَامَهُ^٢ وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ .
 أَوْلَاهُ اللَّهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ ،
 وَآمُضْ عَلَى بَصِيرَتِكَ^٣ ، وَشَمِّرْ لِحَرْبٍ مِنْ حَارَبَكَ ،
 وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَأَكْثِرِ الْإِسْتِعَانَةَ بِاللَّهِ يَكْفِكَ مَا
 أَهَمَّكَ وَيُعِينَكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

كان معاوية بعد واقعة الحكمين قد تجرد للاغارة على اطراف البلاد التي
 هي تحت سيطرة امير المؤمنين عليه السلام ، وكان قد جعل مصر طعمة
 لعمر بن العاص ان غلب على الامر . كما قدمنا ذلك^(١) فكان جل همه
 الاستيلاء عليها ، وبلغ امير المؤمنين عليه السلام ذلك ، وكان الوالي على
 مصر محمد بن ابي بكر ، فاراد عليه السلام ان يتزعمها من تحت يده ،
 ويوليها الاشر ، لانه اشد بأساً من محمد واكثر تجربة ، فوجه الاشر اليها
 وكتب له العهد المعروف ، وعلم معاوية بذلك فدرس اليه مولى لآل عمر ،
 فخرج حتى أتى القلزم واقام به ، وخرج الاشر من العراق إلى مصر ، فلما
 انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل واطهر انه
 من محبي امير المؤمنين عليه السلام وجعل يذكر فضل علي وبني هاشم حتى

(١) ناقماً : اي كارهاً . نقت على فلان كذا اذا انكرته عليه ، ونقت منه .

(٢) الحمام (بالكسر) : الموت .

(٣) اصحر له : اي ابرز له ، ولا تستر عنه ، من اصحر اذ ابرز إلى الصحراء .

(٤) انظر الجزء الثاني ص ٢١٣ .

اطمأن اليه ، واستأنس به ، واثاه بطعام ، وكان قد اعد مزودين فيهما شراب سويق ، وقد وضع السم في احدهما ، فاستسقى الاشر يوماً فسقاه من احدهما ، ثم استسقاه مرة اخرى فسقاه من الآخر وفيه السم فمالت عنقه ، وطلبوا الرجل فقاتهم ، ومات الاشر رحمه الله قبل ان يعبر إلى مصر .

وقد كان محمد بن ابي بكر لما بلغه توجه الاشر شق عليه ذلك فكتب اليه امير المؤمنين عليه السلام بالكتاب المذكور وهو يؤذن باقراره على عمله واسترضاءه ، وتعريفه وجه عذره في تولية الاشر لعمله ، وان ذلك لم يكن لموجدة عليه ، ولا تقصير منه .

والكتاب رواه قبل الشريف الرضي ابو الحسن المدائني ، وابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات »^(١) والطبري في « التاريخ » في حوادث سنة ٣٨ . والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من (انساب الاشراف) : ص ٤٠٠ ط الاعلمي .

٣٥ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدْ أَفْتَتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٢ ص ٣٠ . والغارات ص ٢٦٨

رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ . فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا
وَعَامِلًا كَادِحًا وَسَيْفًا قَاطِعًا ، وَرُكْنًا دَافِعًا . وَقَدْ كُنْتُ
حَثْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ،
وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا وَعَوْدًا وَبَدَأًا ، فَمِنْهُمْ الْآتِي
كَارِهًا ، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا ،
أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا
طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَتَوَطُّيْنِي نَفْسِي
عَلَى الْمَنِيَّةِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا
وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا .

محمد بن ابي بكر امه اسماء بنت عيسى كانت تحت جعفر بن ابي طالب
عليه السلام ، وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبد الله الجواد محمداً
وعوناً ، ثم قتل عنها بمؤته فتزوجها ابو بكر فأولدها محمداً هذا ثم مات
عنها فتزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه وخريجه وجارياً عنده مجرى
اولاده ، رضع الولاء والتشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه ولم يكن يعرف له اباً غير
علي عليه السلام ولا يعتقد فضيلة لسواه حتى قال علي عليه السلام : « محمد
ابني من صلب ابي بكر » ، وكان محمد من نسله قريش ومن ولده القاسم وبه

(١) احتسبت كذا عند الله : اي طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الأجر ، ويقال :
احتسب ولده اذا مات كبيراً ، واقترب ولده اذا مات صغيراً .

يكنى - كما في (المعارف) لابن قتيبة : ص ٧٦ - والقاسم ابو ام فروة ام
الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن
ابي بكر ومن ثم نسب للامام الصادق عليه السلام انه قال : « ولدني ابو بكر
مرتين » ، والى هذا اشار الرضي بقوله :

أخذنا عليكم بالنبي وفاطم طلاع المساعي من مقام ومقعد
وظلنا بسبطي احمد ووصيه رقاب الورى من متهمين ومنجد
وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد
فجدي نبي ثم جدي خليفة فأكرم بجدينا علي واحمد
وقد حرف البيت الاخير قارن بين روايته الديوان طبع سنة ١٣٠٦ هـ
وبين رواية غيره لهذا البيت .

واود قبل ان استعرض مصادر هذا الكتاب ان انقل لك تعليق ابن ابي
الحديد على هذا الكتاب ، لتعرف كيف عرف الفضل ذووه قال :
« انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها ؟
واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة ، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوله
سهلة سلسلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل ،
فقال : يوماً واحداً ولا التقى بهم ابدأ ، وانت وغيرك من الفصحاء إذا
شرعوا في كتاب او خطبة ، جاءت القرائن والفصائل تارة مرفوعة ، وتارة
مجرورة ، وتارة منصوبة ، فان ارادوا قسرها باعراب واحد ظهر منها في
التكلف اثر بين ، وعلامة واضحة ، وهذا الصنف من البيان احد انواع
الاعجاز في القرآن ، ذكره عبد القاهر قال : « انظر إلى سورة النساء وبعدها
سورة المائدة ، الاولى منصوبة الفواصل ، والثانية ليس فيها منصوب
اصلاً ، ولو مزجت احدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا ، وظهر اثر
التركيب والتأليف بينهما » .

ثم ان فواصل كل واحدة منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي
لا الصناعة التكلفية .

ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل ، كيف قال : ولدأ
ناصرحاً ، وعاملاً كادحاً ، وسيفاً قاطعاً ، وركناً دافعاً ، لو قال : ولدأ
كادحاً ، وعاملاً ناصرحاً ، وكذلك ما بعده لما كان صواباً ، ولا في المواقع
واقعاً ، فسبحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفسية ، والخصائص
الشريفة ، ان يكون غلام من ابناء مكة ينشأ بين اهله ، لم يخالطه الحكماء
وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الآلمية من افلاطون^(١) ، وارسطو^(٢)
ولم يعاشر ارباب الحكم الخلقية ، والآداب النفسانية ، لان قريشاً لم يكن
احد منهم مشهوراً بمثل ذلك وخرج اعرف بهذا الباب من سقراط^(٣) ،
ولم يرب بين الشجعان لان اهل مكة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي
حرب وخرج اشجع من كل بشر مشى على الارض . قيل لخلف الاحمر^(٤)
ايما اشجع عتيبة وبسطام ام علي بن ابي طالب ؟ قال : انما يذكر عتيبة^(٥)

(١) افلاطون من مشاهير فلا سفة اليونان تلميذ سقراط وبمعلم ارسطو من مؤلفاته (جمهورية
افلاطون) توفي (٣٤٧) ق. م . .

(٢) ارسطو فيلسوف يوناني من كبار المفكرين ، مؤدب الاسكندر ، له مؤلفات في المنطق
والطبيعيات والالهيات والاخلاق توفي (٣٢٢) ق. م . .

(٣) سقراط فيلسوف يوناني كان يلقي دروسه في الازقة وبين الجماعات بأسلوب عامي
ينتابه السؤال والجواب وكان لها اعنى تأثير في النفوس ، قاوم تعاليم السفسة فتحالف عليه
اعدائه وجروه امام الحكام وضغطوا عليهم فحكم عايه بشرب السم وهو في السجن فتوفي في
(٣٩٩) ق. م . .

(٤) هو ابو محرز خلف بن حيان مولى ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان معلم
الاصمعي ، واستاذ اهل البصرة ، المليم بالعرب وياهمها وغريب شعرها وملاجمها .

(٥) في الاصل عتسة واظنه تصحيف عتيبة وهو ابن الحارث ، من فرسان العرب
المعدودين كبسطام بن قيس .

وبسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة ، فقيل له : فعلى كل حال ، قال : والله لو صاح في وجهيهما لما تانا قبل ان يحمل عليهما . وخرج افصح من سحبان وقس . ولم تكن قریش بأفصح العرب ، كان غيرها افصح منها ، قالوا : افصح العرب جرهم وان لم تكن لهم نباهة ، وخرج ازهد الناس ، واعفهم مع ان قریشاً ذووا حرص ومحبة للدينا ولا غرو فيمن كان محمد ﷺ مربيه ومخرجه ، والعناية الالهية تمده وترفده ان يكون منه ما كان « (١) » .

اما مصادر هذا الكتاب فقد ذكره الطبري في التاريخ في حوادث سنة ٣٨ بتفاوت يسير عما هنا ، وذكره ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » كما نقل ذلك ابن ابي الحديد رحمه الله ، وذكر كل واحد من هذين وجواب ابن عباس لابن عمه عن هذا الكتاب . ومن رواه بعد الرضي ابن الاثير في « الكامل » : ج ٣ - ١٧٨ .

٣٦ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عقيل بن ابي طالب في ذكر جيش انفذه إلى بعض الاعداء ، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل
فَسَرَحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا
بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا وَنَكَّصَ نَادِمًا ، فَلَحَقُوهُ بِبَعْضِ
الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ ٣ فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا

(١) شرح النهج : م ٤ ص ٥٤ .

(٢) شرح النهج : م ٢ ص ٣٠ .

(٣) طفلت (بتشديد الفاء) الشمس للإياب : اذا مالت للمغيب والاياب : الرجوع .

كَلاَ وَلَا ١ ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا
جَرِيضاً ٢ بَعْدَمَا أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَقِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ
الرَّمَقِ ٣ . فَلَأْيَا بِلَايٍ مَا نَجَاء . فَدَعُ عَنْكَ قُرَيْشاً
وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ ، وَتَجَوَّالَهُمْ فِي الشَّقَاقِ ه ،
وَجَمَّاحَهُمْ فِي التَّيِّهِ . فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي
كَاجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي ٦ ، فَقَدْ قَطَعُوا
رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي ٧ . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ
مَنْ رَأَيْي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي فِي قِتَالِ الْمُحَلِّينَ حَتَّى

(١) كلاولا : كناية عن قصر المدة ، والعرب إذا أرادوا تقايل شيء ، أو تقصير مدة
قالوا كلا ولا . قال الشاعر :

واسرع في العين من لحظة واقصر في السمع من لا ولا

(٢) الجريض : المذموم الذي يبتلع ريقه وقد غص به من شدة الجهد والكرب .

(٣) المخنق-بتشديدالثون- : موضع الخنق من الحيوان ، والرمق -بالتحريك-بقية النفس .

(٤) لأياً بلاي ما نجا : أي بعد بقاء وشدة وما زائدة أو مصدرية .

(٥) التركاض : مبالغة في الركض ، وكذلك التجوال من الجول والجولان والشقاق :
الخلاف ، وجماحهم : استعصاؤهم ، والتيه : الضلال .

(٦) الجوازي جمع جازيه وهي المكافأة .

(٧) قال ابن أبي الحديد في تعليل التعبير « بابن امي » : « لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن
عمران بن عائذ بن مخزوم أم عبد الله وأبي طالب ولم يقل سلطان ابن أبي لان غير أبي طالب يشركه
في النسب إلى عبد المطلب » .

أَلْقَى اللَّهُ ١ لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا
تَفَرُّقَهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ - وَلَوْ
أَسْلَمَهُ النَّاسُ - مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، وَلَا مُقِرّاً لِلضَّيْمِ
وَاهِناً ، وَلَا سَلِسَ الزَّمَامِ لِلْقَائِدِ ٢ ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهِرِ
لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ .
فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنِّي
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبٌ ٣
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كِتَابَةٌ ٤
فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبٌ

روى الشريف الرضي رحمه الله في « باب الخطب » تحت رقم : ٢٩ (٤)
خطبة امير المؤمنين عليه السلام عندما اغار الضحّاك بن قيس الفهري على
الكوفة ، وقد استعرضنا مصادر تلك الخطبة في موضعها من هذا الكتاب
وذكرنا تلك الغارة على سبيل الاجمال وقلنا هناك : ان الحاج لما قدم مكة
من العراق حدثوا الناس بغارة الضحّاك ، وكان عقيل بن ابي طالب رضي
الله عنه يومئذ بمكة معتمراً فكتب إلى امير المؤمنين عليه السلام بما سمع ،

-
- (١) يقال لكل من خرج عن الاسلام ، او حارب في الحرم او في الشهر الحرام محل .
(٢) السلس « بفتح فكسر » السهل ، والوطيء ، اللين : والمتقعد : الذي يتخذ الظهر
مقعداً يستعمله للركوب في كل حاجاته .
(٣) يعز علي : اي يشق علي ، والكتابة : ما يظهر على الوجه من اثر الحزن ، وعاد اي عدو
(٤) نهج البلاغة : ١ / ٦٩ . وانظر ج ١ ص ٤٠٨ من هذا الكتاب .

وعرض عليه نفسه وولده وبني ابيه ، فأجابه عليه السلام بكتاب ذكر الرضي
مختاره في هذا الموضع . وكان كتاب عقيل :

بسم الله الرحمن الرحيم
لعبد الله علي امير المؤمنين ، من عقيل بن ابي طالب .
سلام عليك ، فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو .

اما بعد : فان الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه ،
وعلى كل حال ، اني قد خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد الله بن سعد بن
ابي سرح^(١) ، في نحو من اربعين شاباً من ابناء الطلقاء قللت لهم - وعرفت
المنكر في وجوههم - إلى اين يا ابناء الشائئين ؟ أبعماية تلحقون ؟ العداوة
والله لنا منكم قديماً ظاهرة غير مستنكرة ، تريدون بها اطفاء نور الله ،
وتبديل امره فاسمعني القوم واسمعتهم .

ثم قدمت مكة فسمعت اهلها يتحدثون : ان الضحالك بن قيس اغار على
الحيرة ، فاحتمل من اموال اهلها ما شاء ثم انكفأ راجعاً سالماً فأف الحياة في

(١) عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ، اخو عثمان بن عفان من الرضاعة اسلم قبل
الفتح وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستكتبه رسول الله فيمن استكتبهم فكان
يحرف ما يمليه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة ،
فلما كان يوم الفتح امر رسول الله بقتله في جماعة ساهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة ، ففر
عبد الله إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان ، ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما
اطمأن اهل مكة ، فسأله فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلاً ثم قال : نعم فلما
انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن حوله : ما صمت الا ليقوم اليه
بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومأت الي يا رسول الله ، فقال : ان النبي لا
ينبغي ان يكون له خائنة الا عين ، واسلم ثانياً ذلك اليوم ، ولما ولي عثمان ولاء مصر ، وبسوء
سيرته نغم المصريون على عثمان ما نغموه إلى ان جرهم ذلك إلى المشاركة في قتله ، ثم لم يبايع امير
المؤمنين عليه السلام ، وانضم إلى معاوية يوم صفين وتوفي بمسقلان سنة ٥٩ هـ .

دهر جرأ عليك الضحالك ! وما الضحالك الا فقع بقرقر وقد وطئت ^(١) .

وقد توهمت - حيث بلغني ذلك - ان شيعتك وانصارك خذلوك ،
 فكتب إليّ - يا بن ام - برأيك ، فان كنت الموت تريد تحملت اليك بولد
 اخيك ، وبني ابيك فعشنا معك ما عشت ومنتنا معك إذا مت ، فوالله ما
 احب ان ابقى بعدك فواقاً ^(٢) .

واقسم بالاعز الاجل ان عيشاً اعيشه في هذه الدنيا بعدك لغير هنيء ولا
 مريء ، ولا نجيع ^(٣) ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب اليه علي عليه السلام : من عبد الله علي امير المؤمنين إلى عقيل بن
 ابي طالب . سلام الله عليك . فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد : كالأنا الله واياك كلاءة ^(٤) من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد .

قد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الازدي ، تذكر فيه انك
 لقيت عبد الله بن سعد بن ابي سرح مقبلاً من قديد ^(٥) في نحو من اربعين
 فارساً من ابناء الطلقاء ، متوجهين إلى جهة الغرب ، وان ابن ابي سرح طالما
 كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله .

فدع ابن ابي سرح ودع عنك قريشاً وخلهم وتركاضهم في الضلال ،
 وتجوالهم في الشقاق ، وجماحهم في التيه ، فان العرب قد اجمعت على
 حرب اخيك ، اليوم اجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ،

(١) الفقع « بالكسر والسكون » : الرخوة من الكماء ، والقرقر والقرقرة : الارض
 المطننة ، ومن امثال العرب « هو اذل من فقع بقرقر » اي لا يمتنع على من اجتناه ، ولانه يوطأ
 بالارجل .

(٢) الفواق « بضم الفاء » : ما بين الحلبتين .

(٣) يقال : نجع الطعام نجوعاً : هنا أكله .

(٤) كلاءة كئمه : حرسه .

(٥) قديد « بضم القاف » موضع قريب من مكة .

فأصبحوا قد جهلوا حقه . وجحدوا فضله . وكادوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وجروا اليه جيش الاحزاب ، وجدوا في اطفاء نور الله . فجزت قريشاً غني الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت علي^(١) ودفعني عن حقي . وسلبني سلطان ابن امي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الاسلام الا ان يدع مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال .

اما ما ذكرت من غارة الضمحاء على الحيرة فهو اقل من ان يلزم^(٢) بها او يدنو منها . ولكنه كان قد اقبل في جريدة ، فأخذ على السماوة ، ثم مر بواقصة وشراف ، والقطقطانة ، وما والى ذلك الصقع فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً ، ونكص نادماً ، فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق ، وقد امعن في السير ، وقد طفلت الشمس للاياب فتناوشوا القتال قليلا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة فلم يصبر لوقع المشرفية^(٣) فولى هارباً ، وقتل من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا جريضاً بعدما اخذ منه بالخنق ، ولم يبق منه غير الرمق .

واما ما سألتني ان اكتب اليك برأيي فيما انا فيه ، فان رأيي قتال المحلبن حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم غني وحشة ، لاني محق ، والله مع المحق ، والله ما اكراه الموت على الحق ، وما الخير كله الا بعد الموت لمن كان محقاً .

واما ما عرضته علي من مسيرك إلى بينيك وبني ابيك ، فلا حاجة لي بذلك ، فاقم راشداً محموداً ، فوالله ما احب ان تهلكوا معي ان هلكت ولا

(١) تظاهرت : تعاونت .

(٢) يلزم : يقرب ، والجريدة : خيل لارجالة فيها .

(٣) المشرفية : السيوف ، منسوبة إلى مشارف الشام .

تحسبن ابن ابيك - ولو اسلمه الناس - متضرعاً متخشعاً ، ولا مقرأً للضميم
واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا طي الظهر للراكب المتقعد ولكنه كما
قال اخو بني سليم (١) .

فان تسألني كيف انت ؟ فاني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

ذكر قصة غارة الضحاك وكتاب عقيل وجواب علي عليه السلام له -
قبل الرضي - ابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات » (٢) كما ذكر الكتاب
والجواب ابو الفرج الاصفهاني في « الاغاني » ج ١٥ - ٤٤ ، وذكره ايضاً
ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » : ج ١ - ٤٤ وقد نقلت لك الجواب
والكتاب وبامكانك عند المقارنة تعرف مقدار ما التقطه الشريف الرضي من
كتاب امير المؤمنين عليه السلام .

وبهذا الكتاب والجواب نحتج على من يقول ان عقيل فارق اخاه لان
غارة الضحاك سنة ٣٩ اي في اواخر ايام امير المؤمنين عليه السلام .

٣٧ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدُّ لَزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْحَيْرَةِ

(١) هو العباس بن مرداس السلمي .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ١ ص ١٥١ . والغارات ص ٣١٤

الْمُتَّبِعَةِ ١ ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَأَطْرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي
هِيَ لِلَّهِ طَلَبَةٌ ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ ٢ . فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ
فِي عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ ٣ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ
كَانَ النَّصْرُ لَكَ ٤ ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ .
وَالسَّلَامُ .

اول هذا الكتاب :

اما بعد : فان الدنيا حلوة خضرة ، ذات زينة وبهجة ، لم يصب (٥) اليها
احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها ، وبالأخرة امرنا ، وعليها
حشنا ، فدع - يا معاوية - ما يفنى واعمل لما يبقى ، واحذر الموت الذي
اليه مصيرك ، والحساب الذي اليه عاقبتك .

واعلم ان الله تعالى إذا اراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ، ووفقه

(١) وتروى (المتبعة) بتقديم الباء على العين اسم مفعول من (اتبعه) ، والتعجب من
شدة لزومه للاهواء التي يبتدعها وذلك انه في كل وقت يوقع شبهة ، ويبتدع رأياً يغري به
اصحابه ، ويقرر في اذهانهم بذلك ان علياً عليه السلام لا يصلح للامامة ، فتارة يقول انه قتل
عثمان ، وتارة يزعم انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة ، وتارة يعترف بكونه صالحاً
للامامة ، والاقرار على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه من الابطال ، ويتبع الخيرة فيها مع تضييعه
لحقائق الأمور التي ينبغي ان يعتقدها من كونه عليه السلام الأحق بهذا الامر ، واطراحه لوثائق
الله وعهوده المطلوبة المرضية له ، وهي على عبادته حجة يوم القيامة .

(٢) طلبه (بفتح فكسر) : اي مطلوبة .

(٣) الحجاج : الجدال .

(٤) حيث كان الانتصار له فائدة لك تتخذ ذريعة بجمع الناس الى غرضك ، اما وهو حي
وكان النصر يفيده فقد خذله ، وابطأت عنه .

(٥) صبا الى الشيء : مال وحن اليه .

لطااعته ، وإذا اراد الله بعبد سوء اغراه في الدنيا وانساه الآخرة ، وبسط له
امله وعاقبه عما فيه صلاحه ، وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير
غرضك ، وتنشد غير ضالتك ، وتخط في عماية ، وتتيه في ضلالة ،
وتعتصم بغير حجة ، وتلوذ بأضعف شبهة .

فأما سؤالك إلي المتاركة ، والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا اليوم
لفعلته امس .

واما قولك : ان عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه ، وعزل
عثمان من كان عمر ولاه ، ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح
الامة ما قد كان ظهر لمن قبله ، او خفي عنهم غيبه ، والامر يحدث بعده
الامر ولكل وال راي واجتهاد .

فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة ... إلى آخر ما في « نهج
البلاغة » .

روى ذلك شارحا « نهج البلاغة » المعتزلي والبحراني^(١) ولا جرم ان
مصدرهما غير « النهج » ولكنهما لم يشيرا اليه فلاحظ .

٣٨ - ومن كتابه عليه السلام

إلى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتهر رحمه الله

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ
غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عَصِي فِي أَرْضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ

(١) شرح المعتزلي : م ٤ / ٥٧ ، وشرح البحراني : ٥ / ٨١ .

الْجَوْرُ سُرَادِقُهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ ،
فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَا حُ إِلَيْهِ ٢ ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ
أَيَّامَ الْخَوْفِ ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرُّوعِ ٣ .
أَشَدُّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ
الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا
طَابَقَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ
وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ ٤ ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ،
وَلِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا

(١) السرداق : الستر الذي يمد فوق صحن البيت ، والدخان المرتفع الذي يحيط بالشئ ،
ولعله عليه السلام يريد المعنى الثاني ، والبر (بفتح الباء) : الثقي والظاعن : الراحل .
(٢) استراح اليه : سكن واطمأن ، والسكون إلى المعروف يستلزم العمل به .
(٣) لا ينام أيام الخوف : أي أنه حذر يقظ والعرب كانت تمدح بذلك فتقول « لا ينام
ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف » ، ولا ينكل : أي لا ينكص ولا يجبن والروع الخوف .
قال ابن أبي الحديد في قوله عليه السلام ، فيما طابق الحق : أمرهم في أن يعطوه فيما يأمرهم
به مما طابق الحق ، وهذا من شدة دينه ، وصلا بته عليه السلام ، لم يسامح نفسه في حق أحب الخلق
إليه أن يسهل هذا القيد .

(٤) الظبة « بضم فتح » حد السيف ، والكيل الذي لا يقطع ، ولا أدري لماذا لم يشتهر
مالك بلقب سيف الله وقد لقبه بذلك علي عليه السلام كما اشتهر خالد بن الوليد حيث لقبه بذلك
أبو بكر ؟ والضريبة - كذبيحة - : المضروب بالسيف وانما دخلت التاء في ضريبة وهي بمعنى
المفعول لهاهاها مذهب الاسماء كالنطيحة والأكيلة ، والنابي من السيوف الذي لا يقطع وضربة
نابية : غير مؤثرة .

يُخْجِمُ وَلَا يُؤْخِرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي ، وَقَدْ
آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ
عَلَى عَدُوِّكُمْ ١ .

رواه الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ٣٣٩٤ طليدن في حوادث سنة ٣٨ .
ورواه الشيخ المفيد في موضعين من كتبه ، الاول في « الاختصاص »
ص ٨٠ والثاني في « الامالي » ص ٤٥ ، ونقله ابن ابي الحديد مرتين ، عن
« الغارات » لابراهيم بن هلال الثقفي المتوفى في حدود سنة (٢٨٣) الاولى
في المجلد الثاني ص ٢٩ بسند ابراهيم المذكور عن الشعبي عن صعصعة بن
صوحان ، والثانية في نفس المجلد ص ٣٠ بسند ابراهيم ايضاً عن محمد بن
عبد الله عن المدائني عن مولى الاشر ، قال : لما هلك الاشر اصيب برجله
رسالة إلى اهل مصر ، من عبد الله علي امير المؤمنين ... وذكر الرسالة
بوجه يغاير ما نقله اولا بشيء يسير ، وجميع ما يحتوي عليه هذا الكتاب
الذي ذكره الرضي في « النهج » تشتمل هذه الروايات على مفرداته . فلا
يبعد ان يكون الرضي رحمه الله تعالى ضم بعض هذه الروايات إلى بعض ،
واختار منها ما ذكره ، او انه وجده بهذه الصورة فنقله على وجهه كما
وجده ، وهذا ما نظنه قوياً ، بل نعتقده يقيناً ، لان عادة الرضي في نقل
الروايات المختلفة ، ان ينقل كل رواية على حدة ، واستعراض بسيط
« لنهج البلاغة » ترى حقيقة ما نذهب اليه . وقد اشرنا الى ذلك فيما
مرّ من هذا الكتاب (٢) .

(١) آثرتكم خصصتكم به مع شدة حاجتي اليه ، والشكيمة في اللجام : الحديدية المعرعة في
فم الفرس ، ويمبر بها عن قوة النفس ، وشدة البأس .
(٢) انظر ج ١ ص ٣٤٤ . و

٣٩ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِي ۖ ظَاهِرٌ غَيْهِ
مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ
بِخُلُطَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ أَتْبَاعَ الْكَلْبِ
لِلضَّرْغَامِ يُلَوِّذُ إِلَى مَخَالِيهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ
فَضْلِ فَرِيْسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخَرْتَكَ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ
أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ . فَإِنْ يُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ
أَبْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِ كَمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا
فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا ۝

هذا الكتاب نقله قبل الرضي نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » (٢)
بصورة تختلف قليلا في بعض الفاظها مع « نهج البلاغة » قال : وكتب علي
عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الأبرار عمرو بن العاص شافي

(١) أي وإن لم استطع اخذكما ، أو امت قبل ذلك وبقيت ما بعدي فالذي أمامكما شر لكما ،
لأن عذاب الدنيا منقطع وعذاب الآخرة غير منقطع .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٤ / ٦١ ورواه ابن ميثم في شرح
النهج : ٨٥ / ٥ .

محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام^(١) .

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد : فانك تركت مروءتك لا امرىء فاسق مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بمخلطته ، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما (وافق شن طبقة)^(٢) . فسلبك دينك وامانتك ، ودنياك

(١) الايتر : المنقطع عن كل خير الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، والشانيء المبغض ، وفي العاص بن وائل نزل قوله تعالى (ان شائنك هو الايتر) بأجماع المفسرين ، وذلك ان العرب كانت تسمي من لا ولد له ايتراً فلما توفي القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال العاص بن وائل : يا معشر قريش لا يهينكم امر محمد انما هو رجل ايتراً فنزلت الآية . وقد روي ان عمرو بن العاص ارسل إلى امير المؤمنين عليه السلام يعييه بأشياء منها : انك تسمي الحسن والحسين ولدى رسول الله ، فقال للرسول : قل للشانيء ابن الشانيء : لو لم يكونا ولديه لكان ايتراً كما زعم ابوك . وانظر ج ٢ ص ١١٢ من هذا الكتاب .

(٢) مثل يضرب للمتوافقين ، واصله : ان رجلاً من دهاة العرب يقال له شن آلى على نفسه ان لا يتزوج الا امرأة مثله في العقل والذكاء ، وجعل يطوف في الارض من اجل ذلك ، فبينما هو في بعض مسيره اذ وافقه رجل في الطريق فقال له شن اين تريد ؟ قال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها شن حتى اخذها في مسيرهما قال له شن : اتحملني ام احملك . فقال له الرجل : يا جاهل انا راكب وانت راكب فكيف احملك او تحملي ؟ فسكت عنه شن ، فساروا فمرا على زرع آن حصاده فقال شن : اترى هذا اكل ام لا ؟ فقال الرجل : يا جاهل ترى نباتاً مستحصداً فتقول : اكل ام لا ! فسكت عنه شن ، حتى اذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال شن : اترى صاحب هذا النعش حياً ام ميتاً ؟ فقال الرجل : ما رأيت اجهل منك ترى نعشاً فتسأل عن الذي فيه اميت ام حي ؟ ! فسكت عنه شن فأراد شن مفارقه فابى الرجل ان يتركه الا ان يصير به إلى منزله - وكان منزله في تلك القرية - فمضى معه ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها ابوها سأله عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته اياه ، وشكا اليها جهله ، وحديثها بحديثه فقالت : يا ايت ما هذا بجاهل ، اما قوله : اتحملني ام احملك ؟ اراد تحدثني ام احديثك حتى تقطع طريقنا ؟ واما قوله : اترى هذا الزرع اكل ام لا اراد هل ان على اهله ديناً ام لا ؟ واما قوله في الجنازة فأراد اترك عقباً يحيا بهم ذكره ام لا ؟ فعرج الرجل إلى شن فعادته ساعة فقال له : اتحب ان افسر لك ما سألتني ؟ قال : نعم ، ففسره قال شن ما هذا من كلامك فاخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لي فخطبها اليه فزوجه اياها ، وحملها إلى اهله ، فلما رأوها قالوا : « وافق شن طبقة » فارسلت مثلاً .

وأخترتك ، وكان علم الله بالغاً فيك ، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما
دجى الليل ، أو أتى الصبح ، يلتمس فاضل سوره ، وحوايا فريسته^(١) ،
ولكن لا نجاة من القدر ، ولو بالحق اخذت لادركت ما رجوت وقد رشد
من كان الحق قائده ، فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقك كما
بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ﷺ وان تعجزا وتبقيا
فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً ، والسلام

ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في (التذكرة) ص ٨٤ والطبرسي في
(الاحتجاج) ج ١ ص ٢٦٧ .

وتماماً للفائدة نورد تعليق ابن ابي الحديد على هذه الرسالة ، قال :
« اما قوله عليه السلام في معاوية : ظاهر غيه ، فلا ريب في ظهور
ضلاله وبغيه ، وكل باغ غاو .

واما مهتوك ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة ، صاحب جلساء وسمار
ومعاوية لم يتوهر ولم يلزم قانون الرئاسة الا منذ خرج على امير المؤمنين واحتاج
إلى التاموس^(٢) والسكينة ، والا فقد كان في ايام عثمان شديد التهتك ،
موسوماً بكل قبيح ، وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلاً خوفاً منه الا انه
كان يلبس الحرير والديباج^(٣) ، ويشرب في آنية الذهب والفضة ،
ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها ، وعليها جلال^(٤) الديباج
والوشي^(٥) وكان حينئذ شاباً ، وعنده نزع الصبا ، واثر الشيبية ، وسكر

(١) الضرغام : الاسد . ودجا الليل : اظلم ، والحوايا (جمع حوية كقفية) وهي ما
تحتوي : اي ما استدار من الامعاء .

(٢) التاموس هنا : المكر والخداع .

(٣) الديباج : الثياب المنقوشة ، والدبج : النقش .

(٤) الجلال : ثوب الدابة .

(٥) الوشي : الثياب المنقوشة .

السلطان والأمرة ، ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر في ايام عثمان في الشام ، واما بعد وفاة امير المؤمنين واستقرار الامر له فقد اختلف فيه ، فقيل انه شرب الخمر في ستر وقيل : انه لم يشرب الخمر ، ولا خلاف في انه سمع الغناء ، وطرب عليه ، واعطى ووصل عليه ايضاً « (١) » .

٤٠ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ
أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ .
بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ
وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَأَعْلَمْ
أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ .

هذا الكتاب ساقط من النسخة التي عليها شرح كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، مثبت في سائر النسخ ، وكيف كان فهو مروى قبل الشريف الرضي في « العقد الفريد » : ج ٤ ص ٣٥٥ .

(١) الشرح : م ٤ / ٦٠ .

٤١ - وَمِنْ كَلَامِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ
شِعَارِي وَبِطَانَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ
مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ
إِلَيَّ . فَلَمَّا رَأَيْتَ أَلْزَمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ ،
وَالْعَدُوُّ قَدْ حَرَبَ ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ ١ ، وَهَذِهِ
الْأُمَّةُ قَدْ فَتَكَتْ وَشَغَرَتْ ٢ قَلْبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ
الْمَجَنُّ ٣ فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ ،

(١) الامانة الخليفة ، فهو امين الله عليها واشراكه فيها حيث جعله على بعض ما ائتمن
عليه منها . وكلب وحرب - كفرح - ومعنى الاول : اشتد ، ومعنى الثاني استأسد واذا كان
كطلب - فالمعنى سلب مالنا ، وفي رواية « العقد الفريد » حرد بالبدال المهملة اي غضب ،
وخزيت - كرضيت ذلت وهانت .

(٢) فتكت - بالنون قبل الكاف - من فتكت الجارية اذا صارت ماجنة ، وشغرت
خلت من الخير .

(٣) المجن : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن كان على مودة ثم حال عن العهد واصل ذلك
ان الجيش اذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم الى وجه العدو ، ويطون مجانهم الى وجه عسكرهم ،
فاذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم على غير الوضع الذي كان من قبل .
وذلك ان ظهور الترس لا يمكن ان تكون الا في وجوه الاعداء ، لانها مرمى سهامهم .

وَحُنَّتْهُ مَعَ الْخَائِنِينَ . فَلَا أَبْنَ عَمَّكَ آسَيْتَ ١ ، وَلَا
الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ اللَّهُ تَرِيدُ بِجِهَادِكَ .
وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا
كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ ٢ وَتَنُوي غَرَّتَهُمْ عَنْ
فَيْضِهِمْ . فَلَمَّا أَمَكَّنْتَكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ
الْكُرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ
مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمْ اخْتَطَفَ
الذُّبِ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمَعْزَى الْكَسِيرَةَ ٣ ، فَحَمَلَتْهُ إِلَى
الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرِ مُتَأَمِّنٍ مِنْ أَخْذِهِ
كَأَنَّكَ - لَا أَبَا لِيْغِيرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاثَكَ مِنْ
أَبِيكَ وَأُمِّكَ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ؟ أَوْ مَا
تَخَافُ نَقَاشَ الْحِسَابِ ٥ ؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ
ذَوِي الْأَلْبَابِ ٦ كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَطَعَامًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ

(١) آسَيْتَ : شَارَكَتَ فِي الْمَمَالِكِ .

(٢) كَادَهُ : خَدَعَهُ ، وَالْفَرَّةُ : الْغَفْلَةُ ، وَالْفِيءُ : الْخَرَجُ وَالْغَنِيمَةُ .

(٣) الذُّبِ الْأَزْلَ : خَفِيفَ لَحْمِ الْوَرَكَيْنِ ، وَذَلِكَ أَشَدُّ لَعْدُوهُ وَأَسْرَعُ لَوْثِيَّتِهِ وَالْدَامِيَةُ :
الْجُرُوحَةُ . وَالذُّبِ يَكُونُ أَقْدَرُ عَلَى اخْتِطَافِ شَاةٍ مِنَ الْمَعْزَى إِذَا كَانَتْ كَسِيرَةً وَدَامِيَةً أَيْضًا .

(٤) وَالتَّأَمَّنُ : التَّحَرُّزُ مِنَ الْأَثَمِ ، وَحَدَرْتَ : أَسْرَعْتَ .

(٥) نَقَاشَ الْحِسَابِ : الْاسْتِقْصَاءَ فِيهِ .

(٦) وَسَفَتَ الشَّرَابِ : بَلَغَتْهُ بِسَهُولَةٍ .

أَنْتَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرَبُ حَرَامًا ؟ وَتَبْتَاعُ الْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ
النِّسَاءَ مِنْ مَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ
الَّذِينَ آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ
الْبِلَادَ . فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْذُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ،
فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ لَأُعَذِّرَنَّ إِلَى اللَّهِ
فِيكَ ١ ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا
إِلَّا دَخَلَ النَّارَ . وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ
الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ ٢ وَلَا ظَفِيرًا مِثْلِي
بِإِرَادَةٍ حَتَّى أَخُذَ الْحَقُّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ مِنْ
مَظْلَمَتَيْهِمَا . وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا
أَخَذْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي .
فَضَحَّ رُوَيْدًا ٤ فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى ٥ وَدُفِنْتَ تَحْتَ
الشَّرَى وَعُرِضْتُ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي

(١) أي لا عاقبتك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه .

(٢) الهوادة : المصالحة والمصانعة .

(٣) قسمه هذا كالتحقيق لما أخذه ، وبيان أنه لو كان أخذه على وجه الحلال فلا يصلح

للقنية فكيف به وهو حرام ، وذلك ليتركه ويخرج عنه إلى أهله .

(٤) ضح رويداً : من ضحيت الغنم إذا رعيها في الضحى : وهذه الكلمة تقال لمن يأمر

بالامهال والتوادة على سبيل التهديد .

الْظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرُّجْعَةَ وَلَا تَ
حِينَ مَنَاصٍ ١ .

اشار إلى هذا الكتاب ابن قتيبة في « عيون الاخبار » : م ١ ص ٥٧ ونقل
نقرات منه ، ورواه ابن عبدربه في « العقد الفريد » : في الجزء الثاني ص ٢٤٢ ط
للزهري ، كمارواه بتفاوت ابو عمرو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي في رجاله :
ص ٥٨ والبلاذري في « انساب الاشراف » ص ١٧٤ ط . الاعلمي وفي
« كنز العمال » ج ٦ ص ٤١٠ : عن المدائني كتب على بن ابي طالب إلى بعض
عماله : « رويداً فكأن قد بلغت المدى ... الخ » . وهؤلاء كلهم ممن تقدم الشريف
لرضي بروايته ، ومن رواه بعده ابو الفضل احمد بن محمد الميواني في
مجمع الامثال » : ج ٢ ص ١٠١ ، وسبط ابن الجوزي في « تذكرة
لخواص » : ص ١٦٧ برواية السدي .

وقال ابن ابي الحديد ان الرواة قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه ،
قد ذكر في اكثر كتب السير (٢) .

ولشيخنا المقدس الشيخ محمد طه نجف عطر الله مرقده (١) تحقيق لطيف
هذا الكتاب . فراجع « اتقان المقال » : ص ٣١٣ إذا شئت .

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٥٤ .

(٢) الشيخ محمد طه نجف رحمه الله من اعظم علماء الامامية ، واكابر زعمائهم انتهت
يه زعامة التقليد والمرجعية العامة بعد وفاة الامام السيد محمد حسن الشيرازي قدس سره : حضر
لى الشيخ الانصاري وجماعة من العلماء ، وكان اكثر حضوره وتحصيله على العلامة المحقق
شيخ محسن خنفر نور الله ضريحه ، ولم يحضر على احد بعده وتخرج عليه جماعة من العلماء
كالشيخ حسن وللشيخ علي الجواهريين والسيد عدنان الغريفي والسيد محمد سعيد الجبوبي والشيخ
عمر البديري وغيرهم ، وكف بصره في اواخر عمره ولم يثنه ذلك عن البحث والتدريس
المداكرة والتأليف ، وقد ألف وهو على تلك الحالة كتابه المعروف بـ « الانصاف على مسائل -

٤٢ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عمر بن ابي سلمة المخزومي^(١) وكان عامله على
البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقني^(٢)
مكانه .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرْقَنِيَّ
عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ ، بِإِلَازِمٍ لَّكَ ، وَلَا تَشْرِبِ

الخلاف . » .

توفي رحمه الله في النجف الاشرف يوم الاحد ١٣ شوال سنة ١٣٢٣ وكان يومه مشهوداً ،
عطلت فيه الاعمال ، وغلقت الاسواق ، واقيمت المآتم في اكثر البلاد الاسلامية ، ورثاه الشعراء .
وخلف عدة مؤلفات في الفقه والاصول والرجال : منها تعليقه على « جواهر الكلام »
المعروفة بالانصاف و « الدعائم » في الاصول ، و « احياء الموات في احوال الرواة » و « اتقان
المقال في احوال الرجال » وغيرها .

(١) عمر بن ابي سلمة المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امه ام سلمة
رضي الله عنها ، يكنى ابا جعفر ولد في السنة الثانية من الهجرة بارض الحبشة وتوفي في المدينة
في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣ وقد حفظ عن رسول الله الحديث ، وروى عنه سعيد بن
المسيب وغيره .

وكان عمر ارسلته امه خلف امير المؤمنين عليه السلام لما خرج لحرب اصحاب الجمل ،
وكتبت معه كتاباً تقول فيه لولا ان الجهاد موضوع عن النساء لجت فجاهدت بين يديك هذا ابني
عديل النفس فاستوص به خير يا امير المؤمنين .

(٢) النعمان بن العجلان من سادات الانصار ، وكان لسانهم وشاعرهم ، وهو القائل
يوم السقيفة يذكر ايام الانصار ، والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

فقل لتريش نحن اصحاب مكة	ويوم حنين والفوارس في بدر
واصحاب احمد والنضير وخيبر	ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بارض الشام اذ قتل جعفر	وزيد وعبد الله في علق نجري
وفي كل يوم ينكر الكلب اهله	نطاعن فيه بالثقفة السمر

غَلِيكَ ١ . فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ وَأَدَيْتَ الْأَمَانَةَ . فَأَقْبِلْ
يَرِ ظَنِينَ ٢ وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ .
فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ٣ وَأَحْبَبْتُ أَنْ
نَشْهَدَ مَعِيَ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ
وإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

سبق الشريف الرضي برواية هذا الكتاب ابن واضح في تاريخه : ج ٢
ص ١٩٠ والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ١٥٩ ط : الأعلمي.

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف	صروف الليالي والمظلم من الامر
وقلنا لقوم هاجروا قبل : مرحبا	واهلا وسهلا قد امنتم من الفقر
نقاسكم اموالنا وبيوتنا	كقسمة ايسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الامر الذي تكرهونه	وكنا اناساً نذهب المر بالير
وقاتم : حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال ابا بكر
وكان هوانا في علي وانه	لاهل لها يا عمرو من حيث لاتدري
وصي النبي المصطفى وابن عمه	وقاتل فرسان الضلالة والكفر

واستعمله علي عليه السلام على البحرين بعد عمر بن ابي سلمة ، فجعل يبذل بيت المال ويعطي
كل من جاءه من قومه وبلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام فكتب اليه يؤنبه ، ويطلب منه ان يرفع
اليه حسابه ، فحمل ما بقي عنده من المال ولحق بمعاوية .

(١) الثريب : الاستقصاء في اللوم .

(٢) الظنين : المتهم .

(٣) الظلمة - بالتحريك - جمع ظالم .

(٤) استظهر : استبين .

٤٣ - ومن كتابه عليه السلام

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير
خُصرة ١ .

بَلَّغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسَخَطْتَ إِلَهَكَ
وَأَغَضِبْتَ إِمَامَكَ : أَنْكَ تَقْسِمُ ٢ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِي
حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخَبُولُهُمْ، وَأَرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنْ
اعْتَمَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ ٣ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ
النَّسَمَةَ لَشِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا ،
وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا . فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا
تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا .

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَقَبْلَنَا مِنْ الْمُسْلِمِينَ فِي
قِسْمَةِ هَذَا الْفَيِّءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ .

نقل هذا الكتاب قبل الشريف الرضي البلاذري في « انساب الاشراف »

(١) اردشير خرة - بضم الراء وتشديد الخاء - كورة من بلاد فارس .

(٢) « انك ... الخ » بدل من « امر » .

(٣) اعتماك : اختارك من بين الناس ، امله من العيمة - بالكسر - وهي خيار المال .

(٤) قبل - بكسر القاف - ظرف بمعنى عند .

ص ١٦٠ ط . الاعلمي وابن واضح في « التاريخ » : ج ٢ ص ١٩٠ بتفاوت عما في « النهج » وذكر ان مصقله اجاب امير المؤمنين عليه السلام بكتاب يقول فيه :

« اما بعد : فقد بلغني كتاب امير المؤمنين فليسأل ان كان حقاً فليجعل عزلي بعد نكالي فكل مملوك لي حر وعلى آثام ربعة ومضر ان كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهماً ولا غيرهما منذ وليته إلى ان ورد على كتاب امير المؤمنين ، ولتعلمن ان العزل اهون علي من التهمة » .

وتقدم في الجزء الاول ص ٤٥٠ من هذا الكتاب اجمال قصة شراء مصقلة لسبي بني ناجية وامتناعه عن دفع الفداء ، وفراره إلى معاوية تحت استار الليل .

٤٤ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى زياد بن ابيه ، وقد بلغه ان معاوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه .

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ،
وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ١ فَاَحْذَرُهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي
الْمَرَأَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ

(١) يستزل : يطلب زلله وخطأه ، واللب : العقل . ويستفل : يحاول ان يفل غربك ، والغرب - بفتح فسكون - الحد والمراد به العزم .

شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ١ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
فَلْتَةً مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ٢ وَنَزَعَةً مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ :
لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَالْمُتَعَلِّقُ
بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ ، وَالنَّوْطِ الْمُدْبَذِ .

فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تنزل في نفسه حتى
ادعاه معاوية .

قال الرضي : قوله عليه السلام « الواغل » : هو الذي يهجم على الشرب
ليشرب معهم ، وليس منهم ، فلا يزال مُدْفَعًا محاجزاً . و « النوط
المذبذب » هو ما يناط برجل الراكب من قعب او قدح او ما اشبه ذلك ،
فهو ابدأ يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

(١)

كانت سمية ام زياد امة وهبها ابو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن
كلدة وكان طبيباً يعالجه ، فولدت على فراشه نافعاً ، ثم ولدت ابا بكرة
فانكر لونه ، وقيل له : ان جاريتك بغية ، فانتفى من ابي بكرة ومن نافع
وزوجها عبيداً عبداً رومياً لابنته فولدت على فراشه زياداً (٣) ، فكان يقال

(١) يلج غفلته بفتة فيأخذه فيها ، قال الشيخ محمد عبده : وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه
الغافل من احسن انواع التشبيه ، والغرة - بالكسر - خلو العقل من ضروب الحيل .
(٢) والفلة : الامر يقع من دون تثبيت وزوية . ونزعة : كلمة فاسدة من نزغات
الشیطان : اي حركاته .

(٣) العقد الفريد : ج ٥ ص ٤ . والاصابة : ١ / ٥٦٣ .

له قبل الاستلحاق زياد بن عبيد ، ولم يزل عبيد عبداً مملوكاً إلى ان اشتراه زياد ايام عمر بألف درهم عندما استكتبه ابو موسى الاشعري واستحسن عمر منه هذا العمل وقال : نعم الالف (١) .

ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زياداً إلى عمر بفتح فتحه الله على المسلمين فأمره عمر ان يخطب به على المنبر ، فأحسن في خطبته وجود ، وعند اصل المنبر ابو سفيان بن حرب وعلي بن ابي طالب عليه السلام (٢) وعمرو بن العاص (٣) فقال ابو سفيان : ابت المناقب الا ان تظهر شمائل زياد (٤) وقال عمرو بن العاص لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان : انه لقرشي والله اني لاعرف الذي وضعه في رحم امه ، فقال علي بن ابي طالب ، ومن هو يا ابا سفيان ؟ قال : انا ، قال : مهلا يا ابا سفيان (٥) فانك لتعلم ان عمر ان سمع هذا القول منك كان سريعاً اليك بالشر (٦) فقال ابو سفيان :

اما والله لو خوف شخص يراني يا علي من الاعادي
لاظهر امره صخر بن حرب ولم يخف المقالة في زياد
وقد طالت مجاملي ثقفاً وتركبي فيهم ثمر الفؤاد (٧)

فهذه هي الفتاة التي اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى زياد .

* * *

(١) الإصابة : ١ / ٥٦٣ وج ٣ / ١٠٢ .

(٢) المقد الفريد : ج ٥ ص ٥ .

(٣) الاستيعاب : ١ / ٥٤٩ .

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٤ ص ٦٧ من الواقدي .

(٥) الاستيعاب : ١ - ٥٤٩ .

(٦) تاريخ دمشق : ٥ - ٤١٠ .

(٧) الاستيعاب : ١ - ٥٤٩ .

فلما كان زمن علي عليه السلام ولاه فارس او بعض اعمال فارس
فضبطها ضبطاً صالحاً وجبى خراجها^(١) فعرف ذلك معاوية فكتب اليه :

اما بعد : فان العش الذي ربيت فيه معلوم عندنا ، وقد غرتك قلاع
تاوي اليها كما تاوي الطيور إلى اوكارها ، ولو لا انتظاري بك ما الله اعلم به
مني لكان لك مني ما قاله العبد الصالح : (فلنأتينهم يحنود لا قبل لهم بها
ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون)^(٢) . وكتب في اسفل الكتاب :

لله در زياد ايما رجل	لو كان يعلم ما يأتي وما يذر
تنسى اباك وقد شالت نعمته	لذ تحطب الناس والوالي لهم عمر ^(٣)
فافخر بوالدك الأدنى ووالدنا	إن ابن حرب له في قومه خطر ^(٤)
ان انتهائك قوم لا تناسبهم	عد الأنامل عار ليس يفتفر
فانزل بعيداً فان الله باعدهم	عن كل فضل به تعلو الورى مضر
فالرأي مطرف ، والعقل تجربة	فيها لصاحبها الايراد والصدر ^(٥)

فلما ورد الكتاب على زياد قام في الناس فقال : العجب من ابن آكلة
الاكباد ورأس النفاق يخوفي بقصده اياي وبيني وبينه ابن عم رسول الله
ﷺ وزوج سيدة نساء العالمين ، وابو السبطين وصاحب الولاية والمنزلة^(٦)
والاخاء في مائة الف من المهاجرين والانصار ، والتابعين لهم باحسان ، ام
والله لو تخطى هؤلاء جميعاً لوجدني اعرف بضرب السيف .

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد . م ٤ - ٦٧ .

(٢) النمل : ٣٧ .

(٣) شالت نعمته : خف وغضب ثم سكن .

(٤) الخطر - بالحريك - القدر .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٤ - ٦٧ ، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر .

(٦) يشير إلى الحديثين المتواترين وهما : (اللهم وال من ولاء ... الخ) . و (انت

مني بمنزلة هارون من موسى .) .

واتصل الخبر بعلي عليه السلام فكتب اليه :

اما بعد فاني وليتك ما وليتك ، وانا اراك لذلك اهلا ، وقد عرفت ان معاوية كتب اليك .. إلى آخر الكتاب (١) .

رواه قبل الرضي ابو الحسن علي بن محمد المدائني ، ولا ريب انه نقل ذلك عن غير المدائني للتفاوت في بعض الكلمات ، وزيادة بعض العبارات ، ورواه بعد الرضي ابن الاثير في « الكامل » : ج ٣ ص ٢٢٠ في حوادث سنة ٤٤ وفي « اسد الغابة » ج ٢ - ص ٢١٧ وابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ١ ص ٥٥٠ في ترجمة زياد .

(٢)

ولم يزل زياد على عمله ، مقيماً على ولائه لامير المؤمنين عليه السلام وتعلقه بحب اهل البيت عليهم السلام إلى ان قتل امير المؤمنين عليه السلام ، فخاف معاوية جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، واشفق من ممالأته الحسن عليه السلام ، فكتب اليه يتوعد ويتهدد (٢) ويطلب اليه الانضمام إلى جانبه ، فلم يزد ذلك زياداً الا تصلباً وتمسكاً بولائه للحسن عليه السلام ، وجمع الناس وخطبهم فشنع على معاوية بخطبته (٣) وسخر من توعده وتهديده واجابه بكتاب شديد اللهجة ، يكيل السب صاعاً بصاع ، ويقابل وعده بوعيده ، وتهديده بتهديده . ويشبهه بالغريق الذي غطاه الموج فجعل يتشبب

(١) شرح نهج البلاغة لميثم البحراني : ٩٧ / ٥ .

(٢) تجدد نص الكتاب في شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٦٨ .

(٣) المصدر السابق .

بالطحلب^(١) ، ويتمسك بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة ويعيره بحمامة^(٢) كما عيره بسمية .

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه واحزنه ، وفكر فيمن يستعين به في هذا الأمر ، فلم ير الا المغيرة بن شعبة — وما يوم المغيرة في مثل هذه القضايا بواحد — فبعث اليه ، وخلا به ، وقال : يا مغيرة اريد مشاورتك في امر قد اهمني فانصحني فيه ، واشر علي برأي المجتهد ، وكن لي اكن لك ، فقد خصصتلك بسري ، وآثرتك على ولدي .

فقال المغيرة : فما ذاك ؟ والله لتجدني في طاعتك امضى من الماء في حدوده ، ومن ذي الرونق في كف البطل الشجاع^(٣) .

قال : يا مغيرة ، ان زياداً قد اقام بفارس يكش لنا كشيش الافاعي^(٤) وهو رجل ثاقب الرأي ، ماضي العزيمة ، جوال الفكر ، مصيب اذا رمى ، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حياً ، واخشى مما لاته حسناً ، فكيف السبيل اليه ؟ وما الحيلة في اصلاح رأيه ؟

قال المغيرة : اناله ان لم امت ، ان زياداً يحب الشرف والذكر ، وصعود المنابر ، فلولا طففته المسألة ، وألنت له الكتاب ، لكان لك اميل ، فاكتب اليه وانا الرسول .

فكتب معاوية :

(١) الطحلب — يضم الطاء واللام — خضرة تملو الماء الراكد .
 (٢) حمامة ام أبى سفيان وكانت من ذوات الرايات في الجاهلية (انظر شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م ٤ ص ١٥٧ .
 (٣) حدود الماء : انحدره ، وذو الرونق : السيف .
 (٤) كشيش الحية : صوت جلدها عند الزحف .

من امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان إلى زياد بن ابي سفيان (١) .
اما بعد : فان المهرء ربما طرحه الهوى في مطارح العطب (٢) ، وانك
المرىء المضروب به المثل ، قاطع الرحم ، وواصل العدو ، حملت سوء
ظنك بي ، وبغضك لي ان عقلت قرابتي ، وقطعت رحمي ، وبنت نسبي
وحرمتي ، حتى كأنك لست اخي ، وليس صخر بن حرب اباك .

وشتان ما بيني وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص (٣) وانت تقاتلني ،
لكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء ، فكنت :
وملحفة بيض اخرى يجتاحها (٤) .

وقد رأيت ان اعطف عليك ، ولا اؤاخذك بسوء سعيك ، وان اصل
رحمك وابتغي الثواب في امرك فاعلم - ابا المغيرة - انك لو خضت في
البحر في طاعة القوم ، فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا
بعداً ، فان بني عبد شمس ابغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع
وقد اوثق للذبح .

فارجع رحمك الله إلى اصلك ، واتصل بقومك ولا تكن كالموصول
يطير بريش غيره ، فلقد اصبحت ضال النسب ، ولعمري ما فعل ذلك بك

(١) هو الآن يكتب اليه ابن ابي سفيان ، وفي الكتاب الذي توعد فيه قبل هذا كتب اليه
زياد بن عبيد .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) يعنى : عثمان فهو ابن عفان بن ابي العاص ، وكأنه يريد ان يستدرجه بذلك ليحمل
منه ابن عم لعثمان .

(٤) العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء ، والتاركة لبيضها : النعامة ، فانها تدع بيضها
وتخرج في طلب القوت فان وجدت بيض نعامة اخرى تحضنه وتنسى بيضها فضرب بها المثل واخذ
المعنى ابن هرمة فقال :

واني وتركى ندى الاكرمين وقد حي بكفي زناداً شاححاً
كتاركة بيضها بالمرأ وملحفة بيض اخرى جناحاً

الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ، ووضوح من حجبتك . فان احببت جانبي . ووثقت بي ، فأمره بامرة ، وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلام ٢١١ .

وقدم المغيرة بكتاب معاوية على زياد ، فقربه زياد وادناه ، ولطف به ، ودفع اليه كتاب معاوية فقرأه ثم تأمله وضحك منه ولما فرغ منه وضعه تحت قدمه ثم قال : حسبك يا مغيرة فاني اطلع على ما في ضميرك ، وقد قدمت من سفرة بعيدة فقم وارح ركابك .

قال : اجل دع عنك اللجاج يرحمك الله ، وارجع إلى قومك ، وصل اخاك وانظر لنفسك ، ولا تقطع رحمك .

قال زياد : اني رجل صاحب اناة ، ولي في امري روية ، فلا تعجل علي ، ولا تبدأني بشيء حتى ابدأك .

ثم جمع الناس : بعد يومين او ثلاثة فصعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال :

ايها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا الى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرت في امور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالا ضاحي في كل عيد يذبحون ، ولقد افنى هذا اليومان يوم الاحمل وصفين ما ينيف على مائة الف كلهم يزعم انه طالب حق ، وتابع امام ، وعلى بصيرة من امره ، فان كان الامر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة ، كلا ليس كذلك ، ولكن اشكل الامر ، والتبس على القوم ، واني لخائف ان يرجع الامر كما بدأ ، فكيف لامرئ بسلامة دينه ؟ وقد نظرت في امر الناس ، فوجدت احمد العاقبتين العافية ، وسأعمل في اموركم ما

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٦٨ و ٦٩ .

تحمدون عاقبته ومغبته فقد حمدت طاعتكم ان شاء الله (١) .

ثم نزل ، وكتب جواب الكتاب :

اما بعد : فقد وصل كتابك - يا معاوية - مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه فالحمد لله الذي عرفك الحق ، وردك إلى الصلة . ولست ممن يجهل معروفاً ، ولا يغفل حسباً ، ولو اردت ان اجيبك بما اوجبتك الحجة ، واحتمله الجواب ، لطال الكتاب وكثر الخطاب ، ولكنك ان كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، واردت بذلك برأ فستزرع في قلبي مودة وقبولاً . وان كنت انما اردت .. مكيدة ومكرراً ، وفسادنية ، فان النفس تأبى ما فيه العطب ، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعاب به الخطيب المدره (٢) فتركت من حضر لا اهل ورد ولا صدر كالمتهجرين بمهمة (٣) ضل بهم الدليل وانا على امثال ذلك قدير .

وكتب في اسفل الكتاب :

اذا معشري لم ينصفوني وجدتني ادافع عني الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر اعيت قناتي عليهم فلاموا والقوني لدى العزم ماضيا
وهم به ضاقت صدور فرجته وكنت بطبي للرجال مداوياً
ادافع بالحلم الجهول مكيدة واخفي له تحت العصاة الدواھيا
فان تدن مني ادن منك وان تبني تجدني اذا لم تدن مني نائياً (٤)
فاعطاه معاوية جميع ما سأل ، وكتب اليه بخط يده ما وثق به (٥) وتوجه

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد م ٤ / ٦٩ .

(٢) المدره : لسان القوم والمتكلم عنهم .

(٣) الورد : الاشراف على الماء وغيره ، دخله او لم يدخله ، والصدر الرجوع . والمهمة المفازة البعيدة .

(٤) تبني : تفارق وتبتعد .

(٥) شرح النهج لابن ابي الحديد م ٤ / ٦٩ .

إلى الشام وكان معاوية قد اخذ لذلك اليوم اهبطه ، واستقبله الناس بما يستقبل به مثله من الامراء ، واعضاء الاسر المالكة ، وهياً معاوية من يشهد لزياد بصحة هذا النسب الصراح ، والشرف العتيد ، والمكرمة الخالدة !!! فمن الشهود العدول ! الثقة الصدوق ! ابو مريم السلوي الحمار الذي استطاع بمهارته في القيادة ان يجمع بين رجل هو ابعد ولد آدم عن اقتراف المآثم ! وامرأة هي من انقى بنات حواء صحيفة واطهرهن ذبلاً ، واعفهن نفساً في لقاء بريء لا مجال فيه لتسرب الريب ، واحتكام الظنون ! ولم يمنعه ان يأتي بالشهادة على وجهها ! وان كان فيها ما يثير حفيظة زياد او يجرح عاطفته ، لان الرجل لا تأخذه في الحلق لومة لائم !!! (ومن يكتمها فانه آثم قلبه).

ودعت معاوية عاطفة الدم ، ووشيجة الرحم ان يزوج محمد بن زياد ابنته لا يرجو بذلك الا وجه الله ولا يريد الا ما عنده في صلة رحمه !!

ذلك بعض ما رافق استلحاق زياد من التساجل في الخطب والكتب فكيف يستبعد ان يكون امير المؤمنين عليه السلام كتب إلى زياد بضعة اسطر في هذا الشأن وهو عامله على بلاد من اهم البلاد الاسلامية يومئذ في كثرة خيراتها ، ووفرة خراجها .

(٣)

ولا عجب اذا رد معاوية حكم الشريعة في هذه القضية ولكن العجب كل العجب من رجل يزعم انه درس « القضايا الكبرى في الاسلام » من جميع وجوهها ، ودخل اليها من ابوابها ، ليجعلها دراسة جديدة تناسب ما جد في هذا العصر من الاصول التشريعية ، ويطلع القارئ على اسرار التشريع ، ويعرف حال القضاء الاسلامي في ازهى عصوره ، حيث لم تتغلب على الاهواء الفاسدة ولم تزاحمه السياسة الظالمة !!! (١) .

(١) انظر مقدمة كتاب (القضايا الكبرى في الاسلام) .

ذلك الرجل هو فضيلة الاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعدي من علماء الازهر الشريف ، الذي اخذ ينعي على السلف حيث سدوا باب الاجتهاد فجمدوا القرائح ، وعطلوا المواهب ولم يتركوه وامثاله يجولون في ميدانه (١) ويجرون في حلباته .

وانا اقتطف لك نتفاً من آرائه في هذه القضية واحيلك على كتابه « القضايا الكبرى في الاسلام » .

قال : هذه القضية بلغ من امرها ان الناس لا يزالون مختلفين في الحكم الذي حكم به فيها ، وكان للسياسة والشعر اثرهما في اختلاف الناس في هذا الحكم ، وما كان لهم ان يتأثروا بهما فيه وان يؤثرهما على حكم قاض يجب احترامه ... لان سلطة القاضي من سلطة ولي الامر ، وقد امر الله بطاعته ، والخضوع لحكمه ...

قال : ان معاوية كان له خصوم من بني هاشم ، ودخول زياد في نسب بني امية يقضي على آمالهم ، لخطر زياد وعظم قدره ، والحاجة معاوية اليه في تثبيت ملكه فأخذوا يطعنون في هذا الحكم بين الناس ، وكان كثير من الصحابة والتابعين على رأيهم فيه ، حتى ذهبوا الى انه اول ما ردت به احكام الشريعة علانية ، لان رسول الله ﷺ قضى بالوالد للفراش وللعاهر الحجر .

وكانت عاتشة ممن لم يرض هذا الحكم ...

قد كان معاوية من كبار اصحاب النبي ﷺ ، وكان ممن اختاره لكتابة الوحي وقد قال النبي ﷺ « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهديتم » . إنه لظلم كبير — مع هذا — ان يرمى حكمه بأنه اول ما ردت به الشريعة علانية ، لان معاوية اكبر من ان يقصد رد الشريعة سرّاً او علانية ، وانما

(١) لا يخفى ان للشيخ كتاباً اسمه (في ميدان الاجتهاد) يطالب فيه بفتح باب الاجتهاد .

اجتهد في ذلك وتحرى الصواب وله اجتهاده في ذلك اخطأ او اصاب ،
ولا شك في خطأ من قال ان حكم معاوية يخالف ما قضى به النبي ﷺ
من ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ، لان هذا في الزنا في الاسلام ،
لا في الزنا في الجاهلية لان الاسلام يقر نسب ولد الزنا اذا كان في الجاهلية
كما اقر نسب عمرو بن العاص إلى ابيه ، وقد علق به سمية من ابي سفيان (١) .
وشتان بين استلحاق ولد الزنا في الاسلام ، واستلحاق ولد الزنا في
الجاهلية ، فالاول هو الذي اذا حصل يكون رداً للشرعية علانية ، والثاني
محل اجتهاد للفقهاء المسلم ! لانه لم يرد فيه نص قاطع عن النبي ﷺ واجتهاد
معاوية فيه ارجح من اجتهاد غيره ، لانه اذا كان زياد من ابي سفيان لم
يصح ان يضيع حقه في ذلك باسلامه ، لان الاسلام لا يضيع الحقوق على
اصحابها ، والحق حق في كل زمان وفي كل مكان . واذا كانت المدة قد
طالت على هذا الاستلحاق ، فان سقوط الحق بتلك المدة لم تتفق عليه كل
الشرائع ... » .

اما ما يترتب عليه من الارث فيمكن ان يسقط بطول المدة .
ثم ذكر ابطال المهدي العباسي لهذا النسب وعلق عليه بقوله :
« وقد سبق ان معاوية حكم في ذلك عن اجتهاد وتحرق للحق ، ولم يحكم
فيه عن هوى ، واردة لمخالفة الكتاب والسنة كما زعم المهدي » (٢) .
تلك فقرات انتزعتها لك مما كتبه الشيخ حول الموضوع ولم اقطع عليه
كلامه ببيان مواقع النظر ، ونقاط الضعف ، رغبة مني في ان تطلع عليه
جملة واحدة ، لترى كيف يبلغ الهوى والتعصب الاعمى بالانسان - وان

(١) يعني زياداً .

(٢) انظر (القضايا الكبرى في الاسلام) من ص ١٨٤ إلى ١٩٤ .

كان من وزن فضيلة الشيخ الصعيدي -- فيتركه يخطط خبط عشواء عسى ان يجعل من الباطل حقاً ومن الخطأ صواباً .

أ - يرى ان الله امر بطاعة معاوية ، والخضوع لحكمه ، وانه من كبار اصحاب النبي ﷺ و (بأيمهم اقتديتم اعتديتم) فيكون ما فعله بسر بن ارطاة في الحرمين واليمن من هتك الحرمات ، وارتكاب المحرمات من سفك الدماء وحرق الدور . ونهب الاموال ، وذبح الاطفال .

وما صنعه سمرة بن جندب في البصرة اذ قتل من المسلمين في ستة اشهر ثمانية آلاف وفيهم سبعة واربعون رجلاً قد جمع القرآن (١) .

وما فعله زياد في العراقيين من هدم الدور ، والصلب على الجذوع وسمل الاعين ، وقطع الايدي والارجل من خلاف ، وقتل الابرياء حتى اصبح ذات يوم في البصرة وعلى باب قصره سبعمائة رأس (٢) .

مضافاً الى افعال المغيرة بن شعبة في الكوفة ، وعمر بن العاص في مصر ومروان بن الحكم في المدينة ، وعمر بن سعيد الاشدق في مكة .

نعم كل ما فعله هؤلاء طاعة لله ، وخضوع لحكمه - على رأي الاستاذ الصعيدي - لانهم امثلوا امر معاوية وامره من امر الله ، وحكمه من حكمه .

ب - يقول : ان معاوية تحرى الصواب ، وافرغ وسعه في استنباط الحكم - كما فعل فضيلته تماماً - وانه مأجور اصاب ام اخطأ ، مع ان معاوية نفسه يعترف بأنه حكم بالهوى ، وخالف في حكمه رسول الله ﷺ ، فقد روى ان نصر بن حجاج بن علاط خاصم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عند معاوية في عبد الله مولى خالد بن الوليد ، فأمر معاوية حاجبه ان يؤخر امرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف (٣) خز اخضر ،

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٧ ص ٩٠ حوادث سنة ٥٠ .

(٢) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٧٦ .

(٣) المطرف « بضم الميم وسكون الطاء المهملة بعدها فاء » : رداء من خز مريع ذو اعلام .

وامر بحجر فاذني منه . والتقى عليه طرف المطرف . ثم اذن لهما وقد احتفل المجلس . فقال نصر بن حجاج اخي وابن ابي . عهد الى انه منه ، وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد ابي وامته ، ولد على فراشه ، فقال معاوية يا حرسى خذ هذا الحجر - وكشف عنه - فادفعه إلى نصر بن حجاج وقال : يا نصر هذا مالك في حكم رسول الله ﷺ فانه قال : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فقال نصر : افلا اجريت هذا الحكم في زياد يا امير المؤمنين ؟ فقال : ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله ﷺ .

روى ذلك جماعة من المؤرخين منهم الطبري : ج ١٠ - ٤٨٠ في حوادث سنة ١٦٠ ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » : ٦ - ١٣٣ ، وقد نقل القصة فضيلته ايضاً ضمن كتاب المهدي العباسي في ابطال نسب زياد^(١) وقد اعترف قبل ذلك بأن زياداً ابن عبيد في عنوان كتاب كتبه اليه^(٢) .

ج -- يرى فضيلته : ان اجتهاد معاوية في هذه المسألة ارجح من اجتهاد غيره وليس في هذه القضية اجتهاد حتى يرجح فيها رأي على رأي ، وانما هو تمسك بالنص ووقوف عند حكم الشريعة من جهة ، وحكم بالهوى لأجل دعم ملك ، ومقتضى المصلحة الخاصة من جهة اخرى .

د - يرى ان معاوية اكبر من ان يقصد رد الشريعة في سرّاً وعلانية ، وانه من الظلم ان يطعن في حكمه ، وان بني هاشم طعنوا في هذا الحكم ، لانه يقضي على آمالهم ، وتابعهم على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، فيبدو من هذا ان بني هاشم ومن تابعهم في هذا الامر من الصحابة والتابعين ظلموا ذلك المسكين الذي لا يخالف الشريعة مثقال ذرة ، ولا يخرج عن حكمها قيد شعره .

(١) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٩٢ .

(٢) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٦٨ .

والباك نماذج من هذه المظالم المنصبة على ذلك الرجل المظلوم !

١ - قال الحسن بن علي عليه السلام في مراسلة جرت بينه وبين زياد في شأن سعيد بن سرح : سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) (١) .

٢ - وقال عليه السلام لزياد بمحضر معاوية : وما انت يا زياد وقريشاً ؟ لا اعرف لك فيها اديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ... ولدت لم تعرف لك العرب والدأ فادعالك هذا - اي معاوية - بعد مات ابيه ، مالك افتخار تكفيك سمية ويكفيننا رسول الله ﷺ (٢) .

٣ - وقال الحسين عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية : او لست المدعي زياداً في الاسلام ، فزعمت انه ابن ابي سفيان ، وقضى رسول الله ﷺ : (ان الولد للفراش وللعاهر الحجر) ، ثم سلطته على اهل الاسلام ، يقتلهم ، ويقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل (٣) .

٤ - وكانت عائشة (رض) ممن لم يرض هذا الحكم ، وقد اراد زياد ان يأخذها بدهائه ليحصل منها على اقرار بهذا الحكم فكتب اليها من زياد بن ابي سفيان وهو يريد ان تكتب له إلى زياد بن ابي سفيان فيحتج بذلك لدى من ينكره ففطنت عائشة لهذا وكتبت اليه من عائشة ام المؤمنين إلى ابنها زياد فلما قرأه ضحك وقال : لقد لقيت ام المؤمنين من هذا العنوان نصباً (٤) .

٥ - لما شهد الشهود بحضرة معاوية : ان زياداً ينتسب إلى ابي سفيان قام

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٤ ص ٦٨

(٢) المحاسن والمساوي للبيهقي .

(٣) الأمانة والسياسة : ١ / ١٣٠ .

(٤) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٨٨ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد : م ٤ / ٧٦ .

يونس بن عبيد الثقفي (١) فقال : يا معاوية قضى رسول الله ﷺ (ان الولد للفراش وللعاهر الحجر) وقضيت انت ان الولد للعاهر . وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرفاً عن سنة رسول الله ﷺ بشهادة ابي مريم على زنا ابي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أولاً طيرن بك طيرة بطيء وقوعها (٢) .

٦ - عبد الله بن عامر قال : لقد هممت اتي بقسامة من قريش يحلفون بالله ان ابا سفيان لم يرسمية (٣) .

٧ - كان ابو بكرة اخو زياد لأمه . قد حلف ان لا يكلم زياد لما نكل عن الشهادة على المغيرة بن شعبة ايام عمر فدخل على زياد في البصرة فرأى بين يديه طفلاً له يلاعبه فقال : كيف انت يا غلام ؟ ان اباك ركب في الاسلام عظيماً زني امه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت ان سمية رأت ابا سفيان قط (٤) .

٨ - وقال الحسن البصري : اربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة ، انتزأه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطناير وادعأه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وقتله حجراً ، ويلاً له من حجر واصحاب حجر قالها مرتين (٥) .

(١) يونس بن عبيد بن انس بن علاج الثقفي من الصحابة وهو اخو صفية مولاة سبية ام زياد .

(٢) مروج الذهب : م / ١٦ ، والاصابة : ٣ / ٦٣٢ .

(٣) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٨٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ٤ / ٧٦٠ .

(٥) الكامل لابن الاثير : ٤ / ٢٠٩ ، محاضرات الراغب : ٢ / ٢١٤ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣١ ، من احكام الشيخ عبد المتعال الصعيدي في قضاياه الكبرى ص ٢٠٢ ، واني =

٩ - وقال سعيد بن المسيب : اول قضية رد من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (يعني معاوية) في زياد .

١٠ - وقال ابن بعجة اول داء دخل على العرب قتل الحسين وادعاء زياد

١١ - وقال الجاحظ : استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى المسلمين من المهاجرين والانصار في العام الذي سموه عام الجماعة ، وما كان عام الجماعة بل عام فرقة ، وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل مارتبنا حتى رد قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجماع الامة على ان سمية لم تكن لابي سفيان فراشاً ، وانه كان بها عاهراً فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار .
ا هـ . (افحكم الجاهلية ييغون ومن احسن من الله حكماً لقوم ...) .

هـ - ثم انظر التهافت في قوله : ان الحق حق في كل مكان وزمان ...
واذا كانت المدة قد طال على هذا الاستلحاق فان سقوط الحق بتلك المدة

= ارى ان معاوية اخذ في قتل حجر واصحابه بظاهر قوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة المائدة .
(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً : ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ...) .
لان الظاهر ان (او) في الآية للتخيير وقد ذهب إلى هذا بعض السلف ، والاكثر انهم لانها للتفصيل ، وان جزاء اولئك المحاربين ان يقتلوا او يصلبوا اذا قتلوا واخذوا المال وان تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اذا اخذوا المال ولم يقتلوا وان ينفوا من الارض اذا لم يقتلوا او يأخذوا المال .

وقد اخذ معاوية باقصى عقوبة اولئك المحاربين ، لانه رأى نفسه امام فتنة اذ لم يأخذ فيها بذلك استطار شرها ، واعادت الحرب بين المسلمين فيذهب فيها من الدماء ما هو اعظم من حجر واصحاب حجر ... الخ .

واترك الحكم على هذا الحكم للمطالع الكريم وليلاحظ ان الصعدي قال في اول هذا البحث :
وسأقوم بدرس هذه القضية غير متأثر بشيء غير ما يقضي به حكم الشرع ...

لم تتفق عليه الشرائع اما ما يترتب عليه من الارث فيمكن ان يسقط بطول المدة ! .

وهكذا جعل الشتاء والصيف في سطح واحد !^(١) .

و - ثم لاحظ وصفه معاوية بأنه يتحرى الحق ! ويحكم لا عن هوى !
وانه لم يخالف الكتاب والسنة .

متى يا حضرة الاستاذ كان معاوية بهذه الصفات .

يوم بغى على امير المؤمنين وسفك دماء المسلمين ؟

ام يوم قتل الافاضل من الصحابة كحجر بن عدي واصحابه ، وسعد بن
ابي وقاص وامثاله^(٢) ام يوم سم الحسن المجتبي^(٣) وسب الامام المرتضي .
ام يوم استحل الربا^(٤) وصلى الجمعة في يوم الاربعاء^(٥) .

ام يوم عطل حدود الله^(٦) وشرب ما حرم الله^(٧) ... الخ .

واعود فأقول للاستاذ الصعيدي : لقد احسن قومك حين سدوا باب
الاجتهاد حتى لا يجوز في « ميدانه » من يدعي انه من اربابه مع انه لم يتحلل
من التعصب المقيت ، والتقليد الاعمى .

(١) قالوا : أن إحدى النساء مرت ذات ليلة على ولدها فرأته نائماً مع زوجته فحذبتها
بعضف وقالت : ابتمدي عجه فان الحر شديد ثم مرت في نفس الوقت على ابنتها وهي نائمة
مع زوجها فقالت لها : التصقي بزوجك فان البرد شديد فسمها زوجها فقال : يا هذه
شتاء وصيف في سطح واحد .

(٢ و ٣) انظر مقاتل الطالبين في احوال الحسن بن علي عليهما السلام .

(٤) انظر موطأ مالك : ٢ / ٥٩ وسنن البيهقي : ٥ / ٢٨٠ وسنن النسائي : ٧ / ٢٧٩ .

(٥) انظر مروج الذهب ٣ / ٤١ .

(٦) انظر الاحكام السلطانية للماوردي : ص ٢١ .

(٧) راجع مسند الامام احمد بن حنبل : ٥ / ٣٤٥ .

٤٥ - ومن كتابه عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الانصاري وهو عامله على
البصرة وقد بلغه انه دعي إلى وليمة قوم من اهلها
فمضى اليها . .

أَمَّا بَعْدُ يَا أَبْنَ حَنِيفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ

(١) عثمان بن حنيف - بضم الحاء - الانصاري الاوسي من مشاهير الصحابة شهد احدى
والمشاهد بعدها ، ومن كبار اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ، يكنى : ابا عمرو ، عمل لعمر
ثم لعلي عليه السلام ، قال ابن عبد البر : ذكر العلماء بالاثار والخبر : ان عمر بن الخطاب استشار
الصحابة في رجل يوجهه إلى العراق ، فاجمعوا على عثمان بن حنيف وقالوا : ان تبعته على اهم
من ذلك بصراً وعقلاً ومعرفة وتجربة فهو أهل ، فاسرع عمر فولاه مساحة ارض العراق ،
فضرب عثمان على كل جريب من الارض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً فبلغت جباية
سواد الكوفة مائة ألف ألف ونيفاً ، ونال عثمان في نزول عسكر طلحة والزبير البصرة ما زاد
في فضله ... الخ (الاستيعاب : ٣ - ٩٠) .

لمح ابن عبد البر إلى ما ناله ولم يصرح به وقد اشرت إلى واقعة يوم الجمل الاصغر في الجزء
الأول من هذا الكتاب ص ٣٣٦ وكيف غدروا به بعد المواقعة ، ومن جملة ما فاعوا به - كما ذكر
ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦ - أنهم نشفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وجسوه ، ولما
قتل حكيم بن جبلة - كما اشرنا إلى ذلك - ارادوا قتل عثمان بن حنيف ثم خافوا غضب الانصار
فخلعوا سبيله فقصده علياً عليه السلام فانتبه اليه بذئ قار وقيل بالريلة والاول اقرب فقال له :
يا امير المؤمنين بعثني ذا حية وقد جئتكم امرداً فقال عليه السلام : اصبت اجرأ وخيراً .
وعثمان من الاثني عشر الذين انكروا على ابي بكر وطالبوا بالخلافة لعلي عليه السلام ، وهم :
خالد بن سعيد بن العاص ، وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود ،
وعمار بن ياسر ، وبريدة الاسلمي ، وابو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وابي بن
كعب ، وابو ايوب الانصاري وسهل وعثمان ابنا حنيف وقد ذكر احتجاجهم ابو أحمد
الطبرسي في « الاحتجاج » : ١ - ٩٧ .

وكان عثمان من شرطة الخميس وهم جماعة قال لهم امير المؤمنين عليه السلام تشرطوا فانما
اشارتكم على الجنة ، ولست اشارتكم على ذهب وفضة ، ان انبياء من الانبياء فيما مضى قال لاصحابه
تشرطوا فاني لست اشارتكم الا على الجنة ذكر ذلك ابن النديم في « الفهرست » ص ٢٤٩ .
وسكن عثمان بن حنيف الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ومات بها في زمان معاوية .

أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادْبَةٍ فَاسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ
لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجَفَانُ ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ
تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلِهِمْ مَجْفُواً . وَغَنِيَهُمْ مَدْعُو .
فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ ٣ ، فَمَا أَشْتَبَهُ
عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ ٤ ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وَجْهِهِ ٥
فَنَلَّ مِنْهُ .

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيُّهُ بِنُورِ
عِلْمِهِ ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ ٦ ،
وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ
وَلَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاحْتِهَادٍ ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ ، فَوَاللَّهِ

-
- (١) فتية جمع فتى : وهو الشاب ، ويقال للسخي : فتى ، والمأدبة (بضم الدال وفتحها)
الطعام يدعى إليها القوم ، وتستطاب : يطلب لك طيبها ، والألوان أصناف الطعام ، والجفان
(بكسر الجيم) . جمع جفنة وهي القصعة .
- (٢) العائل : الفقير والمحتاج ، ومجفو : مأخوذ من الجفاء وهو الاعراض .
- (٣) القضم : يطلق على معنيين أحدهما على أكل الشيء اليابس ، وثانيهما الأكل باطراف
الاستنان ، وقيل : القضم : الأكل باطراف الأصابع وضده الخضم وهو الأكل بالكف كلها ،
ومن أمثالهم : (يبلغ الخضم بالقضم) أي : إن الشبهة قد تدرك بالآكل باطراف الأصابع ، وهم
يريدون : إن الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق .
- (٤) الفظه : أي أطرحه .
- (٥) بطيب وجوهه : بالحل في طرق كسبه ، أمره أن يحتجب ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه .
- (٦) الطمر « بكسر الطاء » الثوب الخلق البالي ، وأما جعلهما اثنين لأنهما أزار ورداء لا
بد منهما ، والطمر (بضم الطاء) : الطعام .

ما كنزت من دنياكم تبراً : ولا أدخرت من غنائمها
 وفراً ١ ، وَلَا أَعَدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طمراً ٢ . وَلَا حُزْتُ
 مِنْ أَرْضِهَا شبراً ، بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكَ مِنْ
 كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ
 وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِينَ . وَنِعْمَ الْحَكَمُ
 اللَّهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَاكَ وَغَيْرِ فَدَاكَ وَالنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ
 جَدَثٌ ٣ تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ،
 وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا
 الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ ، وَسَدَّ فَرْجَهَا التُّرَابُ الْمُتْرَاكِمْ ،
 وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى ٦ لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ

(١) حيث انهم لا يستطيعون على ترويض انفسهم كرياضته لنفسه عليه السلام طلب منهم ان يقصروا في معونته بالكف عن المحارم والاجتهاد في الطاعة .

(٢) التبر « بكسر فسكون » فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغ ، والوفر المال .

(٣) اي : ما اعد ثوباً بالياً سلباً لبالي ثوبيه فضلاً عن ان يعد ثوباً قشيباً كما يفعله للنفس في اعداد ثوب جديد لياجسه عوض الاطمار التي ينزعونها . والثوب هنا عبارة عن الطمرين فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسى البدن لا بأحدهما .

(٤) الجدث (بالتحريك) : القبر .

(٥) اضغطها الحجر : جعلها ضاغطة اي زاحمة ، والمظان جمع مظنة وهي موضع الشيء .

ومألفه الذي يكون فيه .

(٦) اروضها : اذلها .

الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ ، وَتَثَبَّتْ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزْلَقِ ١ . وَلَوْ
 شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ ٢ ، إِلَى مُصْفًى لِهَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ
 هَذَا الْقَمَحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ
 يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشْعِي ٣ إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ .
 وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ ٤ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ
 وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشُّبْعِ ، أَوْ أَبِي تَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بَطُونٌ
 غَرْتُ وَأَكْبَادُ حَرَّى ؟ أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :
 وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ ٥ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَحْنُ إِلَى الْقَدِّ
 أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِ كَهُمْ
 فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونُ أُسُوءَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةٍ

-
- (١) المزلق : الموضع الذي يخشى فيه الزلّة وكذلك المزلقة ، والمراد بذلك الصراط .
 (٢) كان عليه السلام تجبى اليه الثمرات من كل مكان فلو شاء لاهتدى الطريق إلى التمتع
 بالطيبات من الأطعمة والملابس ولكن هيّات أن يغلبه هواه ، أو يؤثر على دينه شيئاً
 من دنياه .
 (٣) الجشع : شدة الحرص .
 (٤) اليمامة : منازل طسم وجديس وهي معدودة من نجد فتحتها خالد بن الوليد سنة ١٢ ،
 والمبيطان : عظيم البطن من كثرة الأكل ، وغرثى : جائعة .
 (٥) البطنة : الكظة ، وهي الامتلاء من الطعام امتلاءً شديداً ، والقد : سير من جلد غير
 مدبوغ ، والمعنى أنها تطلب القوت ولا تجده . والبيت من أبيات لحاتم الطائي .

الْعَيْشِ ١ . فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ
الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَافُهَا ، أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا ٢ ،
تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ أَتْرَكَ سُدَى
أَوْ أَهْمَلَ عَابِثًا ، أَوْ أَجَرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسَفَ
طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ ٣ . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هَذَا
قُوْتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ
الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ . أَلَا وَلِئِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِيَّةَ
أَصْلَبُ عُدُوًّا ، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرْقُ جُلُودًا ٤ ،
وَالنَّبَاتَاتِ الْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وَقُدَاهُ وَأَبْطَأُ خُمُودًا ، وَأَنَا
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصَّنَوِ مِنَ الصَّنَوِ وَالذَّرَاعِ مِنَ الْعَصْدِ ٥ .
وَاللَّهُ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا وَلَّيْتُ عَنْهَا ،

(١) الجشوبة : الجشونة .

(٢) التقسم : اكل الشاة ما بين يديها بمقمتها اي بشفتها ، وسيت الكناسة قمامة لأن الانعام
المهملة تثقممها ، وتكثرش تملأ كرشها .

(٣) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاهة : موضع الحيرة .

(٤) الروائع الخضرة : الاشجار والاحشاب الفضة .

(٥) الوقود : اشتعال النار .

(٦) الصنو أحد الصنوين ، وهما النخلتان يجمعها اصل واحد ، وتروى : (كالضوء
من الضوء) كما في رواية القتال في « روضة الواعظين » والشهرستاني في « الملل والنحل » :
ج ١ : ص ١٨٩ . والمراد من هذا التشبيه والذي بعده بيان شدة الامتزاج والقرب بينهما
صلوات الله وسلامه عليهما .

وَلَوْ أَمْكَنْتِ الْفُرْصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعَتْ إِلَيْهَا ، وَسَاجَهْدُ
فِي أَنْ أَطَهَّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَالْجِسْمِ
الْمَرْكُوسِ ١ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدْرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ ٢ .

(ومن هذا الكتاب وهو آخره)

إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِيكَ ٣ ، قَدْ أَنْسَلْتُ
مِنْ مَخَالِبِكَ ، وَأَفْلَتُ مِنْ حَبَائِلِكَ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ
فِي مَدَاحِصِكَ . أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِيكَ ٤
أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنَتْهُمْ بِزَخَارِفِكَ . هَا هُمْ رَهَائِنُ
الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللَّحُودِ . وَاللَّهُ لَوْ كُنْتُ شَخْصاً مَرْتِياً
وَقَالَباً حَسِياً لَأَقَمْتُ عَلَيْكَ حُدُودَ اللَّهِ فِي عِبَادِ غَرَرْتِهِمْ
بِالْأَمَانِي وَأُمَمٍ أَلْقَيْتَهُمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمَتْهُمْ
إِلَى التَّلَافِ وَأَوْرَدْتَهُمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وَرْدَ وَلَا صَدْرَهُ .

(١) المراد بالشخص المعكوس معاوية وسماه شخصاً معكوساً وجسماً مركوساً والمراد
انعكاس عقيدته ، وارتكاسه في الضلال .

(٢) المدرة (بالتحريك) قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : حب النبات المحصول
كالقمح ونحوه .

(٣) الغارب : الكاهن ، وانسل من مخالبها : لم يعلق به شيء من شهواتها ، والحبايل جمع
حبالة : وهي شبكة الصيد ، وأفلت خلص ، والمداحض : المساقط .

(٤) المداعب جمع مدعبة ، من الدعابة : وهي المزاح .

(٥) الورد (بالكسر) ورود الماء ، والصدر (بالتحريك) الرجوع عنه بعد الشرب

هَيْهَاتَ مَنْ وَطِيءَ دَحْضَكَ زَلِقَ ١ ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكَ
 غَرِقَ ، وَمَنْ أَزُورَ عَنْ حَبَائِلِكَ وَفَّقَ ٢ . وَالسَّالِمُ مِنْكَ
 لَا يَبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ وَالْدُنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ
 أَنْسِلَاخُهُ ٣ . أَغْزَبِي عَنِّي ٤ . فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّي
 وَلَا أَسْلَسُ لَكَ فَتَقْوَدِينِي . وَأَيُّمُ اللَّهِ يَمِينًا أَسْتَشْنِي
 فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ لِأَرْوِضَ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى
 الْقُرْصِ ٥ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ
 مَادُومًا ، وَلَا دَعَنَ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينَهَا ٦
 مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِيُ السَّائِمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرُكَ ،
 وَتَشْبَعُ الرِّبِيضَةَ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ ٧ وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ

(١) الدحض : المكان الزلق الذي لا تثبت فيه الاقدام .

(٢) ازور : مال وتنكب .

(٣) المنطخ : مبرك الابل ، وحان : حضر ، وانسلاخه : زواله .

(٤) عزب الرجل (بالفتح) : بعد ، ولا اسلس لك (بفتح اللام) : اي لا انقاد لك

(٥) تهش : تنبسط اه وتفرح به لشدة حرمانها ، ومطعوماً حال من القرص كما ان

مادوماً حال من الملح ، والادام : ما يؤكل مع الخبز من لحم وغيره .

(٦) المقلة : العين ، ونضب : غار ، والمعين الماء الجاري ، اي لأبكين حتى لا يبقى

في عيني دمع .

(٧) الربيضة : الغنم او البقر اذا كانت في مرايضها . والربوض للغنم . والبقر كالبروك

للابل .

زَادَهُ فَيَهْجَعُ ١؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ ٢ إِذَا أَقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ
الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ ٣ وَالسَّائِمَةِ الْمَرَعِيَّةِ .

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا ، وَعَرَكَتْ
بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا . وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمَضَهَا حَتَّى
إِذَا غَلَبَ الْكُرَى عَلَيْهَا أَفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا
فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عْيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ
مُضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ . وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ ٦ ،
وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ « أُولَئِكَ حِزْبُ
اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ وَلِتَكْفِكَ أَقْرَأُصُكَ لِيَكُونَ
مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ .

اما مصادر هذا الكتاب فقد روى بعضه الصدوق في (الامالي) : في

-
- (١) يهجع من الهجوع وهو التكون ليلا .
(٢) دعاء على نفسه بهرود العين اي جمودها من فقد الحياة .
(٣) الهاملة : الانعام التي ترسل للرعي نهاراً يلا راع .
(٤) البؤس : الضراي صبرت على بؤسها والمشقة التي تنالها ، يقال : عرك فلان بجنبه
الاذى اي اغض عنه ، وصبر عليه .
(٥) الغمض « بالضم » : النوم وكذلك الكرى .
(٦) الهيمه : الكلام الخفي ، وتقشع الغمام : انجلى .

المجلس التسعين من قوله : « ولو شئت ... » الخ وفي شرح ابن ابي الحديد فقرات من هذا الكتاب لم يذكرها الرضي رحمه الله او ذكرها ولكن باختلاف مع روايته في بعض الالفاظ ، فتراه يقول بعد شرح قوله عليه السلام : (الاوان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه) : وروى : قد اكتفى من الدنيا بطمريه ، وسد فورة جوعه بقرصيه ^(١) لا يطعم الفلذة في حوله الا في يوم اضحيته) .

ويقول في شرح قوله عليه السلام : (ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ... الخ) : قد روى (لو شئت لاهتديت الى هذا المصفى ، ولباب هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضج وقوداً ويستحكم معقوداً) .

ويقول عند شرح قوله عليه السلام : (ولعل بالحجاز او باليمامة ...) الخ ولعل بالمدينة يتيماً ترباً ، يتضور سغباً ^(٢) ، ابيت مبطانا وحوالي بطون غرثى ، اذن يحضرني يوم القيامة وهم من ذكر وانثى) .

ويقول : في قوله عليه السلام : (ولتكفف اقراصك) ^(٣) وقد رواها قوم بالنصب قالوا : (فاتق الله يا بن حنيف وتكفف اقراصك لترجو بها من النار خلاصك) .

وفي هذا دلالة واضحة على انه عثر على الكتاب في مصدر غير « نهج البلاغة » واخذ ذلك الاختلاف عن غير رواية الشريف الرضي وتأمل جيداً في قوله : وقد رواها قوم .

(١) وفي رواية ابن شهر اشوب زيادة هذه الفقرة « قد آثر اليتيمة على سبطيه » .

(٢) رجل ترب « بكسر الراء » . اي فقير لا مال له يقال : ترب فلان اذا افتقر فكأنه لصق بالتراب لشدة فقره ، وارتب اذا استغنى والسنب : الجوع .

(٣) لا يخفى ان رواية فلتكفف في نسخة ابن ابي الحديد وفي غيرها فلتكفك .

واضف إلى ذلك ان بعض هذا الكتاب مروي بعد الرضي في كل من
« الخرائج والجرائح » للقطب الراوندي ^(١) ، و« روضة الواعظين » لابن
الفتال النيسابوري : ص ١٢٧ ، « المناقب » لابن شهر آشوب : ج ٢ ص ١٠١
كما نقل الزمخشري قطعة من هذا الكتاب في « ربيع الابرار » : ص ٢١٦
مخطوطة مكتبة الامام كاشف الغطاء . بمغايرة لرواية الرضي في بعض
الكلمات والعبارات كما تختلف رواية كل واحد من هؤلاء عن رواية
اصحابه وفي كل ذلك آيات على اشتهار هذا الكتاب عن امير المؤمنين عليه
السلام وان الرضي لم يتفرد بروايته .

٤٦ - ومن كتابه عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ ،
وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لِهَآءِ الشَّغْرِ الْمَخُوفِ ٢ .
فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَأَخْلِطِ الشَّدَّةَ بِضِفَتْ
مِنَ اللَّيْنِ ٣ ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقُ ، وَاعْتَزِمْ

(١) انظر بحار الانوار : ج ٤٠ ص ٣١٨ .

(٢) استظهر به : اجمله كالظهر والمراد : استعين به ، واقمع : اكسر ، والنخوة
« بفتح النون » : الكبرياء ، والاثيم : المخطيء المذنب ، والشجر : مظنة طروق الاعداء في
حدود الممالك ، واللهاة : قطعة لحم مدلاة على باب الفم ، قرننها بالشجر تشبيهاً له بفم الانسان ،
وهي احسن الاستعارات .

(٣) الضنث : قبضة حشيش مختلط يابسها بشيء من الرطب .

بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ وَأَخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ
جَنَاحَكَ وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَآسِ
بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ ١ ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ ،
حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيَّاسَ الضُّعَفَاءُ
مِنْ عَدْلِكَ ؛ وَالسَّلَامُ .

العامل المكتوب اليه هذا الكتاب هو مالك بن الحارث الاشتر رحمه الله ،
وكان علي عليه السلام حين انصرف من صفين رده إلى عمله بالجزيرة ، فلما
انقضى امر الحكومة واضطربت مصر على محمد بن ابي بكر رضي الله عنه
كتب اليه علي عليه السلام هذا الكتاب فاقبل مالك إلى علي عليه السلام حتى
دخل عليه فحدثه حديث اهل مصر ، وخبره خبر اهلها ، وقال : ليس لها
غيرك اخرج رحمتك الله فخرج الاشتر ، وتوجه اليها ، وكتب معه امير
المؤمنين عليه السلام إلى اهل مصر الكتاب الذي مر تحت رقم : (٣٨) ،
وعهد اليه بالعهد الذي سيأتي تحت رقم : (٥٣) فكان من امر مالك ما
هو مشهور (٢) .

وقد روى هذا الكتاب ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات »
على ما حكاه ابن ابي الحديد (٣) ، والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من

(١) اي شارك بينهم وتروى : « وسأوي بينهم » والمعنى واحد ، واخذ هذا بعضهم فقال :

اقسم اللحظ بينهم ان في اللحظ لعنوان ما تجن الصدور

انما البر روضة فاذا ما كان بشر فروضة وغدير

(٢) انظر ص ٣٩١ من هذا الجزء .

(٣) شرح نهج البلاغة : ٢٩ / ٢٢ .

« انساب الاشراف » : ص ٣٦٨ ط. الاعلمي . . ومحمد بن جرير الطبري في « التاريخ » : ج ٦ - ٣٣٩٢ ط : ليدن في حوادث سنة (٣٨) و اشار اليه ابن الاثير في « الكامل » ج ٣ ص ١٧٧ في حوادث السنة المذكورة .
ويظهر من رواية الطبري ان فقرات من هذا الكتاب كلم امير المؤمنين عليه السلام مالكا بها عندما قدم عليه ، وسواء كانت تلك الفقرات في الكتاب ام الخطاب فانها من الكلام المروي عن امير المؤمنين عليه السلام قبل الشريف الرضي نور الله ضريحه .

٤٧ - ومن وصيته له عليه السلام

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَنْ لَا تَبْغِيَ الدُّنْيَا وَإِنْ
بَغْتُمْهَا ١ وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُويَ عَنْكُمَا ٢ ، وَقُولَا
لِلْحَقِّ ، وَأَعْمَلَا لِلْأَجْرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا
وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا .

أَوْصِيَكُمْ ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي ،
بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ؛
فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ،

(١) لا تبغيا الدنيا . اي لا تطلبيا الدنيا وان طلبتكما .

(٢) زوي ولا تأسفا . وهي بمعنى لا تأسفا ، وزوي . قبض ونهى عنكما .

يَقُولُ : « صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ
وَالصِّيَامِ » اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ ؛ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ ١ ،
وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ ،
فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ
سَيُورِثُهُمْ ٢ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ؛ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ
غَيْرُكُمْ ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ ؛ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ ،
وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ؛ لَا تُخْلَوْهُ مَا بَقِيْتُمْ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ
تُرِكَ لَمْ تُنَاطِرُوا ٣ وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ
وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَّاصِلِ وَالتَّبَادُلِ ٤ ،
وَأَيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ ، لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُولَى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ
فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثُمَّ قَالَ :

(١) اغب القوم جاءهم يوماً وترك يوماً . اي لا نجيموهم بان نطمعوهم فبأ .

(٢) اي يجعل لهم حقاً في الميراث .

(٣) شدد الوصاة بالحق ويريد إنكم ان اهتمتموه لم تمهلوا .

(٤) التبادل : مداولة البذل : اي العطاء .

يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَلْفَيْنَكُمْ ۖ تَخُوضُونَ دِمَاءَ
الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا تَقُولُونَ : قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ ، أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي .
أَنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً
بِضَرْبَةٍ ، وَلَا يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَالْمِثْلَةَ ،
وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ » .

رويت هذه الوصية باسناد وارسال وممن سبق الرضي بروايتها :
١ - ابو مخنف لوط بن يحيى قال : حدثني عطية بن الحارث عن
عمر بن تميم وعمرو بن ابي بكار : ان علياً لما ضرب جمع له اطباء الكوفة
فلم يكن احد اعلم بجرحه من اثير بن عمرو بن هانيء السكوني ، وكان
متطبياً ، صاحب كرسي يعالج الجراحات ، وكان من الاربعين غلاماً الذين
كان خالد بن الوليد اصابهم في عين التمر فسابهم ، وان اثيراً لما نظر إلى
جرح امير المؤمنين عليه السلام دعا برثة شاة حارة واستخرج عرقاً منها ،
فأدخله في الجرح ثم استخرجه فاذا عليه بياض الدماغ فقال له يا امير
المؤمنين : اعهد عهدك فان عدو الله قد وصلت ضربته ام رأسك فدعا علي
عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته ... وذكر الوصية وفيها زيادة على
ما ذكره الرضي (٢) .

(١) لا ألفينكم نفي في معنى النهي ، ومعناه لا اجدنكم وليس معنى قوله : « ضربة
بضربة » ان دم ابن ملجم لعنه الله يقابل دمه الزكي ولكن مراده النهي عن أخذ غيره بالظن والتهمة
كما نهاهم عن المثلة كما اوضح ذلك فيما بعده .
(٢) مقاتل الطالبين : ص ٣٨ .

٢ - ابو حاتم السجستاني في كتابه «المعمرون والوصايا» ص ١٤٩ بسنده عن عبد الرحمن بن جندب عن ابيه ، قال : دخلت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه اسأل عنه لما ضربه ابن ملجم قمت قائماً ولم اجلس لمكان ابنته وهي مستتره فدعا علي الحسن والحسين رضوان الله عليهم فقال اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ...

ثم نقل الوصية بروايتين من طريقين (الاول) كما مر و (الثاني) عن ابراهيم بن ايوب الاسدي قال حدثني عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي عن محمد بن علي قال : اوصى علي الحسن بن علي رضي الله عنهما .. الخ . وما رواه ابو حاتم فيه ما في « النهج » بزيادة وتفاوت يسير .

٣ - ابو جعفر الطبري في « التاريخ » : ج ٦ - ص ٨٥ في حوادث سنة ٤٠ . وذكر وصيته لمحمد بن الحنفية بما اوصى به الحسنين عليهما السلام .

٤ - ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي في « الامالي » ص ١١٢ ذكر اول هذه الوصية وذكر وصيته لمحمد بن الحنفية بما اوصى به اخويه عليهما السلام .

٥ - ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في « الكافي » ج ٧ ص ٥١ رواها بصورة فيها جميع ما نقله الرضي .

٦ - ابو الحسن المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ - ٤٢٥ روى طرفاً منها في خبر مقتله عليه السلام .

٧ - ابن شعبة في « تحف العقول » ص ١٩٧ تحت عنوان وصيته لابن ابنه الحسن عليهما السلام لما حضرته الوفاة ، وقال : كتبنا منها ما اقتضاه الكتاب

٨ - ابو الفرج الاصبهاني في « مقاتل الطالبين » : ص ٣٨ ، قال : حدثني احمد بن عيسى ، قال : حدثني الحسن بن نصر ، قال حدثنا زيد بن

المعدل عن يحيى بن شعيب عن أبي مخنف وذكر ما نقلناه عن أبي مخنف قبل قليل .

٩ - الصدوق في « الفقيه » : ج ٤ ص ١٤١ بصورة ابسطهما في « نهج البلاغة » .

هؤلاء كلهم قبل الرضي ومن رواها بعده ابن كثير في « البداية والنهاية » والخوارزمي في « المناقب » : ص ٢٧٨ والاربلي في « كشف الغمة » : ج ٢ - ٥٨ وأشار إليها كل من ابن الاثير في « الكامل » في حوادث سنة ٤٠ ، ومحب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ١١٦ والفتال في « روضة الواعظين » ص ١٣٦ ، وامثال هؤلاء .

وفي « الدرر النبوية بالاسانيد الحيوية » للقاضي أبي محمد عبد الله بن أبي النجم من علماء الزيدية (مخطوطة : الورقة ١٠) بسنده عن علي انه دعا بنيه وهم احدى عشر رجلا الحسن والحسين ومحمد وعمر ومحمد الاصغر وعباس وعبد الله وجعفر وعثمان وعبيد الله وابو بكر فلما اجتمعوا عنده قال : ليبر صغاركم كباركم وليرأف كباركم بصغاركم إلى آخر ما مر في (باب الخطب) برقم (١٦٤) (١) .

ثم خطبهم بالخطبة التي مرت برقم (١١٨) في باب الخطب التي اولها « لقد علمت تبليغ الرسالات .. الخ » .

ثم أوصى الحسن والحسين عليهما السلام وبقية اولاده بهذه الوصية .
ويبدو من ذلك ان جماعة كانوا حضوراً عنده فوجه اليهم بعض الكلام .
أولاً ، ثم أوصى بنيه بهذه الوصية .

(١) انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٤٠ .

٤٨ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية

وإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يَذِيعَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ ١ ،
وَيُبْدِيَانِ خَلْلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ
مُدْرِكَ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ ٢ . وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ
فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللَّهِ فَكَذَّبَهُمْ ٣ . فَاحْذَرُ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ
مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ ٤ ، وَيَنْدُمُ مَنْ أَمَكَّنَ الشَّيْطَانَ مِنْ
قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَادِبْهُ . وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ
وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا ، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا
الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ . وَالسَّلَامُ .

لما اشتد القتال يوم الحريير تعصب علي عليه السلام بعمامة رسول الله
ﷺ ونادى : ايها الناس من يشرى نفسه لله ان هذا يوم له ما بعده فانتدب
معه ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر ألفاً ، فتقدمهم علي عليه السلام ، وقال
دبوا ديب النمل لا تفوتوا واصبحوا بحربكمس وبيتوا

-
- (١) يذيعان به : يشهرانه ويفضحانه ، وفي نسخة ابن أبي الحديد : يوتغان : أي
يهلكانه ، والوتغ « بالتحريك » : الهلاك .
(٢) ما قضى فواته : هو دم عثمان الذي جعل معاوية منه شبهة في محاربتة لأمير المؤمنين
عليه السلام وهو يعلم انه لا يدركه .
(٣) تأولوا على الله : أي تناولوا على احكامه بالتأويل ، فأكذبهم : اظهر فساد تأويلهم ،
وتروى « تألوا » : أي حلقوا من الآلية وهي اليمين .
(٤) يتغبط : يفرح وتروى « يغبط » : يتمنى مثل حاله .

حتى تنالوا الثأر او تموتوا او لا فاني طالما عصيت (١)
قد قلت لو جئتنا فجيت ليس لكم ما شئتم وشئت
بـل ما يريد المحيي الميت

وحمل عليه السلام وحمل الناس كلهم حملة واحدة ، فلم يبق لاهل
اشام صف الا ازالوه ، فلما رأى معاوية اخذ بمعرفة فرسه ، ووضع رجله
في الركاب ، وتهياً للهرب ، غير ان عمرو بن العاص اشار برفع المصاحف
فرفعت ، فوقع الاختلاف في عسكر اهل العراق ، وكتب إلى امير المؤمنين
عليه السلام :

اما بعد : فان هذا الامر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى انه
على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر ، وقد
قتل في ما بيننا بشر كثير ، وانا اتخوف ان يكون ما بقي اشد مما مضى ، وانا
سوف نسأل عن هذه المواطن ، ولا يحاسب غيري وغيرك ، وقد دعوتك
إلى امر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة ، وصلاح للامة ، وحقن للدماء ،
وللفة للدين ، وذهاب للضغائن والفتن ، ان نحكم بيني وبينك حكمين
مرضيين ، احدهما من اصحابي والآخر من اصحابك ، فيحكمنا بيننا
بما انزل الله ، فهو خير لي ولك ، واقطع هذه الفتن فاتق الله فيما دعيت
اليه ، وارض بحكم القرآن ان كنت من اهله والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان .
اما بعد ، فان افضل ما شغل به المرأ نفسه اتباع ما حسن به فعله ،
واستوجب فضله ، وسلم من عيبه فان البغي والزور يزريان بالمرأ في دينه
ودنياه ... إلى آخر ما نقله الرضي في « نهج البلاغة » .
روى ذلك ابراهيم بن ديزيل في كتاب « صفين » (٢) ونصر بن مزاحم

(١) بضم العين .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ١٢ ص ١٨٨ .

في كتاب « صفين » ص ٤٩٣ وكلاهما متقدم على الشريف الرضي . كما
روى هذا الكتاب احمد بن اعثم الكوفي في (الفتوح) : ج ٣ - ٣٢٢
بأطول مما رواه الرضي .

٤٩ - ومن كتابه عليه السلام

إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِْبْ
صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا وَلَهْجاً
بِهَا ١ ، وَلَنْ يَسْتَعْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ
مِنْهَا . وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ وَلَوْ
أَعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ . وَالسَّلَامُ .

في النسخة التي عليها شرح ابن أبي الحديد ان هذا الكتاب كتبه عليه
السلام إلى معاوية وهو خطأ من النساخ لان ابن أبي الحديد نص على انه إلى
عمرو بن العاص في موضعين من الشرح (الاول) في المجلد الاول : ص
١٨٩ ، و (الثاني) في المجلد الرابع : ص ١١٤ . كما رواه ابن اعثم الكوفي
في « الفتوح » ج ٣ ص ٣٢٣ وذكر ان المکتوب اليه عمرو بن العاص .
ورواه الدينوري في (الاخبار الطوال) ص ١٥٤ .

وقد ذكره نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١١٠ وذكر فيه
زيادة لم يذكرها الشريف الرضي وتفاوت في بعض الالفاظ .

(١) لهجاً : أي ولوعاً ، يقال : لهج بالامر (كفرج) اغري به فتاير عليه ، والمؤنة : الثقل

ونقل ابن ابي الحديد عن نصر أن : « هذا اول كتاب كتبه علي عليه السلام
إلى عمرو بن العاص »^(١) قال نصر : وكتب اليه عمرو بن العاص :

من عمرو بن العاص إلى علي بن ابي طالب .
اما بعد فان الذي فيه صلاحنا ، والفة ذات بيننا ان تنيب إلى الحق ، وان
تجيب إلى ما ندعوكم اليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على ما حكم
عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة والسلام^(٢) .

فكتب اليه علي عليه السلام :
اما بعد ، فان الذي اعجبك من الدنيا مما نازعتك اليه نفسك ووثقت به
منها لمقلب عنك ، ومفارق لك ، فلا تطمئن إلى الدنيا ، فانها غرارة ولو
اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به والسلام^(٣) .

فأجابه عمرو :
اما بعد : فقد انصف من جعل القرآن إماماً ، ودعا الناس إلى احكامه ،
فاصبر — ابا الحسن — فانا غير منيليك الا ما انالك القرآن والسلام^(٤) .
فأجابه امير المؤمنين بالكتاب الذي ذكره الشريف الرضي في « نهج
البلاغة » وقد مر تحت رقم (٣٩) من هذا الباب^(٥) .

(١) شرح النهج للحديدي : م ٤ / ١١٤ ولا توجد هذه العبارة في كتاب « صفين » المطبوع
وقد بينا في غير موضع من الكتاب ان هذا المطبوع مختصره .
(٢) الشرح للحديدي : م ١٨٩ / ٤ م ١١٤ .
(٣) شرح نهج البلاغة : م ١ ص ١٨٩ عن كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم .
(٤) المرجع المذكور .
(٥) انظر ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

٥٠ - ومن كتابه عليه السلام

إلى امرائه على الجيوش

مَنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَاحِ ١
أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ
فَضْلٌ نَالَهُ وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ ٢ ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللَّهُ
مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ وَعَظْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ ، أَلَا وَإِنَّ
لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أَحْتَجِرَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ ،
وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ ٣ . وَلَا أُوَعِّخُ لَكُمْ
حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلَا أَقْفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ ٤ ، وَأَنْ
تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ
لِلَّهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِيَ عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ ، وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا

(١) اصحاب المساح : جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة. والمسلحة في الاصل قوم ذوو سلاح.

(٢) اي يجب على الوالي ان لا يتناول على الرعية بولايته وما خص به عليهم من الطول وهو الفضل .

(٣) اي اني اخبركم بكل شيء الا الحكم فاني لا اعلمكم به قبل وقوعه ، كي لا تفسد القضية ، كأن يحتاج احد الخصمين لصرف الحكم عنه .

(٤) اي ان الحق اذا احتاج حكم حكمت به ولم اقف اتحس من البت فيه .

عَنْ دَعْوَةٍ ١ ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ ، وَأَنْ تَخُوضُوا
الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ . فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا عَلَى ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَجَ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ
لَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَلَا يَجِدُ فِيهَا عِنْدِي رُخْصَةً . فَخُذُوا هَذَا
مِنْ أَمْرَائِكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ
بِهِ أَمْرَكُمْ ٢ .

روى هذا الكتاب قبل الشريف الرضي نصر بن مزاحم في كتاب
« صفين » ص ١٠٧ ، قال : وكتب إلى امراء الجنود بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله علي امير المؤمنين ... إلى آخر الكتاب .

ورواه بعد الرضي الطوسي في « الامالي » : ج ١ - ٢٢١ ، قال :
وكتب عليه السلام إلى امراء الجنود : من عبد الله امير المؤمنين إلى اصحاب
المسالخ ... وذكر الكتاب ، فتأمل .

٥١ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ

(١) يعني لا تتقاصوا عن الجهاد اذا دهيتم اليه .

(٢) لما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان يأخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن سائر امراء
العدل ويمطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ ١ لَمْ
يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْزِرُهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا كُفِّتُمْ يَسِيرٌ
وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ
الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ
مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلْبِهِ . فَانْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ .
وَأَصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خِزَانُ الرِّعِيَّةِ ٢ وَوُكَلَاءُ
الْأُمَّةِ وَسَفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ . وَلَا تَحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ ٣ ،
وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلْبَتِهِ ، وَلَا تَبِيعَنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخُرَاجِ
كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا ، وَلَا
عَبْدًا ، وَلَا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانٍ دَرَاهِمٍ ، وَلَا
تَمَسَنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهِدٍ ، إِلَّا أَنْ
تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعَدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ

-
- (١) ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه عملا يحزرها منها .
(٢) امرهم بانصاف الرعية بالصبر لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم
خزان الرعية ووكلاءهم على بيت مالهم وسفراء الائمة اليهم .
(٣) لا تحسموا : لا تقطعوا وتروى لا تحسموا (بالشين المعجمة) . وهي اما بضم حرف
المضارعة فيكون معناها لا تغضبوا ، او بفتح فيكون لا تحجلوا .
(٤) نهىهم ان يبيعوا لارباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب ابدانهم . او الدواب
اللازمة لاعمالهم في الزرع والحمل ، او كعبه لا بد للانسان منه يتخدمه ثم نهاهم عن ضرب الابشار
لاستحصال الخراج .

لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ
الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ شَوْكَةً عَلَيْهِ . وَلَا تَدَخِرُوا أَنْفُسَكُمْ
نَصِيحَةً ١ ، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَلَا الرِّعِيَّةَ مَعُونَةً ،
وَلَا دِينَ اللَّهِ قُوَّةً . وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا اسْتَوجِبَ
عَلَيْكُمْ ٢ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ
أَنْ نَشْكُرَهُ بِجَهْدِنَا ٣ ، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ،
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ما اختاره الشريف الرضي من هذا الكتاب منقول في موضعين من كتاب
« صفين » لنصر بن مزاحم (الاول) في ص ١٠٨ و (الثاني) في ص ١٣٢ في
كتابين له عليه السلام مع تفاوت في بعض الكلمات ولا ريب ان مستقى
الرضي من غيره فلاحظ .

٥٢ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى أُمَرَاءِ الْبِلَادِ فِي مَعْنَى الصَّلَاةِ

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبَضِ

(١) امرهم بان ينصح بعضهم لبعض ولا يستبقوا من نصحتهم شيئاً الا وبذله .

(٢) ابلوا ، اي صنعوا ذلك في سبيل الله .

(٣) اي ان الله سبحانه طلب منا ان نصنع له الشكر بطاعتنا له ، ورعاية حقوق عبادته ،
وفاء بحق ماله علينا من النعمة .

الْعَزَا ۱ وَصَلُّوا بِهِمْ الْعَصْرَ وَالشَّمْسَ بَيْضَاءَ حَيَّةٍ فِي
عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ ۲ وَصَلُّوا بِهِمْ
الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيُدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنَى ۳ وَصَلُّوا
بِهِمْ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ .
وَصَلُّوا بِهِمْ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ .
وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَانِينَ ۴ .

هذا الكتاب رواه ابو منصور الثعالبي المعاصر للشريف الرضي في الباب
الثالث من (الاعجاز والايجاز) : ص ۳۳ ، وانا انقله لك بنصه ، واجعل
ما يخالف في روايته رواية الشريف بين قوسين حتى تعلم انه لم ينقله عن
(نهج البلاغة) :

« اما بعد ، فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس (مثل مريض البعير)
وصلوا بهم العصر والشمس (ضاحية) في عضو من النهار حين (يشارفها
فيء فرسخين) وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج » .
ثم تتفق بعد ذلك رواية الثعالبي مع رواية الرضي بنقصان (إلى ثلث الليل) .

(١) تفيء : تميل بظلمتها إلى جهة المغرب ، ويفسر كلام امير المؤمنين هذا قول الصادق
عليه السلام المروي في « معاني الاخبار » : كان جدار مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم قبل ان يظلم قدر قامة فاذا كان الفتيء ذراعاً وهو قدر مريض عنز صلى الظهر ا هـ ولا
يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد .

(٢) قدر وقت فضيلة العصر ببقاء الشمس بضاء حية اي صافية اللون لم يدخلها التغير بدنو
المغيب واراد بعضو النهار القطعة منه وقدر ذلك العضو بمقدار يسع السير فيه فرسخين .

(٣) لشهرة هاتين العلامتين عرف وقت فضيلة المغرب بهما .

(٤) اي لا يكونوا سبباً لنفرة المأمومين من الصلاة في جماعة باطالتها .

٥٣ - ومن كتابه عليه السلام

كتبه للاشتر النخعي لما ولّاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْثَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ

(١) الاشتر النخعي هو مالك بن الحرث من اكابر التابعين ، واعاظم اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وحاله اشهر من ان يذكر ، اما سبب تلقيبه بالاشتر : فقد نقل الامير اسامة بن منقذ الكنايني المتوفي سنة (٥٤٤ هـ) في كتابه الموسوم بالاعتبار ص ٣٧ : انه لما ارتدت العرب في ايام ابي بكر (رضي الله عنه) وعزم الله سبحانه على قتالهم جهز العساكر إلى قبائل العرب المرتدين فكان ابو مسيكة الايادي مع بني حنيفة وكانوا اشد العرب شوكة وكان مالك الاشتر في جيش ابي بكر فلما توقفوا برز مالك بين الصفين وصاح : يا ابا مسيكة بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت إلى الكفر ؟ فقال : اياك عني يا مالك انهم يحرمون الخمر ولا صبر لي عليها ، قال : فهل لك في المبارزة ؟ قال : نعم ، فالتقيا بالرماح ، والتقيا بالسيوف ، فضربه ابو مسيكة فشق رأسه وشتر عينه ، وبتلك الضربة سبي الاشتر ، فرجع وهو معتنق رقبة فرسه إلى رحله ، واجتمع له قوم من اهله واصدقائه يبيكون ، فقال لأحدهم : ادخل يدك في فمي فأدخل إصبعه في فمه فعصها مالك فالتوى الرجل من الوجع ، فقال مالك لا بأس على صاحبكم ، يقال : (اذا سلمت الاضراس سلم الرأس) احشوها - يعني الضربة - سويقاً وشدوها بعمامة ، فلما حشوها وشدوها قال : هاتوا فرسي ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى ابي مسيكة ، فبرز بين الصفين وصاح : يا ابا مسيكة ، فخرج اليه مثل السهم ، فضربه مالك بالسيف على كتفه فشققها إلى سرجه ، فقتله ورجع مالك إلى رحله فبقي اربعين يوماً لا يستطيع الحراك ، ثم ابل وعوفي من جرحه ذلك . انتهى .

خَرَّاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ
بِلَادِهَا .

أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ
فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسَعُدُ أَحَدٌ إِلَّا
بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ
يَنْصُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ أَسْمُهُ
قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ
الْجَمَحَاتِ ١ ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ .
ثُمَّ أَعْلَمَ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ
عَلَيْهَا دُولٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلِ وَجورٍ . وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ
مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ
قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ . وَإِنَّمَا
يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللَّهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ

(١) يزعها : يكفها . والجمحات : منازعة النفس الى شهوتها ومآربها

عِبَادِهِ . فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الدَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ
الصَّالِحِ . فَاْمْلِكْ هَوَاكَ ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ
لَكَ ١ ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ
أَوْ كَرِهَتْ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ
وَاللُّطْفَ بِهِمْ . وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ
أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرُ
لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلَلُ ٢ ، وَتَعْرِضُ لَهُمْ
الْعَلَلُ ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا ٣ فَأَعْطِهِمْ
مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ
عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ
فَوْقَكَ ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ . وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ ٤
وَأَبْتَلَاكَ بِهِمْ . وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا

(١) شح بنفسك : اي ايجل بها عن الوقوع في الحرام .

(٢) يفرط : يسبق . والزلل الخطأ .

(٣) يؤتى على ايديهم : مثل قولك يؤخذ على ايديهم : اي تأخذ على ايديهم اوامر الولاة فيهدبون ويشققون .

(٤) استكفاك : طلب منك كفاية امرهم والقيام بتدبير مصالحهم .

(٥) نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله . وكفى بحربه عن الغلظة على عبادِهِ وظلمهم ، ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية ، وقوله عليه السلام : (ولا يدي لك بنقمتي) اي ليس لك يد تدفع نقمتي فانه لا طاقة لك بذلك .

يَدِي لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنِي بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ .
وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةِ ١ ، وَلَا
تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنُودُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي
مُؤْمَرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ ٢ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ
لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ
فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً ٣ فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ
مَلِكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ
مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ٤ ،
وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرِبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ
مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ ٥ وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ،

(١) بجح - كفرح وزناً ومعنى ، والبادرة : ما ييدر من الحدة عند الغضب في قول أو فعل ، والمندوحة : السعة .

(٢) أي لا تقل أني أمير واني أمر بالشيء فاطاع . والادغال : ادخال الفساد في الأمر .
ومنهكة : مضعفة . الإبهة : العظمة . والمخيلة : الكبر .

(٣) أمره عند حدوث الإبهة والعظمة عنده لاجل الرياسة أن يذكر عظمة الله تعالى ، وقدرته
عليه فإن تذكر ذلك يطامن من غلوائه ، ويطأطيء منه .

(٤) الطماح : النشوز والجماح ، ويطامن : يخفص ، والغرب : حد السيف : ويستعار
للسطوة والسرعة في البطش والفتك . ويفيء بما غرب : يرجع بما بعد من عقلك .

(٥) المساماة : المباراة في السمو وهو العلو .

فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفَ اللَّهُ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ١ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَذْخَصَ حُجَّتَهُ ٢ وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ اللَّهُ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلَيْكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ ٣ ، وَإِنْ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْؤَنَةً فِي الرِّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَوْؤَنَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ

(١) أي من تحبه وتميل إليه من رعيته .

(٢) ادخس : ابطل ، وينزع : يقلع عن ظلمه ، وادعى : اعظم سبباً ، والداعية السبب .

(٣) أي ان سخط العامة لكثرة هم لا يقاومه رضا الخاصة لقلتهم بل يجحف به أي يذهب به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامة اما لو سخط الخاصة برضى العامة فذاك امر مغتفر لا اثر له .

لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ١ ، وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ
الْإِعْطَاءِ . وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ
مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ ٢ وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ
وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ٣ وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ،
فَلْيَكُنْ صِفُوكَ لَهُمْ وَمِثْلُكَ مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنُوهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ
لِمَعَائِبِ النَّاسِ ٤ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا أَلْوَالِي أَحَقُّ مِنْ
سِتْرَاهَا . فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ .
فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ
مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ . وَأَقْطَعْ
عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتْرِ . وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ ٦ ،

(١) الإلحاف : الإلحاح في السؤال .

(٢) من أهل الخاصة متعلق بأفضل وما بعده من أفاعل التفصيل .

(٣) جماع الشيء بكسر الجيم : جمعه : أي جماعة الإسلام .

(٤) اشأنهم : ابغضهم .

(٥) ستر : صلة من .

(٦) أي احلل عقد الاحقاد عن قلب الناس بحسن السيرة فيهم ، واقطع اسباب الاوتار -

أي العداوات - بترك الاساءة اليهم ، وتغاب : تغافل .

وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ
تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ .

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنْ
الْفَضْلِ ١ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ،
وَلَا حَرِيصًا يُزِينُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ
وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى ٢ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ . إِنَّ شَرَّ
وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْإِشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي
الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ٣ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ
وَالْإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ ؛ مِمَّنْ
لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَادِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ
وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوَنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا
عَلَى إِثْمِهِ . أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَوْؤَنَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ

-
- (١) الفضل هنا : البذل ، والشرة : اشد الحرص .
(٢) غرائز شئ اي : طبائع متفرقة ولكنها وان كانت مختلفة فان بينها قدراً مشتركاً وهو
سوء الظن بكرم الله وحفظه وفضله ، ولو حسن الظن بالله لأيقن العبد ان الاجل مقدر والرزق
مقسوم ولا يكون الا ما قضى الله سبحانه .
(٣) بطانة الرجل خاصته ، والآثمة جمع آثم كالظلمة جمع ظالم .
(٤) تمييز لمن هو خير الخلف من الاشرار ، وبيان لوجه خيريتهم من الاشرار وهو ان
لهم مثل آرائهم وليس لهم مثل آثامهم .
(٥) والأصاير جمع إصر وهو الذنب والآثم وكذلك الاوزار .

مُعُونَةً ، وَأَخْنِي عَلَيْكَ عَطْفًا ، وَأَقْلُ لِعَيْرِكَ إِفْئَاءً فَاتَّخِذْ
أَوْلِيَّكَ خَاصَّةً لِمَخْلُوعَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ
عِنْدَكَ أَقْوَلُهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ ٢ ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعِدَةً فِيمَا
يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ
حَيْثُ وَقَعَ ٣ ، وَالصَّقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّبْقِ ، ثُمَّ
رُضُّهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ ٤ وَلَا يُبْجَحُّوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ
تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ
الْعِزَّةِ .

وَلَا يَكُونُ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ،
فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ،
وَتَذَرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ . وَالزَّمُّ كُلُّهُ مِنْهُمْ مَا
الزَّمَّ نَفْسَهُ ٥ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنٍ

(١) الالف : المحبة .

(٢) آثرهم عندك : أكرمهم عليك .

(٣) واقعاً حال من « بماكرة الله » .

(٤) الصق بأهل الورع : اجملهم خاصتك وخلصاك .

(٥) فان المنيء الزم نفسه استحقاق الاساءة ، والمحسن ألزم نفسه استحقاق الاحسان .

ظَنَّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ ١ ، وَتَخْفِيفِهِ
الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرَكَ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا
لَيْسَ قَبْلَهُمْ ٢ فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ
بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ
نَصَباً طَوِيلًا ٣ ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسَنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ
بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ
بِلَاؤُكَ عِنْدَهُ ٤ .

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ،
وَأَجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرِّعْيَةُ . وَلَا
تُحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِيِ تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونُ
الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَهَا . وَالْأَوْزُرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .
وَأَكْثَرُ مَدَارِسَةِ الْعُلَمَاءِ وَمُنَافَثَةِ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ

-
- (١) لان الوالي اذا احسن الى رعيته اقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه بهم ، ولا يحتاج مع ذلك الى الكلفة في جمع اهوائهم والاحتراس من شرورهم .
(٢) قبلهم (بكسر ففتح) : اي عندهم .
(٣) النصب (بالتحريك) : التعب .
(٤) البلاء : الصنع مطلقاً حسناً او سيئاً .
(٥) المناقضة : المعاداة .

مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةُ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ
وَأَعْلَمُ أَنَّ الرِّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ،
وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ . فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ . وَمِنْهَا
كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ ١ . وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ . وَمِنْهَا
عُمَالُ الْأَنْصَافِ وَالرُّفُقِ . وَمِنْهَا أَهْلُ الْجَزْيَةِ وَالْخَرَاجِ
مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ . وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ
الصَّنَاعَاتِ . وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ
وَالْمَسْكِنَةِ وَكُلًّا قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ ٢ ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ
فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سَنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا .

فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللَّهِ حُصُونُ الرِّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ الْوَلَاةِ ،
وَعِزُّ الدِّينِ ، وَسَبْلُ الْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقْوَمُ الرِّعِيَّةُ
إِلَّا بِهِمْ . ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُمْ
مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ،

(١) الكتاب : جمع كاتب ، والكتابة . منهم عاملون للعامة كالمحررين في المعتاد من شؤونهم
كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالوالي يفضي اليهم بأسراره ، ويوليهم النظر فيما يكتب إلى
أوليائه وأعدائه وما يقررون من شؤون حربه وسلمه .
(٢) سهمه : نصيبه من الحق .

وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيْمَا يَصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وِرَاءِ
 حَاجَتِهِمْ ١ . ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ
 الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ لِمَا يُحْكَمُونَ مِنْ
 الْمَعَاقِدِ ٢ ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ
 مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا . وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا
 بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيْمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ
 مَرَافِقِهِمْ ٣ ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ
 مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ . ثُمَّ
 أَطْبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ
 رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ ٤ . وَفِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ ، وَلِكُلِّ عَلَى
 الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ
 حَقِيقَةٍ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَالْإِسْتِعَانَةِ
 بِاللَّهِ ، وَتَوَطُّيْنِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ
 فِيْمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي

(١) أي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها .

(٢) المعاقدة : العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاة .

(٣) المرافق : المنافع ، والترفق : التكسب .

(٤) رفدهم : معونتهم وصلتهم .

نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا مَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جِيبًا ١ ،
وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى
الْعُذْرِ ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ وَيَنْبُوا عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ٢ . وَمِمَّنْ
لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ . ثُمَّ الْأَصِقُ بِذَوِي
الْأَحْسَابِ ٣ وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ .
ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ ، فَإِنَّهُمْ
جَمَاعٌ مِنَ الْكُرَمِ ، وَشُعْبٌ مِنَ الْعُرَفِ . ثُمَّ تَفَقَّدُ مِنْ
أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَقَّدُ
فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ ٤ . وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا تَعَاهَدْتَهُمْ
بِهِ وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ
وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ
أَتَكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا

-
- (١) جيب القميص : طوقه ، وانقاهم جيباً كناية عن نزاهته وتمفغه ، والحلم - هنا -
العقل . وقوله يستريح إلى العذر أي يقبل عذره ويستريح إليه .
(٢) ينبو عن الاقوياء : يتجافى عنهم ، ويبعد : أي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على
الضعفاء ، ولا يثيره العنف : أي لا يهيج غضبه وقصوته ، ولا يقعد به الضعف : أي ليس عاجزاً .
(٣) امره ان يلصق بأهل الاحساب : أي يقرب منهم ولا يتمداهم إلى غيرهم وجماع من
الكرم : مجموع منه ، وشعب : جمع شعبة : الطائفة من الشيء والعرف : المعروف .
(٤) امره ان لا يعظم عنده ما يقوهم به وان عظم ، وان لا يستحق شيئاً تعاهدهم به وان قل .
(٥) امره ان لا يمنعه تفقد جسيم امورهم عن تفقد صغيرها .

يَنْتَفِعُونَ بِهِ . وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ ١ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي
مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَّتِهِ بِمَا يَسْعُهُمْ وَيَسَعُ
مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفٍ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً
وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ ٢ يَعْطِفُ
قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ . وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوَلَاةِ اسْتِقَامَةُ
الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ
مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ
إِلَّا بِحَيْطَنِيَّتِهِمْ عَلَى وَلَاةِ أُمُورِهِمْ ٣ . وَقَلَّةُ اسْتِثْقَالِ ذَوْلِهِمْ ،
وَتَرْكُ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ . فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ،
وَوَاصِلِ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُّو
الْبَلَاءِ مِنْهُمْ ٤ . فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهْزُ

(١) آثر : افضل واعلى منزلة ، واساهم : ساعدهم بمعونته لهم ، وافضل : افاض ،
الجدّة - بكسر ففتح - الفنى ، وخلوف جمع خلف - بفتح فسكون - وهو ما يبقى في الحي
من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

(٢) عليهم : اي على الرؤساء .

(٣) الحيلة : على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطة ، وحيطة بمعنى حفظه
وصانه ، واستثقال الدولة : استبطاء ايامها ، وتمني زوالها .

(٤) السلام : الصنع : ويزر الشجاع : يحركه للاقدام ، والناكل المتأخر القاعد .

الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاسَ كُلَّ إِن شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ أَعْرِفَ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ أَمْرٍ إِلَى
غَيْرِهِ ١ ، وَلَا تُقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُونَكَ
شَرَفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ،
وَلَا ضَعْفُ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا .
وَأَرَدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ ٢
وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ
إِرْشَادَهُمْ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى
اللَّهِ وَالرَّسُولِ » فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ٣ ،
وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمَفْرُقَةِ ٤ .

(١) أي اذكر كل من ابل من ابل منهم مفرداً غير مضموم ذكر بلائه إلى غير . ، ولا تقصر به في
الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجليل .

(٢) ما يضلعه : ما يؤوده ويميله لثقله .

(٣) محكم الكتاب : نصه الصريح ويقابله المتشابه .

(٤) وصف السنة بأنها جامعة لأن مدارها على وجوب الالفة ، أو الاجتماع على طاعة الله ،
وقوله عليه السلام : « غير المفرقة » صفة للجامعة لا ان السنة تنقسم إلى جامعة ومفرقة ، فاذا
رويت عنه صلى الله عليه وآله وسلم سنن تدعو إلى الفرقة فانها ليست بسنته صلى الله عليه وآله وسلم
وسلم وإن سماها بعض الناس سنناً .

ثُمَّ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ ١ فِي
نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ ٢ ،
وَلَا يَتِمَادِي فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصُرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ
إِذَا عَرَفَهُ ٣ ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ٤ ، وَلَا يَكْتَفِي
بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ ٥ ، وَأَوْقَفُهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ٦ ،
وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَهُهُمْ تَبَرُّمًا بِمُرَاجَعَةِ الْخُصْمِ ،
وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ
الْحُكْمِ . مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءُ ٧ وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءُ .
وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ . ثُمَّ أَكْثَرُ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ ٨ ، وَأَفْسَحَ لَهُ

-
- (١) « ثم اختر ... الخ » انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة .
(٢) تمحكه الخصوم : تجعله ماحكاً أي بلوجاً : أي لا تحمله بخاصة الخصوم على اللجاج
والاصرار على رأيه .
(٣) الزلة - بالفتح - السقطة في الخطأ ، وحصر - كفرج - ضاق صدره ، ومن الناس
من إذا زل تهادى في الباطل ، وحصر على أن يرجع إلى الحق وأصابه كالمي والفهامة خجلاً .
(٤) الاشراف - هنا - الاشفاق والخوف والمعنى لا يمل عن الحق اشفاقاً من فوت المنافع .
(٥) أي لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه لأن ذلك مظنة الوقوع في الخطأ .
(٦) الشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ، وأصرمهم أقطمهم وأمضاهم .
(٧) لا يزدديه : لا يستخفه ، والاطراء : المدح ، والاغراء التحريض .
(٨) أمره أن يتطلع على أحكامه واقضيته ليزيد في تحريره للصواب ، ويقطع طمعه في
الانحراف عن الحق لو خطر بباله .

فِي الْبَدَلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ ١ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ،
وَأَعْطَاهُ مِنَ الْأَمْنِزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ
خَاصَّتِكَ ٢ لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ أَغْتِيَالَ الرُّجَالَ لَهُ عِنْدَكَ .
فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ
أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطَلَّبُ
بِهِ الدُّنْيَا .

ثُمَّ أَنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا ٣ ،
وَلَا تُؤَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ
الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ
أَهْلِ الْأَبْيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ ٤ الْمُتَقَدِّمَةِ ،
فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا ، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ
إِشْرَافًا ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا. ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمْ

(١) ما يزِيلُ علته : كناية عما يكفيه .

(٢) إذا كانت للقاضي منزلة عند من ولاه هابته الخاصة كما تهابه العامة ، ومنعتهم من
تقبيح ذكره ، والوشاية به .

(٣) أمره أن يستعمل العمال بعد الاختبار وأن لا يوليهم محاباة أو لمن يشفع فيهم ، ولا
أثرة وإنعاماً عاجيهم ، فإنهما - أي : المحاباة والأثرة - يجمعان الجور والخيانة .

(٤) توخ : اطلب وتحر ، والقدم - بالتحريك - واحدة الاقدام . والمراد بهم أهل
الاقدام الراسخة في الاسلام والخطوات السابقة اليه .

الْأَرْزَاقَ ١ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ،
وَعَنْيَ لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ
عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ٢ . ثُمَّ تَفَقَّدَ
أَعْمَالَهُمْ ، وَأَبْعَثَ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ
عَلَيْهِمْ ٣ ، فَإِنْ تَعَاهَدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُوءٌ لَهُمْ ؛
عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفَظَ مِنْ
الْأَعْوَانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ
بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ،
فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ
عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ،
وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ .

وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ
وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ

-
- (١) امره ان يسبغ عليهم في الرزق ، لأن الجائع غالباً لا امانة له .
(٢) اي اذا وفرت عليهم في الرزق تكون الحجة لك عليهم ان خالفوا امرك ، او خانوا
امانتك ، او نقصوا في ادائها .
(٣) العيون الرقباء .
(٤) حدوة : اي سوق لهم وحث .
(٥) اي اتفقت عليه اخبار الرقباء .

سَوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَجِ
وَأَهْلِهِ . وَلَيْكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ
فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَجِ لَأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ .
وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ
الْعِبَادَ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا
أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ أَغْتَمَرَهَا
غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ
يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ
الْمَوْوَنَةُ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي
عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَزْيِينِ وَلَايَتِكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنِ
ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ ٢ مُعْتَمِدًا فَضْلَ
قُوَّتِهِمْ ٣ بِمَا ذُخِرَتْ عَنْدهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَّةَ

(١) امره ان يخفف من الخراج اذا شكوا ثقله عليهم او نزول علة سماوية في زرعهم الى آخر ما ذكر عليه السلام من موجبات تخفيف الخراج ، واخبره ان ذلك وان كان يدخل حل بيت المال نقصة في العاجل الا انه يقتضي توفير زيادة في الآجل ، والشرب - بكسر الشين المعجمة - : النصيب من الماء ، والبالة : القليل من الماء يبيل به الارض ، واحالت الارض تغيرت عما كانت عليه بسبب ما اغتمرها : اي عمها من الفرق فلم ينجب زرعها ، واجحف بها العطش اي ذهب بمادة الغذاء من الارض فلم ينبت .

(٢) التميعج : السرور بما يرى من حسن في عمله .

(٣) « معتمداً » منصوب على الحال من الضمير في خففت : والمعنى متخذاً زيادة قوتهم عسداً لك تستند اليه عند الحاجة ، ويكونون سنداً بما ذخرت عندهم من اجمامك : اي اراحتك لهم وترفيهك عنهم .

منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقتك بهم .
 فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من
 بعد احتملوه طيبة أنفسهم به ١ ، فإن العمران محتمل
 ما حملته ، وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها
 وإنسا يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على أنجمع ٢ ،
 وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبر .

ثم أنظر في حال كتابك ٣ قول على أمورك خيرهم ،
 وأخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسرارك
 بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ٤ ، ممن لا تبطره
 الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة
 ملا ، ولا تقصر به الغفلة ٥ عن إيراد مكاتبات عمالك

-
- (١) طيبة : اما بكسر الطاء مصدر طاب ، وهو علة لا احتملوه ، اي لطيب أنفسهم باحتماله
 فان العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت اياه سهل عليهم ان يحتملوا او يفتح الطاء وتشديد
 الياء منصوب على الحالية ، وانفسهم مرفوع على انه فاعل بطيبة ويجوز ان يكون طيبة مرفوعاً
 على انه خبر مقدم ، وانفسهم مبتدأ ومؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال .
 (٢) اي لتطلع انفسهم الى جمع المال ادخاراً الى ما بعد زمن الولاية اذا عزلوا .
 (٣) الكتاب جمع كاتب وقد تقدمت صفاتهم في ص ٤٠٠ من هذا الجزء فراجع .
 (٤) امره ان يخص رسائله الحاوية لشيء من المكائد والاسرار بأجمع كتابه لصالح الاخلاق
 التي منها عدم البطر التي يدعو اليه تقريب الوالي له فيجتريء على مخالفته والرد عليه في ملا من
 الناس وفي ذلك ما فيه من الوهن للامير وسوء الادب الذي تظاهر الكاتب به .
 (٥) أي لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلعك على ما يرد من اعمالك ولا في اصدار
 الاجوبة عنه على وجه الصواب .

عَلَيْكَ ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ وَفِيهَا
يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ . وَلَا يُضْعَفُ عَقْدًا أَعْتَقَدَهُ لَكَ ،
وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ ١ ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ
قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ
بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ . ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى
فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ ٢ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ الرِّجَالَ
يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْأُولَاةِ بِتَنْصِنِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ ٣ ،
وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ
اخْتَبَرَهُمْ بِمَا وَلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَأَعْمَدَ لِأَحْسَنِهِمْ
كَانَ فِي الْعَامَةِ أَثَرًا ، وَأَعْرِفَهُمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذَلِكَ
دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وَلِيَتْ أَمْرُهُ ، وَاجْعَلْ
لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ ٤ لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ،

(١) ان لا يكون ضعيفاً عندما يبرم للوالي عقداً بل يجعله محكماً ، وان لا يعجز عن اطلاق
عقد عقده على الوالي متى ما اراد نقضه .

(٢) نهائ ان يكون مستند اختياره للكتاب بالفرس والاستقامة : اي الثقة والسكون ،
بل ينبغي ان يكون ذلك بتجربة وخبرة ، فان كثيراً من الرجال يتقربون إلى الامراء بالتصنع
بحسن الخدمة ، والتظاهر بغير ما هم عليه .

(٣) الفراسات جمع فراسة - بكسر الفاء - : وهي قوة النظر في الامر .
(٤) اي اجعل لكل عمل من اعمالك رأساً من الكتاب لا يكبر عليه شيء من ذلك العمل
فيقهره ، ولا يكتر عليه منه كثير فيتشتت عن ضبطه ، ويقصر دونه .

وَلَا يَتَشَتُّ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أَلْزَمْتَهُ ١ .

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتِّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ ٢ وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا : السَّقِيمُ مِنْهُمْ ، وَالْمُضْطَرِبُ بِمَالِهِ ٣ ، وَالْمُتَرَفِّقُ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ الْمَرَافِقِ ، وَجُلَابِئِهَا مِنْ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَثِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا ، وَلَا يَجْتَرِثُونَ عَلَيْهَا . فَإِنَّهُمْ سَلَمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتَهُ ٥ ، وَصَلَحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدُ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَأَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَبَقًا فَاحِشًا وَشُحًا قَبِيحًا ٦ ، وَاحْتِكَارًا

(١) التغابي : التظاهر بالغفلة .

(٢) استوص : أي اقبل وصيتي واحفظها فيمن أوصيك بهم وهم التجار وذووا الصناعات ووص غيرك من اتباعك بهم .

(٣) المضطرب : هو المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب ببذنه وهم أهل الصنائع ، والمرافق هنا : ما به يتم الانتفاع كالآلية والأدوات وما يشبه ذلك .

(٤) المطارح : الأماكن البعيدة ، يقال طرح - بتشديد الراء - به السفر إلى كذا أي قذف به ، ولا يلتئم الناس لمواضعها : أي لا يمكن اجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الامكنة .

(٥) البائقة : الداهية ، والغائلة : الشر .

(٦) الضيق : عسر المعاملة ، والشح : البخل ، والاحتكار : حبس عن الناس عند الحاجة إليها .

لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبَيَاعَاتِ ، وَذَلِكَ بَابُ
مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ . فَاَمْنَعُ مِنَ الْاِحْتِكَارِ فَإِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَعَ مِنْهُ ، وَلَيْكُنْ الْبَيْعُ
بَيْعًا سَمَحًا ، بِمَوَازِينَ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجَحِّفُ بِالْفَرِيقَيْنِ
مِنَ الْبَائِسِ وَالْمُبْتَاعِ ١ . فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ
إِيَّاهُ ٢ فَتَكَلَّ بِهِ ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ . ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ
فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ وَالزُّمْنَى ٣ ، فَإِنَّ فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرَاً ٤ . وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ
حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْمًا
مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدِهِ ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى
مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى . وَكُلُّ قَدْ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ فَلَا

(١) المبتاع : المشتري .

(٢) قارف : أي خالط ، والحكرة - بضم الحاء - : الاحتكار ، وتكل به الخ : أي
اصنع به صنعاً تخدر به غيره إذا رآه . ولا تجاوز حد العدل .

(٣) البؤس - بضم أول - : شدة الفقر ، والزمنى - بفتح أوله - : جمع زمن وهو المصاب
بالزمانة - بفتح الزاي - أي العاهة يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

(٤) القانع : السائل ، والمعتز : المتعرض للعطاء بلا سؤال ، واستحفظك طلب منك حفظه .

(٥) صوافي الاسلام جمع صافية : وهي ارض الغنينة . وغلاتها : ثمراتها .

يَسْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرًا ١ ، فَإِنَّكَ لَا تُعَذِّرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافَهُ ٢
لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ ٣ ،
وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفْقِدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ
مِنْهُمْ مِمَّنْ تَفْتَحِيهِمُ الْعُيُونُ ، وَتَحْتَقِرُهُ الرُّجَالُ ، فَفَرِّغْ
لِأَوْلَيْكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضِعِ ، فَلْيَرْفَعْ
إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ أَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ
تَلْقَاهُ ٤ ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرِّعْيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ
مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلُّ فَاغْذِرْ إِلَى اللَّهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ
إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْإِيْتِمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السَّنِّ مِمَّنْ لَا
حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ٥ ، وَذَلِكَ عَلَى الْأُولَاةِ
ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ . وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ

(١) البطر : هو الطغيان بالنعمة ، والفغلة عند حدوثها حتى تصرف في وجهها .

(٢) التافه : الحقيير .

(٣) اي لا تصرف همك - اي : اهتمامك - عن ملاحظة شؤونهم ، وصبر خده : اماله
كبراً .

(٤) تفتحه العيون : تزدريه .

(٥) اي اجعل للبحث عنهم اشخاصاً ممن تثق بهم يتفرغون لمعرفة امورهم ممن يخشون الله
فيهم ، ولا يأنفون من تفقد احوالهم ليرفعوها اليك .

(٦) يقال : اعذر في الأمر : صار ذا عذر فيه .

(٧) اهل اليتيم : الأيتام ، وذووا الرقة في السن اي المتقدمون فيه .

طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِبَصْدِقِ مَوْعُودِ
اللَّهِ لَهُمْ .

وَأَجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْمًا ١ تَفَرَّغْ لَهُمْ فِيهِ
شَخْصَكَ ، وَتَجَلِسْ لَهُمْ مَجْلِسًا عَامًّا فَتَتَوَاضِعُ فِيهِ لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ ٢ مِنْ
أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرُ
مُتَتَعِّعٍ ٣ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ ٤ : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ
لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعِّعٍ » . ثُمَّ
أَحْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ ٥ ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيْقَ
وَالْأَنْفَ ٧ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْكَ بِذَلِكَ أَكْثَنَ رَحْمَتِهِ ،

- (١) اي اجعل قسماً من اوقاتك تفرغ فيه لذوي الحاجات بنفك للنظر في حاجاتهم .
(٢) اي تأمرهم بالقنود حتى لا تأخذ ذوي الحاجات رهبة الحكم واهبة الامرة فينبسطوا
في عرضها عليك ، والاحراس : جمع حرس - بالتحريك - وهو من يحرس الحاكم ، والشرط
- بضم ففتح - الشرطة ، سوا بذلك لأنهم اعلماو بعلا مات يعرفون بها .
(٣) التمتع في الكلام : التردد فيه .
(٤) اي في موطن كثيرة .
(٥) التقديس : التطهير .
(٦) الخرق : ضد الرفق اي العنف ، والعي - بكسر العين - المعجز عن النطق .
(٧) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق ، والأنف - محرقة - الاستنكاف واكثاف الرحمة
اطرافها .

وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطَى مَا أَعْطَيْتَ هَنِئاً ١ ،
وَأَمْنَعُ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ . ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ
لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا . مِنْهَا إِبَابَةُ عُمَالِكَ بِمَا يَعْنِي عَنْهُ
كِتَابُكَ ٢ . وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وَرُودِهَا
عَلَيْكَ مِمَّا تَخْرُجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ ٣ . وَأَمْضِ لِكُلِّ
يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيَمَا
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ
الْأَقْسَامِ ٤ ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَّحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ
وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ .

وَأَيُّكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةً
فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي
لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ

(١) أي سهلاً لا تخشنه باستكثاره والمن به ، وإذا منعت فامنع بالطف وتقديم حذر .

(٢) يمبأ : يعجز .

(٣) بين له أن من الأمور ما تلزمه مباشرتها بنفسه منها إجابة عماله بما يرى المصلحة في
الجواب به فقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ، ومنها إصدار حوائج الناس ، لأن الأعوان
غالباً يحبون المساطلة في قضائهم ، استجلاً بالسنعة وإظهاراً للجبروت .

(٤) أمره أن يعمل لنفسه في معاملته الله أفضل تلك الأوقات ثم بين أن الأعمال التي يقوم
فيها الوالي كلها لله إذا أخلص في النية .

كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ ١ بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا
بَلَغَ . وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرًّا
وَلَا مُضِيعًا ٢ ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ أَلْعَلَّةٌ وَلَهُ الْحَاجَةُ .
وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي
إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أَصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ
أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » .

وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ
احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضُّيْقِ ، وَقِلَّةُ
عِلْمٍ بِالْأُمُورِ . وَالْإِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا
أَحْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عَنْدهُمْ الْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ
الصَّغِيرُ ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُّ
الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى
عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ ٣

(١) مثْلُومٌ : أي مَحْدُوشٌ بِشَيْءٍ مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَلَا مَنْقُوصٌ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّيَاءِ .

(٢) امره ان يكون متوسطاً بين المنفر للناس في التطويل وبين المقصر المضيع لأركان الصلاة وواجباتها .

(٣) السمات جمع سمة - بكسر ففتح - وهي العلامة ، أي ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصديق من الكاذب .

تُعَرَّفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا أَمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ أَحْتَجِبَابُكَ ١ مِنْ وَاجِبِ حَقِّ تَعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلُ كَرِيمٍ تُسَدِّيه ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيْسُوا مِنْ بَذْلِكَ ٢ ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَوْوَنَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شِكَاةٍ مَظْلَمَةٍ ٣ ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمْ أَسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقَلَّةٌ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْصِمْ مَادَّةَ أَوْلَيْكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ ٤ . وَلَا تَقْطَعْ لِحَدٍّ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً ٥ . وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ

(١) فلأى سبب محتجب عن الناس في اداء حقهم ، او عمل تمنحه اياهم ؟ .

(٢) اي فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك اسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب .

(٣) اي اكثر ما يسأل منك ما لا مَوْوَنَةَ فيه عليك كشكاة - بفتح الشين - : اي شكاية ظلامة

او انصاف من خصم .

(٤) احصم : اي اقطع .

(٥) الاقطاع : المنحة من الارض ، والقطيع المنروح منها ، والحامة - كالتامة -

الخاصة والقرابة ، والاعتقاد : الامتلاك ، والعقدة - بالضم - : الضيعة ، واعتقاد الضيعة

اقتناؤها ، واذا اقتنوا ضيعة فرمما اضرروا بمن يليها : اي يقرب منها ، والشرب - بالكسر - :

النصيب من الماء .

تَضُرُّ بِحَنِّ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شَرْبِ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ
يَحْمِلُونَ مَوْنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونُ مَهْنًا ذَلِكَ لَهُمْ
دُونَكَ ١ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ
فِي ذَلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَأَقْعًا ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ
وخاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَأَبْتِغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ
مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ ٢ .

وإِنْ ظَنَنْتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ،
وَأَعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً
مِنْكَ لِنَفْسِكَ ٣ ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ
حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ .

وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلَاحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلَّهِ فِيهِ رِضَى ،

(١) مهناً : منفعتة الحنيئة .

(٢) الحنبة - كحبة - حسن العافية وإلزام الحق لمن لزمهم وإن ثقل على الوالي وعليهم
ولكنه عمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ، ونيل السعادة في الآخرة .

(٣) الحيف : الظلم ، اصحر : اكشف لهم وبين عذرهم فيه ، مأخوذ من الاصحار وهو
الخروج إلى الصحراء ، وعدل عن الشيء : نجاه عنه ، والريضة : تعويد النفس على الشيء ،
والاعذار إقامة العذر .

فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِّجُنُودِكَ ١ وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا
لِبِلَادِكَ . وَلَكِنْ أَلْحَذِرْ كُلَّ أَلْحَذِرٍ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ،
فَإِنَّ أَلْعَدُوَّ رَبِّمَا قَارِبَ لِيَتَغَفَّلَ ٢ ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتِّهِمْ
فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ
عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً ٣ فَحُطَّ عَهْدُكَ بِالْوَفَاءِ ، وَارْعَ
ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أُعْطِيَتْ ؛
فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا
مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشْتَّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ أَلْوَفَاءِ
بِالْعُهُودِ . وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ
الْمُسْلِمِينَ ٤ لَمَّا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ ٥ . فَلَا
تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَخِيْسَنَّ بِعَهْدِكَ ٨ ، وَلَا تَخْتَلَنَّ

(١) الدعة : الراحة .

(٢) امره ان يحذر بعد الصلح من غائلة العدو وكيفية فانه ربما قارب : اي تقرب بالصلح
ليتنفّل : اي يطلب غفلك فيقدر بك فيها .

(٣) امره اذا عقد بينه وبين عدوه عهداً ان يحوطه : اي يحفظه بالوفاء ، ويرعى ذمته بالامانة

(٤) الجنة - بالضم - الوقاية .

(٥) يعني ان الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله اشد من اجتماعهم على تعظيم
الوفاء بالعهود مع تفرق اهوائهم ، وتشتت آرائهم حتى ان المشركين التزموا به فيما بينهم فأول
ان يلتزمه المسلمون .

(٦) اي حال كونهم دون المسلمين في الاخلاق والعقائد .

(٧) استوبلوا : وجدوها وبيلة اي مهلكة .

(٨) خاس بعهد : خان ونقضه ، واختل : الخداع .

عَدُوَّكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِيءُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ
جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ ١
حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ ٢ .
فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ ٣ وَلَا خِدَاعَ فِيهِ . وَلَا تَعْقِدُ عَقْداً
تَجُوزُ فِيهِ أَلْعَلُّ ، وَلَا تَعُولَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ
التَّأْكِيدِ وَالتَّوَثُّقَةِ ، وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ
عَهْدُ اللَّهِ إِلَى طَلَبِ أَنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ
عَلَى ضَيْقِ أَمْرٍ تَرْجُو أَنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ
غَدْرِ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنْ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ ٥
فَلَا تَسْتَقِيلَ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ .

إِيَّاكَ وَالْأَلْمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ

(١) الامن : الامان ، وافضاه بين عبادہ جعله مشتركاً بينهم لا يختص به فريق دون
فريق . والحريم : ما حرم عليك ان تمسه ، والمنعة - بالتحريك - ما تمتنع به من القوة .

(٢) اي يفرعون اليه بسرعة .

(٣) الادغال : الافساد ، والمدالسة : الخديعة .

(٤) نهاء عن ان يعقد عقداً يمكن فيه التأويلات والعلل ، وطلب المخارج ، ونهائهم اذا عقد
عقداً بينه وبين العدو ان ينقضه معولا على تأويل خفي ، او فحوى قول ، او يقول انما نصبت
كذا ، ولم اعن ظاهر اللفظة فان العقود على ما هو ظاهر في الاستعمال ، متداول في الاصطلاح
والعرف لا على ما في الباطن .

(٥) التبعة : ما يترتب على الفعل من الخير او الشر الا ان استعماله في الشر اكثر ،
والطلبية : ما يطلب .

أَدْعِي لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظِمَ لِسَبْعَةٍ وَلَا أُحْرِي بِزَوَالِ نِعْمَةٍ
وَأَنْقَطِعَ مُدَّةٌ مِنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُقْوِينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكَ دَمٍ حَرَامٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوْهِنُهُ بَلْ يَزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ . وَلَا
عُدْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْأَعْمَدِ لِأَنَّ فِيهِ قَوْدَ
الْبَدَنِ ١ . وَإِنْ أَبْتَلَيْتَ بِخَطَاٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ ٢ أَوْ
سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً
فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى
أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَأَيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا
وَحُبَّ الْأَطْرَاءِ ٣ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرُصِ الشَّيْطَانِ فِي
نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ .

(١) القود : بفتحتين - : القصاص واضافته للبدن لأنه يقع عليه .
(٢) افرط عليك : سبقك بما لم تكن تريد ، مثل أنك اردت تأدياً فاعقب قتلاً ، والوكزة -
بفتح فسكون : . الضربة : بجمع الكف - بضم الجيم - : أي قبضته ، ولا « تطمحن » أي لا
ترتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية لاولياء القتيل .
(٣) الاطراء المبالغة في الثناء ، والعجب : الغرور ، والفرصة : النهضة ، والمحق : الابطال ،
والمراد لا تمكن الشيطان من ابطال عملك بما يتبعه من الغرور به والاعجاب بنفسك .

وَأَيَّاكَ وَالْأَمْنَ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوْ التَّزِيدُ فِيمَا
كَانَ مِنْ فَعْلِكَ ١ أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ،
فَإِنَّ الْأَمْنَ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزِيدُ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ،
وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ ٢ ، قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى « كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

وَأَيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوْ التَّسَقُّطَ فِيهَا
عِنْدَ إِمْكَانِهَا ٣ ، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ ٤ ، أَوْ
الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتُوْضِحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ،
وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ .

وَأَيَّاكَ وَالْإِسْتِثْنَاءَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسُوءُهُ ٥ وَالتَّغَابِيَ
عَمَّا يَعْنِي بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَاخُودٌ مِنْكَ

(١) التَّزِيدُ : ان ينسب إلى نفسه من الاحسان اليهم اكثر مما فعل .

(٢) المقت : البغض والسخط .

(٣) التسقط هنا : التهاون ، وتروي التساقط من « ساقط الفرس حذره » اذا جاء
مسترخياً ، حذره من ايقاع الامر على احد طرفي التفریط والافراط ، فطرف الافراط
في الطلب : العجلة بها قبل اوانها وطرف التفریط التهاون بها اذا امكنت .

(٤) تنكرت : لم يعرف وجه الصواب فيها ، واللجاجة : الاصرار على اتمام الامر على
عسر فيه ، والوهن : الضعف .

(٥) الاستثناء : ان يخص به نفسه بشيء يزيد به عن الناس . والتغابي : التغافل .

لِغَيْرِكَ . وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ
وَيَنْتَصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . أَمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ١ ،
وَسُورَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْرَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ . وَاحْتَرِسْ
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ ٢ وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ
غَضَبُكَ فَتَمْلِكِ الْأَخْتِيَارَ ، وَلَنْ تُحْكِمَ ذَلِكَ مِنْ
نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ
حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيٍّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا
شَاهَدْتَهُ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ٣ ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي
اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا وَأَسْتَوْثَقْتُ بِهِ
مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ
تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

-
- (١) امره ان يملك حمية انفه عند الغضب اي : انفته ما يقع من الامور المكروهة والسو رة -
بفتح فسكون - الحدة ، والحد : البأس ، والغرب - بفتح فسكون - الحد تشبيهاً له بحد السيف .
(٢) البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب .
(٣) اي تذكر كل ذلك واهمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل واحذر التأويل حسب الهوى

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ
كُلِّ رَغْبَةٍ ١ أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ
عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ ٢ ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ
فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ
وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ ٣ ، وَأَنْ يَخْتِصَّ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ
وَالشَّهَادَةِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا . وَالسَّلَامُ .

هذا العهد من جملة مآثر امير المؤمنين صلوات الله عليه التي لا تحصى ولا
تستقصى وهو من اطول عهوده ، واعظمها شأنًا « يحتوي على اهم القواعد
والاصول التي تتعلق بالقضاء والقضاة ، وإدارة الحكم في الاسلام ، وقرر
فيه قواعد مهمة في التضامن الاجتماعي ، بل التعاون الانساني لاقامة العدل ،
وحسن الادارة والسياسة ، وبيان صلاح الهيئة الاجتماعية ، وبيان الخراج
وأهميته ، وكيف يجب ان تكون المعاملة فيه والنظر في عمارة الارض وما

(١) في كثير من نسخ (نهج البلاغة) قبل قوله عليه السلام : وانا اسأل الله ... الخ هذه
العبارة « ومن هذا العهد وهو آخره » والواقع كذلك فان الرضي رحمه الله حذف بعض الفقرات
قبل ذلك كعادته في الاختصار تعرف ذلك اذا رجعت إلى المصادر التي روت العهد قبله
(٢) يريد من العذر الواضح العدل ، فانه عذر لك عند من قضيت عليه وعذر عند الله فيمن
اجريت عليه عقوبة او حرمته من متعة .
(٣) اي زيادة الكرامة اضعافاً .

يتعلق بذلك من اصول العمران ، وما فيه صلاح البلاد ، ومنايع ثروته ، ولما للتجارة والصناعة من الاثر ، في حياة الامة ، إلى غير ذلك من القواعد الهامة التي تهدف إلى اسمى هدف في العدل الاسلامي » (١) .

« وقد وقف عنده الشرعون ورجال القانون في الشرق والغرب منذ العهود السالفة وحتى يوم الناس هذا موقف الاكبار والاعجاب والتعظيم وقد درست على ضوءه بعض القوانين والنظم الأوروبية الحديثة ، وقورنت به ، فظهرت ميزته وافضليته ولم يوجد له نظير او شبيه ، بل إن معظم دساتير الدول ، وقوانين الممالك مأخوذة منه وناسجة على منواله » (٢) .

وقد ذهب الاستاذ جورج جرداق في كتابه « الامام علي ... صوت العدالة الانسانية » (٣) إلا انه يصعب على المرأ ان يجد اختلافاً بين العهد العلوي والوثيقة الدولية لحقوق الانسان ، فليس من اساس بوثيقة حقوق الانسان الا وتجد له مثيلاً في دستور ابن ابي طالب ، هذا إلى اطار من الحنان الانساني العميق يحيط به الامام دستوره في المجتمع ، ولا تحيط الامم المتحدة وثيقتها بمثله .

وقال ابن ابي الحديد : الا ليق ان يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتن به ويقضي بقضاياه واحكامه هو عهد علي عليه السلام إلى الأشر فانه نسيج وحده ، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والاحكام والسياسة وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الاشر ومات قبل وصوله (٤) . إلى مصر .

ذكر ذلك بعد ان نقل ان عهده عليه السلام إلى محمد بن ابي بكر لما

(١) انظر : الامام الصادق والمذاهب الأربعة ٢ / ٢٨٠ .

(٢) انظر : الذريعة ١٣ / ٣٧٣ .

(٣) انظر : الامام علي ... صوت العدالة الاسلامية - الجزء الاول

(٤) شرح النهج : م ٢ ص ٢٨ .

ولاه مصر كان من جملة الكتب التي اخذها ابن العاص لما قتل محمد ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب وان تلك الكتب بقيت في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي اظهر انها من احاديث علي بن ابي طالب وكلامه (١) .

حول العهد :

لقد كان عهد الامام ممالك موضع العناية ، منذ اقدم العصور إلى يوم الناس هذا عند الكثير من رجال العلم ، واعلام الادب ، واساقفة القانون ، لذلك تراهم قد تناولوه درساً وبحثاً ، واسمعوه شرحاً وتعليقاً ، وافردوا فيه المؤلفات ، وترجموه إلى بعض اللغات ، واليك نماذج من ذلك :

١ - آداب الملوك (٢) :

للسيد الجليل نظام العلماء اليرزا رفيع الدين الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة (١٣٢٦ هـ) ، وهذا الكتاب من الكتب المفردة في شرح عهد مالك .

٢ - اساس السياسة في تأسيس الرياسة (٣) :

للواعظ الماهر الشيخ محمد بن المولى اسماعيل الكجوري الطهراني الملقب بسلطان المتكلمين المتوفى ١٤ شعبان ١٣٥٣ شرح في اوله عهد امير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الاشر النخعي ثم عقبه ببيان سائر الاخلاق والآداب .

٣ - التحفة السليمانية (٤) :

للسيد ماجد البحراني المتوفى بعد سنة (١٠٩٧) شرح للعهد المذكور في ستين فصلاً وقد طبع في طهران .

(١) انظر ص ٦٤ من هذا الجزء .

(٢) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ .

(٣) الذريعة : ٧ / ٢ .

(٤) الذريعة : ٣ / ٤٤١ و ٣٧٤ / ١٣ وانظر مقدمة السيد الشهرستاني لكتاب «الرامي والرحية» .

٤ - الراعي والرعية ^(١) :

للعلامة الامتاذ توفيق الفكيكي رحمه الله ، وهو شرح يمتاز عن غيره من شروح العهد بكثير من النواحي اهمها تطبيقه تلك القواعد على نظم العصر الحاضر من القوانين الحديثة وقد طبع الكتاب مرتين الأولى في مجلدين والثانية في مجلد واحد .

٥ - السياسة العلوية ^(٢) :

في شرح عهد مالك الاشر للعلامة الحجة الشيخ عبد الواحد آل مظفر وهو من جملة مؤلفاته الخطية الكثيرة .

٦ - شرح عهد امير المؤمنين ^(٣) :

للعلامة المجلسي المولى محمد باقر الاصفهاني المتوفى سنة (١١١١ هـ) . فارسي ذكر في عداد تصانيفه الفارسية .

٧ - شرح عهد امير المؤمنين ^(٤) :

للمولى محمد باقر بن محمد صالح القزويني ، فارسي قال شيخنا الطهراني دامت بركاته : رأيت في (مكتبة السيد نصر الله التقوي) في طهران .

٨ - شرح عهد امير المؤمنين ^(٥) :

للسيد الميرزا حسن بن السيد علي القزويني المولود سنة ١٣١٩ والمتوفى

(١) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ ، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢ / ٢٨٠ .

(٢) الذريعة : ٢ / ٢٧٢ .

(٣) الذريعة : ١٣ / ٣٧٣ .

(٤) و (٥) المصدر السابق ١٣ / ٣٧٤ هذا وقد ذكر كل من الامام السيد الشهرستاني في مقدمة « الراعي والرعية » والعلامة الشيخ اسد حيدر في « الامام الصادق والمذاهب الاربعة » ٢ / ٢٨٠ شرحاً للعهد باسم محمد صالح الروغني القزويني ولعله المذكور وقد سقط من القلم اسم الابن وبقي اسم الاب فنسب اليه يضاف إلى ذلك ان شيخنا الطهراني لم يتعرض لذكر محمد صالح المذكور ولا لشرحه عندما ذكر شروح العهد .

ليلة الفطر سنة ١٣٥٨هـ. رتبته على واحد وعشرين فصلا وهو الجزء الثاني من كتابه (تاريخ مصر قديماً) .

٩ - شرح عهد امير المؤمنين ^(١) :

للميرزا محمد بن سليمان التنكابني ذكره في كتابه (قصص العلماء) .

١٠ - شرح عهد امير المؤمنين ^(٢) :

للشيخ هادي بن محمد حسين القائيني البيرجندي ، فارسي ألفه سنة (١٣٣٣) هـ. وطبع مع (ترجمة الادب الكبير) لابن المقفع ، له في سنة ١٣١٥ شمسية .

١١ - شرح الفاضل بدائع نكار الميثب في (المآثر والآثار) ^(٣) :

١٢ - فرمان مبارك ^(٤) :

شرح للعهد المذكور بالفارسية للكاتب القدير جواد فاضل احد شراح « نهج البلاغة » مطبوع .

١٣ - نصائح الملوك ^(٥) :

للمولى ابي الحسن العاملي صاحب (الانساب) وغيره ، ذكره ابن يوسف في (نهج البلاغة جيست) .

١٤ - مقتبس السياسة ، وسياج الرئاسة :

كتاب صغير في شرح عهد مالك الاشر لا يقاس بغيره من الشروح إذ انه مقتصر على إيضاح بعض الكلمات ، وقد انتزعه احمد محمد (كاتب

(١) الذريعة : ١٣ / ٣٧٥ .

(٢) انظر مقدمة العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني لكتاب (الراعي والرعية) .

(٣) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ .

(٤) الذريعة : ١٣ / ٣٧٣ .

(٥) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ . ومقدمة السيد الشهرستاني للراعي والرعية .

مكتبة الازهر سابقاً) من شرح الشيخ محمد عبده « على النهج » وطبعه على حده ، وقال في تقديمه : وبعد فلما كانت وظيفتي الاشتغال بالكتابة في مكتبة الجامع الازهر الشريف من شأنها اني اطلع على معظم ما في المكتبة من الاسرار الجلية ، وأتصفح كثيراً من كتبها المفيدة فبينما أطلع في كتاب منها اذ عثرتني حسن حظي على عهد جليل لفارس حلبة البيان امير المؤمنين ، وخليفة رسول الله رب العالمين سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه إلى الاشر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب امر محمد بن ابي بكر ، ورأيت انه جمع امهات السياسة ، واصول الادارة ، في قواعد حوت من فصاحة الكلم ، وبلاغة الكلام ، وحسن الاسلوب ، ما لا يمكن لعاجز مثلي ان يصفه ، فدهشت جداً لما لم اجد لهذا الكتاب تداولاً على السنة المتكلمين بالعربية ، خصوصاً ، المشتغلين بتعلمها من طلبة الازهر ، والمدارس الاخرى ، مع انه كان من الواجب ان مثل هذا الكتاب يحفظ في الصدور ، لا في السطور ... الخ ،

وقد وهم من نسب هذا الكتاب للشيخ محمد عبده وقد طبع بالمكتبة الادبية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

١٥ - القانون الاكبر في شرح عهد الامام للاشر :

من مؤلفات الخطيب البارع السيد مهدي السويج ، مخطوط .

١٦ - مع الامام علي في عهده لملك الاشر .

للعامة الشيخ محمد باقر الناصري قال في مقدمته : « لما كان العهد من الوثائق التاريخية المهمة ، وهو بمثابة ثورة اصلاحية ، لسير القادة والولاة مع شعوبهم ، ومن تحت ايديهم ، ولرسم الطريق ، وتجديد العلاقات بين الفئتين ، وكان من لاهمية القصوى ان يوضع امام مسيرة البشرية ، وتمكن الاجيال

من تدارسه ، والانتفاع بمضاميه ليودي دوره في مجال البناء والتوجيه بادرت لضبط العهد ، وشرح بعض معانيه مع تسجيل جوانب ملأت نفسي .. الخ والكتاب كبير الفائدة مع صغر حجمه طبع في بيروت سنة ١٣٩٣ هـ .

هذا مضافاً إلى ما تعرض له عامة شراح (نهج البلاغة) بشروح مبسطة ومختصرة كل بحسب طريقته في شرح (نهج البلاغة) ولو أنها انتزعت من تلك الشروح لكافئت عدة مجلدات .

وقد نظم العهد المذكور في غير واحدة من اللغات فقد نظمه بالفارسية الميرزا وقار الشاعر الشيرازي المتوفي سنة (١٢٧٤) وتمد طبع بشيراز ونظمه الفاضل محمد جلال الدين باللغة التركية .

مصادر عهد مالك وامانيه

لقد روى هذا العهد قبل الشريف الرضي رحمه الله الشيخ الثقة الجليل ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة المتوفي سنة ٣٣٢ هـ . في (تحف العقول) باب ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام ص ١٢٦ تحت عنوان « عهده عليه السلام إلى الاشر حين ولاه مصر واعمالها » وذكر العهد بزيادة بعض الفقرات ، واختلاف في بعض الالفاظ مما يدل على ان الشريف الرضي رحمه الله نقل ما اختاره من هذا العهد عن غير هذا الكتاب .

كما روى منه القاضي النعمان في كتاب (دعائم الاسلام) : ١ - ٣٥٠ هـ ورواه النويري في (نهاية الارب) ج ٦ ص ١٩ باختلاف بسيط جداً ولكنه يدل على انه منقول عن غير (نهج البلاغة) ومهد له النويري بقوله : « ولم ار فيما طالعت في هذا المعنى (يعني وصايا الملوك) اجمع في الوصايا ولا اشمل من عهد كتبه علي بن ابي طالب رضي الله عنه إلى مالك بن

الحارث الاشر حين ولاه مصر فاحببت ان اورده على طوله وآتي على
جملته وتفصيله لان مثل هذا العهد لا يهمل ، وسبيل فضله لا يجهل » .
ثم ذكر العهد .

واما اسانيد هذا العهد فقد ذكر الشيخ النجاشي اعلى الله مقامه في فهرسته
ص ٦ عند ذكر الاصبغ بن نباتة المجاشعي قال : كان من خاصة امير
المؤمنين عليه السلام ، وعمر بعده روى عنه عهد مالك الاشر الذي عهد
اليه امير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ووصيته إلى محمد ابنه ، ثم
ذكر سند العهد فقال :

اخبرنا ابن الجندي عن علي بن همام عن الحميري عن هارون بن مسلم
عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ بالعهد .

وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست ص ٦٢ عند ذكره
للصبغ ابن نباتة رحمه الله فقال : كان الاصبغ بن نباتة من خاصة امير
المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وروى عهد مالك الاشر الذي عهد اليه
امير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر وروى وصيته إلى ابنه محمد بن
الحنفية ، اخبرنا بالعهد ابن ابي جيد عن محمد بن الحسن عن الحميري عن
هارون بن مسلم والحسن بن طريف عن الحسين بن علوان الكلبي عن سعد
ابن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام .

وافت عند المقارنة بين السندين ترى كيف يلتقيان في طريق واحد .
كما روى ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في المجلد الثاني عشر من مخطوطة
الظاهرية طريقاً لهذا العهد ينتهي إلى مهاجر العامري قال كتب علي بن ابي
طالب عهداً لبعض اصحابه على بلد فيه : فلا تطولن حجابك عن رعيتك .. الخ

٥٤ - ومن كتابه عليه السلام

إلى طلحة والزبير ، مع عمران بن الحصين الخزاعي
ذكره أبو جعفر الاسكافي في « كتاب المقامات في مناقب
أمير المؤمنين عليه السلام » .

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ عَلِمْتُمَ وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أَرِدِ
النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ أَبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ،
وإِنِّكُمْ مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ أَلْعَمَّةَ لَمْ تُبَايَعَنِي
لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ ٢ ، فَإِنْ كُنْتُمَا
بَايَعْتُمَانِي طَائِعِينَ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ ،
وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا
السَّبِيلَ ، بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ ، وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ .

(١) عمران بن الحصين الخزاعي صحابي ، اسلم عام خيبر ، وشهد بعض المشاهد بعدها ،
ويقال : انه كان حامل راية خزاعة يوم الفتح ، وبعثه عمر إلى البصرة ليفقه الناس ، واستقضاء
عبد الله بن عامر او زياد فمكث يسيراً ثم استعفى فأعفاه ، وللبصريين في زمانه تعلق به وغلو في
فضله حتى حلف الحسن البصري انه ما قدم البصرة خير منه ، ويزعمون ان الحفظة تكلمه ،
وانه مجاب الدعوة ، ولعل السر في ذلك اعتزاله وعدم قتاله مع امير المؤمنين عليه السلام ،
توفي في البصرة .

(٢) وتروى لحرص حاضر ، والعرض - بالتحريك او بفتح فسكون - المتاع وما سوى
التقدين من المال ، ويريد عليه السلام انهم لم يبايعوه طمعاً في مال .

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقَّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ ،
وَأَنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ
أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .
وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيَّنِي وَبَيَّنْكُمْ مَنْ
تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ
أَمْرٍ بِقَدَرٍ مَا أَحْتَمَلُ ١ . فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ
رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَجْتَمَعَ الْعَارُ وَالنَّارُ ؛ وَالسَّلَامُ .

قد كفانا الرضي رحمه الله تعالى مؤونة البحث عن مصدر هذا الكتاب .
وابو جعفر الاسكافي : هو محمد بن عبد الله من اكابر علماء المعتزلة
ومتكلميهم صنف سبعين كتاباً في الكلام ومن كتبه كتاب (المقامات في
مناقب امير المؤمنين عليه السلام) وهو الذي نقض كتاب (العثمانية) على
ابي عثمان الجاحظ في حياته بكتاب (نقض العثمانية) وقد لخص الكتابين
ابن ابي الحديد في شرحه على (نهج البلاغة) في المجلد الثاني : ص ٢٥٣ -
٢٨٢ وتوفي الاسكافي سنة ٢٤٠ ، وكان يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة
بغداد (٢) .

(١) اي جعلت الحكم بيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة اي الجماعة الذين
قعدوا على نصرة الطرفين كسعد وابن عمر واسامة بن زيد ، فان حكموا قبلنا حكمهم ، ثم
ألزمت الشريعة كل واحد بقدر مداخلته في قتل عثمان .
(٢) شرح نهج البلاغة م ٤ ص ١٥٩ والكنى والألقاب .

ويضاف إلى ذلك ان من رواه قبل الرضي ابن اعثم الكوفي في تاريخه
ص ١٧٣ (١) ، وابن قتبية في (الامامة والسياسة) ١ - ٧٠ .

٥٥ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ،
وَأَبْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَلَسْنَا
لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا ، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرُنَا ، وَإِنَّمَا وَضِعْنَا
فِيهَا لِنَبْتَلِيَ بِهَا ، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَأَبْتَلَاكَ بِي :
فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا
بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ ٢ ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا
لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي ، وَاللَّبَّ عَالِمُكُمْ
جَاهِلُكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدُكُمْ ، فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ،
وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ٣ ، وَأَصْرِفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ

(١) انظر كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلف) للسيد المرتضى العسكري : ج ١ ص ١١٣ .
(٢) عدوت : وثبت ، وتروى فعدوت ، ومراده بتأويل القرآن ما كان معاوية يموه به
على اهل الشام فيقول : انا ولي عثمان واحق الناس بالمطالبة بدمه وقد قال الله تعالى : « ومن قتل
مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً » . وعصبته : ربطته ، وألب - بتشديد اللام - : حرض .
(٣) القيادة : حبل تقاد به الدابة ، ونازعه القيادة : لم يسترسل معه .

فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ، وَأَحْذَرُ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ
بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الْأَصْلَ ١ ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ ؛ فَإِنِّي
أُولِي لَكَ بِاللَّهِ أَلِيَّةٌ غَيْرَ فَاجِرَةٍ ٢ : لَشَنْ جَمَعْتَنِي وَإِيَّاكَ
جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ
بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) .

روى هذا الكتاب السيد في « الطراز » : ج ٢ ص ٣٩٣ مع اختلاف
يسير مع رواية الرضي يدل على انه لم ينقله عن « النهج » .

كما روى اول هذا الكتاب الآمدي في (شرر الحكم) : ص ١١٩ في
حرف الالف بزيادة هذه الفقرة : « ونعمل فيها لما بعدها » بعد قوله عليه
السلام « وانما وضعنا فيها لنبتلى فيها » .

وروى منه قطعة اخرى في ص ٥٦ وزاء بعد قوله عليه السلام :
« واصرف إلى الآخرة وجهك » هذه العبارة : « واجعل لله جلدك » .

والآمدي وإن تأخر عن الرضي الا ان هذه الزيادة تشعر ان مصدره
غير (النهج) .

(١) القارعة : البلية ، والمصيبة تمس الأصل : أي تصيبه فتقلعه ، والدابر الآخر .
(٢) اول : أي اقسام ، والألية : اليمين ، والباحة : كالساحة وزناً ومعنى .

٥٦- ومن وصيته له عليه السلام

وصى بها شريح بن هاني ١ ، لما جعله على مقدمته

إلى الشام

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ
الدُّنْيَا الْغُرُورَ ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ إِن
لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ
سَمَتُ بِكَ الْأَهْوَاءَ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ ٢ . فَكُنْ لِنَفْسِكَ
مَانِعًا رَادِعًا ، وَلِنَزَوَاتِكَ عِنْدَ الْحَفِيفَةِ وَاقِمًا قَامِعًا ٣ .

رواه قبل الشريف نصر بن مزاحم في كتاب (صفتين) ص ١٢١ بتفاوت
يسير وزاد على ما رواه الرضي بعد قوله عليه السلام : (مانعاً) من
الظلم والعدوان ، فاني قد وليتك هذا الجند ، فلا تستطيلن عليهم ،
وان خيركم عند الله اتقاكم ، وتعلم من عالمهم ، وعلم جاهلهم ، واحلم عن
سفيههم ، فانك إنما تدركه الخير بالحلم ، وكف الأذى بالجهل فلاحظ

(١) تقدم طرف من ترجمة شريح بن هاني في ص ٢٢٣ من هذا الجزء .

(٢) اي ان لم تكف نفسك عن كثير من شهواتك افست بك إلى كثير من الضرر .

(٣) النزوات : الوثبات ، والحفيظة : الغضب ، والواقم فاعل من وقته اي رددته اقيح

الرد وقهرته .

٥٧- ومن كتابه عليه السلام

إلى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة
أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا ، إِمَّا ظَالِمًا ،
وَإِمَّا مَظْلُومًا ، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبْغِيًا عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَذْكُرُّ
اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا ۚ لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ
مُحْسِنًا أَعَانَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي .

بلغ أمير المؤمنين عليه السلام وهو في طريقه إلى البصرة : ان ابا موسى
الاشعري - وكان والي الكوفة - يشبط الناس عن نصرته لما ندبهم لحرب
اصحاب الجمل فلما نزل الربطة (٣) أرسل اليه عبد الله بن عباس ومحمد بن
ابي بكر ، يأمره بأن يعتزل العمل ، ويتوعده ان امتنع ، فأبطأ ابن عباس
وابن ابي بكر عنه عليه السلام فلما نزل ذا قار بعث الحسن عليه السلام

(١) الحلي : موطن القبيلة او منزلها .

(٢) لما ههنا بمعنى الاكثولة تعالى : (ان كل نفس لما عليها حافظ) .

(٣) الربطة - بفتح اوله وثانيه وذال معجمة - : قرية تقع عن يمين الداهب من جدة إلى
المدينة المنورة ، على بعد ١٤٦ كيلومتر عن المدينة ، وتعرف اليوم بالواسطة باسم بئر حفر هناك
وبها قبر ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه ، وهو قريب جداً من الطريق المبلط وقد زرته هذه
السنة (١٣٨٩) صحبة الاخ العلامة الشيخ محمد باقر الناصري وجماعة من الحجاج الكرام ويقع
القبر الشريف في مقبرة القرية ويتميز عن سائر القبور باحجار مستديرة حوله وهذه الاحجار
بقية انقاض القبة التي كانت مشيدة عليه إلى وقت غير بعيد ، وعند رجليه قبران والظاهر ان
احدهما لولده والاخر لزوجته فرجائي من يطلع على تعاقبي هذه ان يتنبه لذلك وينبه غيره من
الحجاج والمعتبرين كي لا تفوتهم زيارة هذا الصحابي الجليل .

عليه السلام وعمار بن ياسر ، وزيد بن صوحان^(١) وقيس بن سعد بن عبادة ومعهم الكتاب الذي ذكره الشريف الرضي رحمه الله في هذا الموضع .
روى ذلك ابو محنف لوط بن يحيى الازدي المتوفى سنة (١٧٥) ،
ويراجع في تفصيل القضية (تاريخ الطبري) ج ٦ ص ٣١٧٣ ط ليدن
حوادث سنة ٣٦ ، و (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد : م ٣ - ٢٩١ .
ويظهر من رواية الطبري : ان هذه الرسالة كانت شفوية بلغها الحسن
عليه السلام اهل الكوفة عن امير المؤمنين صلوات الله عليه .

٥٨- ومن كتابه عليه السلام

كتبه إلى اهل الامصار ، يقص فيه ما جرى بينه
وبين أهل صفين :

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا التَّقِينَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ؛

(١) زيد بن صوحان العبدي هو اخو صمصمة وسيحان ابني صوحان له صحبة وكان من
الابدال ، ومن خواص اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ، روي ان ام المؤمنين عائشة كتبت
اليه لما توجهت إلى البصرة : « من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابنها زيد بن صوحان
الخالص ، اما بعد : اذا اتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك وخذل الناس عن علي بن ابي طالب
حتى يأتيك امري » فلما قرأ كتابها قال : امرت بأمر ، وامرنا بغيره فركبت ما امرنا به ،
وامرنا ان نركب ما امرت هي به ، امرت ان تقر في بيتها ، وامرنا ان نقاتل حتى لا تكون
فتنة ، ثم قال : امرك غير مطاع ، وكتابك غير محاب والسلم .

شهد زيد وقعة الجمل مع امير المؤمنين عليه السلام واستشهد يومئذ ، وروي : انه لما صرح
جلس امير المؤمنين عليه السلام عند رأسه وقال : رحمتك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة ،
عظيم المعونة .

وروي في (الاستيعاب) و (الاصابة) و (اسد الغابة) في ترجمته : ان النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم كان في مسير له اذ هوم فجعل يقول : « زيد وما زيد » وسئل عن ذلك فقال صلى الله
 عليه وآله وسلم : « تسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده » فقطعت يده يوم نهاوند واستشهد
يوم الجمل رحمه الله .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ . وَنَبِيِّنَا وَاحِدٌ ، وَدَعَوَتَنَا فِي
 الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللهِ وَالتَّصَدِيقِ
 بِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا : الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا
 اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ ! فَقُلْنَا :
 تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرِكُ الْيَوْمَ بِأَطْفَاءِ النَّائِرَةِ ٢ وَتَسْكِينِ
 الْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمَعَ فَنَقْوِي عَلَى وَضْعِ
 الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ ! فَأَبَوْا
 حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا
 وَحَمَسَتْ . فَلَمَّا ضَرَّسْتَنَا وَإِيَّاهُمْ ٣ ، وَوَضَعْتَ مَخَالِبَهَا
 فِيْنَا وَفِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ
 إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا
 طَلَبُوا ، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ، وَأَنْقَطَعَتْ
 مِنْهُمْ السَّعْدِرَةُ . فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ
 اللهُ مِنَ الْهَلَكَةِ ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ ٤ الَّذِي

(١) الظاهر انه لم يحكم لهم بالإسلام الا بالظاهر .

(٢) النائرة : اسم فاعل من (ثارت الفتنة ثور) وتروي : «النائرة» وحشت : استقرت .

(٣) ضرستنا : عضتنا بأضراسها .

(٤) الراكس : الذي قلب عهده ونكته .

رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ .

سنتعرض لذكر هذا الكتاب في آخر باب الحكم إن شاء الله تعالى .

٥٩ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان^(١)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَلْوَالِي إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ^(٢) مَنَعَهُ ذَلِكَ
كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ
سَوَاءً ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ ، فَاجْتَنِبْ
مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ^(٣) ، وَابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللَّهُ
عَلَيْكَ رَاجِيًا ثَوَابَهُ ، وَمُتَخَوِّفًا عِقَابَهُ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا
قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَّغَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤) ،
وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا ، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ
حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَالْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ^(٥) ،

(١) حلوان - بضم فسكون - من أعمال فارس .

(٢) اختلاف الهوى جريانه مع الاغراض النفسية حيث تذهب .

(٣) أي ما لا تستحسن مثله من غيرك .

(٤) الفراغة : المرة الواحدة من الفراغ .

(٥) الاحتساب على الرعية : مراقبة أفعالها وإصلاح ما فسد منها .

فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ
بِكَ ، وَالسَّلَامُ .

نقله السيد في (الطراز) ج ١ ص ١٧٠ باختلاف يسير جداً نذكره لك
لتعلم انه لم ينقله عن (نهج البلاغة) فانه روى « راجيا لثوابه » كما انه روى
« واعلم ان الدار دار بلية » وروى « فانه لن يغنيك » فبقارن بين ما في روايته
ورواية الرضي اذا شئت

٦٠ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِلَى الْعَمَالِ الَّذِينَ يَطُأُ الْجَيْشَ عَمَلُهُمْ ١

مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ
مِنْ جُبَاةِ الْخَرَجِ وَعُمَالِ الْبِلَادِ .
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَةٌ بِكُمْ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ
الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّدَى ٢ ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ
مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ ٣ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا
مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ فَنَكَلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلماً عَنْ

(١) اي يمر بهم ، وجباة الخراج الذين يجمعونه .

(٢) الشدى : الشر والضرر .

(٣) المعرة : المضرة .

ظَلَمَهُمْ ١ ، وَكُفُّوا أَيْدِي سَفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ
وَالْتَعَرَّضْ لَهُمْ فِيمَا اسْتَشْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ ٢ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِ
الْجَيْشِ ٣ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَّاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ
مِنْ أَمْرِهِمْ ، لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللَّهِ وَبِي ، فَأَنَا
أُغِيرُهُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ .

روى مثل هذا الكتاب نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٢٥
مع زيادة واختلاف في بعض الفقرات .

٦١- وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله على هيت ،
ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو
طالباً الغارة :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وَلِّيَ ، وَتَكَلُّفُهُ مَا
كُفِّيَ ٤ ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ وَرَأْيٌ مُتَبَرِّ ٥ ، وَإِنْ تَعَاطَيْكَ الْغَارَةُ

(١) نكلوا : اي : عاقبوا .

(٢) الذي استثناه : هو حالة الاضطراب .

(٣) اي : انا قريب منكم .

(٤) اي : احمال الوالي ما وليه وتكلفه ما لا يطلب منه حيز عن القيام بما يؤلاه ،
والمتبر - كمظم - الهالك .

عَلَى أَهْلِ قَرْقِيسِيَا ١ ، وَتَعْطِيْلِكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ ،
لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا ، لَرَأَى شَعَاعٌ ؛
فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى
أَوْلِيَائِكَ غَيْرِ شَدِيدِ الدَّنْكِيبِ ٢ وَلَا مَهِيْبِ الْجَانِبِ ،
وَلَا سَادُّ ثُغْرَةٍ ، وَلَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً ، وَلَا مُغْنٍ عَنْ
أَهْلِ مِصْرِهِ ٣ ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ .

قال ابن ابي الحديد : « كان كميل بن زياد (٤) عامل علي عليه السلام
على هيت وكان ضعيفاً (كذا) تمر عليه سرايا معاوية تنهب اطراف العراق
ولا يردّها ويحاول ان يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على اطراف اعمال
معاوية مثل قرقيسيا ، فأذكر عليه السلام ذلك من فعله » .

-
- (١) قرقيسيا - بكسر القافين بينهما ساكن - بلد في سوريا عند ملتقى الخابور بالفرات
وكان دورها خطيراً في الحركة التجارية بين العراق والشام ، والمسالح جمع مسلحة وهي
المواضع التي يقام بها طائفة من الجند لحماية الحدود ، ورأى شعاع - بالفتح - متفرق .
- (٢) شدة المنكب : كناية عن القوة والمنعة ، والثغرة : الفرجة يتسلل منها العدو .
- (٣) اغنى عنه : ناب منابه ، واجزى عنه قام مقامه .
- (٤) كميل بن زياد النخعي التابعي الشهير ، أدرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وروى
عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وروى عنه عبد الرحمن بن عابس وابو اسحاق السبعي
والاعمش وغيرهم ، شهد صفين مع علي عليه السلام ، وكان شريفاً مطاعاً ثقة ، وثقه ابن معين
وجماة وكان من رؤساء الشيعة ، قتله الحجاج سنة (٨٢) . دخل الهيثم بن الاسود على الحليج
فقال له : ما فعل كميل بن زياد ؟ قال : شيخ كبير في البيت ، قال : اين هو ؟ قال : هناك
شيخ كبير خرف ، فدعاه فقال له انت صاحب عثمان ؟ قال : ما صنعت بعثمان ؟ لعلمي فطلبت
القصاص فاقادني فعلوت ، قال : لقد احببت ان اجد عليك سبيلاً فقال : انه ما بقي من عمري
الا القليل (ناقض ما انت قاض) فان الموعد الله ، وقد اخبرني امير المؤمنين علي : انك قاتلي ،
قال : بلى قد كنت فيمن قتل عمر ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه (انظر الاصابة ٣ / ٣٠٠) .

وقد روى هذا الكتاب البلاذري في « انساب الاشراف » ص ٤٧٣
ط : الاعلمي بأخضر من رواية الرضي .

٦٢ - ومن كتابه عليه السلام

إلى أهل مصر ، مع مالك الاشراف لما ولاه إمارتها
أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ ، وَمُهَيِّئًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ ١ فَلَمَّا مَضَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا
كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي ٢ وَلَا يَخْطُرُ بِيَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعَجُ هَذَا
الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مَنْحُوهُ
عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْشِيَالُ النَّاسِ عَلَى فَلَانٍ ٣

(١) المهيمن : الشاهد ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم شاهد بنبوة المرسلين قبله ، واصل
اللفظة من امن غيره من الخوف ، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، ثم تصرفوا فيها
فأبدلوا إحدى همزاتي مؤامن ياء فصارت مؤمين ثم قبلوا الهمزة هاء كآرقت وهرقت
فصارت مهيمن .

(٢) الروح - بضم الراء - : القلب ، او موضع الروح - بفتح الراء - منه ، اي ما
كان يقذف في قلبي ، وتزعج الامر : تنقله .

(٣) انشِيَالُ الناس : انصبابهم من كل وجه كما ينشال التراب ، وفلان : ابو بكر ، قال
ابن ابي الحديد : وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للاشراف ، وإنما الناس يكتبونه فلان تذكراً من
ذكر الاسم كما يكتبون في اول الشقشقية : « أم والله لقد تقمصها فلان » واللفظ : « أما والله
لقد تقمصها ابن ابي قحافة » .
أقول : ولذا اخترنا رواية نسخة ابن ابي الحديد عند نقل الشقشقية .

يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكَتُ يَدِي ١ حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ
 قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحَقِّ دِينِ مُحَمَّدٍ ،
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى
 فِيهِ ثَلَمًا ٢ ، أَوْ هَذَا تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ
 قَوْتٍ وَلَا يَتَكُمُ إِلَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلِيلٍ يَزُولُ
 مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَّقَشُّ السَّحَابُ ،
 فَتَهَضَّتْ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاَحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ،
 وَأَظْمَأَ الدِّينُ وَتَنَهَّهَ .

ومنه : إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ
 كُلِّهَا ٣ مَا بَالَيْتُ وَلَا أَسْتَوْحِشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمْ

(١) امسكت يدي : كففتها عن العمل .

(٢) شبه احد العلماء إمساك علي عليه السلام عن المطالبة بحقه بالقضية التي رفعت اليه عليه
 السلام وهي : ان امرأتين تنازعتا طفلا ، كل تقول : هو ابني ، ولم تكن لواحدة منهما بينة ،
 فاراد ان يظهر جلية الامر فدعا بالسيف وقال : ليقطع الطفل شقين فتمطى كل واحدة منهما شقاً ،
 فأنكرت احدهما بنوته ، ورضيت الثانية بذلك ، فاعطاه للأولى ، واطهر ان من انكرت بنوته
 هي امه ، لان الوالدة قد ترضى بفراق ولدها ولا ترضى بقتله ، وكذلك الحال لو كان المتداعيان
 رجلين ، فلا جرم ان الاب ينكر بنوة ولده ولا تطيب نفسه بقتله ، قال : فعلي عليه السلام ابو
 الدين فلما رأى السيف مشحودا للذبحه ولم ير سبيلا لنجاته الا ان يكف عن ادعائه كف عنه وقال :
 انه ليس بابني ، ليبقى هذا الوليد حياً .

(٣) الطلاع ككتاب : ملء الشيء .

الَّذِي هُمْ فِيهِ وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَّ بِطِيرَةٍ مِنْ
نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ لَمُشْتَاقٌ
وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظَرٌ رَاجٍ ، وَلَكِنِّي آسَى أَنْ يَلِيَ
أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاوُهَا وَفُجَارُهَا ١ فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ
دُولًا ، وَعِبَادَهُ خَوْلًا ، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا ، وَالْفَاسِقِينَ
حِزْبًا فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ ٢ وَجُلِدَ
حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى
رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرِّضَايُخُ ٣ ، فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا

(١) آسى : احزن ، والخول العبيد والاماء ، والحرب : المحاربون .

(٢) قال الشيخ محمد عبده : يريد الخمر : والشارب قالوا عتبة بن ابي سفيان حده خالد بن
عبد الله في الطائف ، قال : وذكروا رجلا آخر لا اذكره اهـ .

والرجل الآخر الذي لم يذكره الشيخ هو الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، ولا ادري لم تخرج
الشيخ عن التصريح باسمه وشربه للخمر ، وصلاته الصبح بأهل الكوفة اربعا وهو سكران ،
وحد علي عايه السلام له لما قامت عليه البيعة بمحضر عثمان ، وحاله في الشناعة التي تقطع على سوء
حاله ، وقبح افعاله - كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) - اشهر من ان يتستر عليه الشيخ
رحمة الله عليه ، وما اشبه قول الشيخ بقول ابن الاثير في مقدمة (الكامل) فانه قال - بعد ان
ذكر ما اضافته الى تاريخ الطبري مما ليس فيه - « ووضعت كل شيء منها موضعه الا فيما يتعلق
بما جرى بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاني لم اصف الى ما ذكره ابو جعفر
شيئا الا ما فيه زيادة بيان ، او اسم انسان ، او ما لا يطن على احد منهم في نقله » اهـ .

ولا ادري لماذا تكلم الحقائق ، او تحرف الكلم عن مواضعها ، او تذكر الامور غير وجهها ؟
(٣) الرضاىخ : العطايا .

أَكْثَرْتُ تَأْلِيْبِكُمْ ١ وَتَأْنِيْبِكُمْ ، وَجَمَعَكُمْ وَتَحْرِیْضَكُمْ ،
وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذَا أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدْ انْتَقَصَتْ ٢ ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ
قَدْ أَفْتُتِحَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزَوَّى ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ
تُغْزَى ، أَنْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلَا
تَثَاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتَقْرُوا بِالْخَسْفِ ، وَتَبْهَوُا بِالذُّلِّ ٣ ،
وَيَكُونَنَّ نَصِيبُكُمْ الْأَخْسَرُ ، وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرْقُ ٤ ،
وَمَنْ نَامَ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ ، وَالسَّلَامُ .

تقدم في مصادر الخطبة برقم (٢٦): ان جماعة من اصحاب امير المؤمنين
عليه السلام طلبوا منه ان يبين رأيه فيمن تقدم عليه ، وذلك بعد فتح عمرو
بن العاص لمصر ، وقتل محمد بن ابي بكر ، فقال لهم عليه السلام : هل
فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي قد قتلت ؟ ثم قال : واني مخرج
اليكم كتاباً اخبركم عما سألتهم ، وأسألكم ان تحفظوا من حقي ما ضيعتم ،
ثم اخراج اليهم كتاباً فيه اكثر ما ذكره الرضي في هذا الموضع ، وقد
ذكرنا مصادره هناك^(٥) ، فما ذكر في صدر هذا الكتاب انه عليه السلام كتبه
إلى اهل مصر مع مالك الاشتر رحمه الله إما ان يكون عليه السلام كتبه اولاً

(١) التأليب : التحريض ، والتأنيب : اللوم .

(٢) انتقصت : أي استولى العدو عليها .

(٣) الخسف : الضيم وتبهؤوا بالذل : تعودوا به .

(٤) الارق - بفتح فكسر - الساهر ، وصاحب لا ينام : الذي لا ينام اعداؤه منه .

(٥) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٢٩٠ - ٩٢٣ .

لأهل مصر ليقرأ عليهم فلما سأله أهل العراق أخرج اليهم منله فقرأ عليهم
واضاف اليه ما تجدد بعد ذلك من الاحداث ، واما يكون وهماً سابقاً للرضي
عليه الرحمة فنقله كما وجدته ، وفي قول ابن أبي الحديد الذي ذكرناه في
حواشي هذا الكتاب ص ٤٤٤ دلالة على انه قد رآه مكتوباً مع الاشر .
وهذا لا يضر بعد ان اثبتنا مصادره عن كتب تقدمت على الرضي
بزمان طويل .

٦٣ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى أبي موسى الأشعري ، وهو عامله على الكوفة ،
وقد بلغه عنه تشبيطه الناس على الخروج إليه لما ندبهم
لحرب اصحاب الجمل :

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ،
فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ ٢ وَأَشْدُدْ مِثْرَكَ ،
وَأَخْرِجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَأَنْدُبْ مِنْ مَعَكَ . فَإِنْ حَقَّقْتَ

(١) التشبيط : الترغيب في القعود ، والتعويق عن المراء .

(٢) هذه الجملة وما بعدها كناية عن التشجيع للجهاد وكنى عن حجرة بمقره غضاً منه واستهانة
به ولو اراد اعظامه لقال : اخرج من غيلك كما يقال للاسد ولكنه جعله تعلية او ضماً . وانذب :
ادع من معك ، (فان حقت) : اخذت بالحق . فانفذ — : اي سر اليها . واراد بتفشلت :
ضعفت وتراخيت .

فَانْفُذْ ، وَإِنْ تَفَشَّلتَ فَابْعُدْ ! وَأَيُّمُ اللَّهِ لَتُؤْتَيْنَ مِنْ حَيْثُ
 أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكَ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ ١ وَذَائِبُكَ
 بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ ٢ وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ
 كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو ٣ ،
 وَلَكِنَّهَا أَلْدَاهِيَةُ الْكُبْرَى يَرْكَبُ جَمْلُهَا ، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ،
 وَيُسَهَّلُ جَبْلُهَا . فَأَعْقِلْ عَقْلَكَ ٤ وَأَمْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخُذْ
 نَصِيْبَكَ وَحَظَّكَ . فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلَا
 فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيْنَ وَأَنْتَ نَائِسُهُ حَتَّى لَا
 يُقَالَ : أَيْنَ فُلَانٌ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَقَّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَمَا أَبَالِي
 مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ ؛ وَالسَّلَامُ .

ابو موسى الاشعري : عبد الله بن قيس اسلم عام خيبر واستعمله رسول

(١) الخاطر : اللين الفليظ ، وهو تمثيل لتردده في نصرة امير المؤمنين عليه السلام واصل
 المثل : « لا يدري ايثر ام يذيب ؟ » واصابه : ان المرأة تسلا السمن (اي تذيبه) فيختلط
 خائره برقيقه فلا يصفو فتبحار لذلك ان اوقدت النار حتى يصفو احترق وان تركته بقي كدراً .
 (٢) القعدة : هيئة القعود ، واعجله عن الأمر حال دون ادراكه ، والمعنى : عليك الامر
 حتى يحال بينك وبين جلستك في الولاية .

(٣) الهوينى : تصغير الهوى - بالضم - مؤنث اهون .
 (٤) اي قيده بالمزيمة ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .
 (٥) رحب المكان رحباً - بالضم - : اي اتسع فهو رحب بالفتح ، وقوله عليه السلام :
 « فبالحري ... الخ » : معناه جدير ان تكفيك القتال ونظفر وانت نائم خامل لا يسأل عنك .

الله ﷺ على زبيد وعدن ثم استعمله عمر على البصرة بعد عزل المغيرة بن
شعبة - لما اتهم بما اتهم به - واقره عثمان عليها بعد مقتل عمر ثم عزله
واستعمل بعده ابن عامر فانتقل إلى الكوفة فلم يزل بها حتى اخرج اهل
الكوفة سعيد بن العاص ، وطلبوا من عثمان ان يستعمله عليهم فاستعمله ،
فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ، فطلب اهل الكوفة من امير المؤمنين
عليه السلام ، ان يقره على عمله فأقره على ما يعلمه من دخيلة نفسه حتى
كان من امره ما كان من تشييط الناس عن نصرة امير المؤمنين لما سار
لاصحاب الجمل فعزله وولى مكانه قرظة بن كعب الانصاري .

وانحراف ابي موسى عن امير المؤمنين عليه السلام مشهور - كما يقول
ابن عبد البر - وما يومه منه بواحد ، وكلمات امير المؤمنين فيه التي رواها
غير الشريف كالطبري وابن الاثير والمسعودي وابن ابي الحديد و... تثبت
ما ذهب اليه صاحب (الاستيعاب) فلا يستبعد صدور مثل هذا الكتاب عن
امير المؤمنين لمثل هذا الرجل ، واني لارجو الله سبحانه ان يوفقني للعثور
على نص ما رواه الرضي في هذا الموضع فأثبتته فيما يأتي من صحف هذا
الكتاب فانه نعم المولى ونعم النصير .

٦٤ - ومن كتابه عليه السلام

معاوية جواباً

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنْ
الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسٍ أَنَا آمَنَّا
وَكَفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ

مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كُرْهًا ۱ ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ
لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَزْبًا .

وَذَكَرْتُ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَدْتُ
بِعَائِشَةَ ۲ ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمَصْرَيْنِ وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتُ عَنْهُ فَلَا
عَلَيْكَ ، وَلَا أَلْعَدُّ فِيهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتُ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ
أَنْقَطَعَتِ الْهَجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ ۳ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ

(١) المراد (بمسلمكم) أبو سفيان فإنه أسلم قبل فتح مكة ببليلة - كما هو معروف - جاء به
العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذ له أماناً - وكانت بينهما صداقة - فلما مثل
بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تشهد أن لا إله إلا
الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أكرمتك واحلمك لو كان مع الله اله لأغنى عنا يوم بدر ، قال
الم يئن لك أن تشهد أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي أما هذه ففي النفس منها شيء ،
فقال له العباس : ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك فأسلم كرهاً وبقي على شكه ولم يدخل الإيمان
في قلبه وكلماته بعد إسلامه تعرب عن ذلك كشماثته بالمسلمين لما انهزموا يوم حنين قوله لما
سمع الضرب على الطاغية صنم ثقيف : وأها لك أيها لك .
وقوله يوم اليرموك إذا رأى الروم ظهرُوا على المسلمين : أياه بني الأصفر حتى قال الزبير :
قاتله الله يأبى الانفاق . وقوله وقد مر على قبر حمزة بن عبدالمطلب أيام عثمان : يا أبا عمار إن الذي
قاتلتمونا عليه بالأمس أصبح في أيدي غلماننا وقوله يومئذ : تلاقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة
فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار ، إلى غير ذلك مما رواه علماء السير ومترجموا
الرجال .

(٢) سرده به : سمع الناس يعوبه ، أو أطرده وفرق امره .

(٣) أخوه : هو يزيد بن أبي سفيان أسر يوم الفتح في باب الخندمة ، وكان قد خرج
في نفر من قریش يمنون المسلمين من دخول مكة فقتل منهم قوم وأسز يزيد والمعي ليس معك
مهاجر ، لأن أكثر من معك أسلم بعد الفتح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا
هجرة بعد الفتح » وفي رواية ابن قتيبة (أبوك) وهو تحريف . وفسر الشيخ محمد عبده (أخوك)
بعمرو بن أبي سفيان وقال : أسر يوم بدر وهو وهم لأن الهجرة ممنوعة بعد الفتح لا بعد بدر
كما مر في الحديث الشريف .

فَاسْتَرْفِهٖ ١ فَإِنِّي إِنِ أَزْرَكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا
بِعَثْنِي إِلَيْكَ لِلنَّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرَّنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو
بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَّاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ

بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلُودٍ ٢

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ ٣ وَخَالَكَ
وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ - وَاللَّهِ - مَا عَلِمْتُ ٤
الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ ، وَالْأَوَّلُ ٥ أَنْ يُقَالَ
لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلْمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعُ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ،
لَأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ٥ وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ،
وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ

(١) اي فكن ذا رفاهية واسترح ولا ترهقن نفسك بالعجل فلا يد من تلاقينا .

(٢) يقال : ريح حاصب : اي تحمل الحصباء : وهي صغار الحصى ، واغوار جمع غور - بالفتح - : وهو ما سفل من الارض ، والجلود - بالضم - : الصخر .

(٣) يقال : اعضضته سيفي : ضربته به ، وجده : عتبة بن ربيعة ، وخاله : الوليد بن عتبة ، واخوه : حنظلة بن ابي سفيان قتلهم امير المؤمنين عليه السلام يوم بدر .

(٤) « ما » خبر « إن » : اي انت الذي اعرفه ، والاغلف القلب : الذي لا بصيرة له كأن قلبه في غلاف ، ومقارب العقل : ناقصه ، كأنه يكاد يكون عاقلا وليس به .

(٥) الضالة : ما فقدته من ماله ونحوه ، ونشد الضالة طلبها ليردها . مثل يضرب لطالب غير حقه ، والسائمة : الماشية .

قَوْلِكَ مِنْ فَعْلِكَ !! وَقَرِيبُ مَا أَشْبَهْتَ ١ مِنْ أَعْمَامٍ
وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمْ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنَّى الْبَاطِلَ عَلَى الْجُحُودِ
بِمُحَمَّدٍ ، ﷺ ، فَضَرَعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ
يَدْفَعُوا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سَيْوِفٍ مَا خَلَا
مِنْهَا الْوُغَى ٢ ، وَلَمْ تَمَاشِهَا الْهُوَيْنَا .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ
النَّاسُ ٣ ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى
كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةٌ
الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

اما الكتاب الذي كتبه معاوية وهذا الكتاب جوابه فهو :

من معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .

اما بعد : فانا بني عبد مناف لم نزل من قليب واحد ، ونجوي في حلبة
واحدة ١٥ ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقائنا على قاعدنا فخر ،

(١) ما مصدرية : اي وقريب شبهك .

(٢) الوغى : الحرب ، و « لم تماشها » : لم تصاحبها ؛ والهوينا : الرفق والمساهلة

(٣) اي البيعة .

(٤) من ابقائك والياً في الشام ، وتسليمك قتلة عثمان ، والخدعة - مثلثة الخاء - ما
يصرف به الصبي عن اللبن وطلبه في اول الفصال : اي الفطام ، وما بين المعقوفين من زيادات
نسخة ابن ابي الحديد كما لا يخفى .

(٥) القليب : البئر والمعنى من اصل واحد ، والحلبة الخيل تجتمع للسباق .

كلمتنا مؤتلفة وإفنتنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كرم العرق ،
ويحونا ، شرف النجار ^(١) ويحن قوينا على ضعيفنا ، ويواسي غينا فقيرنا ،
قد خلصت قلوبنا من غل الحسد وطهرت انفسنا من خبث النية ، فلم نزل
كذلك حتى كاذ منك ما كان من الادهان ^(٢) في امر ابن عمك والحسد له ،
وتضريب ^(٣) الناس عليه حتى قتل بمشهد منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد ،
فليتك اظهرت نصره ، حيث اسررت خترة ^(٤) ، فكنت كالمترقب بين
الناس بعذر وإن ضعف ، والمتبري من دمه بدفع وان وهن ، ولكنك
جلست في دارك تدس اليه الدواهي ، وترسل اليه الافاعي ، حتى إذا قضيت
وطرك ^(٥) منه اظهرت شماتة وابديت طلاقه وحمزت للأمر عن ساعدك
وشمرت عن ساقك ^(٦) ودعوت الناس إلى نفسك ، واكرهت اعيان
المسلمين على بيعتك ، ثم كان منك بعدما كان ، من قتلك شيخي المسلمين
ابي محمد طلحة وابي عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة والمبشر
قاتل احدهما بالنار في الآخرة ، هذا إلى تشريدك بأمر المؤمنين عائشة وإحلالها
محل الهون ^(٧) مبتذلة بين ايدي الاعراب ، وفسقة اهل الكوفة ، فمن بين
منتهر لها ^(٨) وبين شامت بها ، وبين ساخر منها ؛ ترى ابن عمك بهذه
العوراء ^(٩) راضياً ؟ ام كان عليك ساخطاً ، ولك عنه زاجراً ، ان تؤذي
اهله ، وتشرد بحليلته ، وتسفك دماء اهل ملته ؟ ثم تركك دار الهجرة ،

(١) العرق : اصل الشيء ، والنجار : الاصل ايضاً .

(٢) الادهان : الغش واظهار خلاف ما يضرر وعنى بابن عمه عثمان .

(٣) التضريب بين الناس : الاغراء .

(٤) الختر : القدر والخديعة ، او اقبح القدر .

(٥) الوطر : الحاجة .

(٦) حسر للأمر عن ساعده : كشف عنه وفي معناها شمر عن ساقه وهي كناية عن التأهب

والاستعداد .

(٧) المراد بالهون هنا الاذلال .

(٨) انتهره ونهره : زجره .

(٩) العوراء : ما يقبح من القول والفعل .

التي قال رسول الله ﷺ عنها : « ان المدينة لتتفي خبثها كما ينفي الكبر خبث الحديد »^(١) فلعمري لقد صح وعده ، وصدق قوله ، ولقد نفت خبثها ، وطردت عنها من ليس بأهل ان يستوطنها فأقمت بين المصريين ، وبعدت عن بركة الحرمين^(٢) ، ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة ، وبمجاورة الخورنق والحيرة^(٣) عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة ، ومن قبل ذلك ما عيبت خليفتي رسول الله ﷺ ايام حياتهما ، فقعدت عنهما ، وألبت عليهما^(٤) ، وامتنعت من بيعتهما ، ورمت امرأ لم يرك الله تعالى له اهلا ، ورقيت سلماً وعراً ، وحاولت مقاماً دحضاً^(٥) ، وادعيت ما لم تجد عليه ناصرأ ، ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت الافساد واضطراباً^(٦)

(١) كبر الحداد : منفاخه ، وخبث الحديد : ما نفاه الكبر منه وهو ما لا خير فيه وقد علق الاستاذ احمد زكي صفوت على هذا بقوله : « والعجب كل العجب ان يصم علياً بتركه دار الحجره ، وان يقول له : ان المدينة قد نفتك عنها لانك خبث ، مع ان هذا القول مردود عليه هو ، فقد نفته المدينة عنها منذ ولي الشام من عهد عمر فهو اذن خبث ! وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا إلى البصرة والذين يتمصب لهم ، ويحتج بهم والكلام في ذلك طويل نجتزي منه بهذا القدر اليسير » انظر حاشية (جمهرة رسائل العرب) ٢ / ٢١٦ .

(٢) المراد بالمصريين البصرة والكوفة ، وبالحرمين مكة والمدينة .

(٣) الخورنق - يفتح اوله وثانيه وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف : قصر يظهر الحيرة سمي باسم الموضع الذي بني فيه بناء احد ملوك اللخمين في ستين عاماً قيل : بناء رجل من الروم يقال له : سنمار « بكسر السين والنون وتشديد الميم » فكان يبني السنيتين والثلاث ويغيب الخمس سنين وأكثر من ذلك واقل ، فيطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتج ، فلم يزل يفعل هذا ستين سنة حتى فرغ من بنائه ، فصعد الملك على رأسه ونظر إلى البحر اتجاهاه ، والبر خلفه ، والنخل حوله ، فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال له سنمار : اني لاعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله ، فقال : ايعرفها احد غيرك ؟ قال : لا ، قال : لا جرم لادعنها ولا يعرفها احد ثم امر به فحذف من اعلى القصر فتقطع فضر به المثل فقيل : « جزائي جزاء سنمار » . وقيل : قتله خشية ان يبني لغيره مثله وهو الارجح

(٤) التأليب : التحريض .

(٥) مكان دحض - بالفتح ويحرك - زلق .

(٦) الاضطراب : الاختلاف .

ولا عقبته ولا يتكلمها الا انتشاراً وارتداداً لانك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه (١) ، المستطيل على الناس بلسانه ويده ، وها انا سائر اليك في جمع من المهاجرين والانصار ، تحفهم سيوف شامية ، ورماح قحطانية ، حتى يحاكموك إلى الله .

فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إلى قتلة عثمان ، فانهم خاصيتك وخلصاؤك ، والمحدثون بك ، فان أبيت الا سلوك سبيل اللجاج ، والاصرار على الغي والضلال ، فاعلم ان هذه الآية انما نزلت فيك وفي اهل العراق معك : « ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

ذكر ذلك ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عند تعرضه لشرح هذا الكتاب . وفي ذكره لكتاب معاوية دليل على انه رأى كتاب معاوية وجواب علي عليه السلام له في مصدر غير « نهج البلاغة » .

وقد رواه ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ٧٠ مختصراً كما رواه بعد الرضي الطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٦٣ .

وعلق الاستاذ احمد زكي صفوت على هذا الكتاب بقوله « وانت اذا تدبرت هذا الكتاب وجدت اسأوبه مغالطة في الصاق هذه التهمة بعلي ، فان علياً لم يقتل طلحة والزبير ، وأنها قتلا في خروجهما عليه ولم يشرده بعائشة بل هي شردت بنفسها ، وخرجت إلى البصرة للطلب بدم عثمان فتعرضت لما نالها ، على ان علياً بعد ان هزم اصحابها أمر أخاها محمد بن ابي بكر ان يضرب عليها قبة ، وقال : انظر هل وصل اليها من جراحة فوجدها سليمة لم تصب بشيء » - إلى ان قال - ثم جهزها بكل ما ينبغي لها من مركب او

(١) ذهب بنفسه : اي تمادى في الكبرياء والمعجب .

زاد أو متاع ، واختار لها اربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات
يرافقنها إلى المدينة ، وقال : تجهز يا محمد فبلغها ... الخ » (١) .

٦٥ - ومن كتابه عليه السلام

إليه ايضاً

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ آتَى لَكَ أَنَّ تَنْتَفِعَ بِاللَّمَحِ الْبَاصِرِ
مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ ٢ فَقَدْ سَلَكَتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِإِدْعَائِكَ
الْأَبَاطِيلَ ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ ٣ ،
وَبَانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ ٤ ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ
دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ

(١) انظر : (جبهة رسائل العرب) ١ / ٤١٧ .

(٢) آتَى لَكَ : أي قرب وحن ، واللمح الباصر أي الامر الواضح ، والمعنى ظهر الحق
فلك ان تنتفع بوضوحه من مشاهدة الامور .

(٣) المدارج : المسالك جميع مدرجة ، أي اتبعت طرائق اهلك ذوي الكفر والشقاق ،
واقحامك : ادخالك في اذهان العامة . غرور المين : أي الكذب ، وعطف الاكاذيب للتأكيد .

(٤) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وليس له ، والابتزاز : الاستلاب . أي سلبك امراً .
اختزن : أي منع دون الوصول اليك ، وذلك الطلب بدم عثمان ، والاستبداد بالشام وهما من
حقوق الامام لا من حقوق معاوية .

(٥) المراد بما هو الزم الخلافة لانه قد وعاهما اما بالنص - كما هو الحق - فانه سمع ذلك
من رسول الله يوم الغدير لانه حج حجة الوداع ، او بالبيعة فانه قد اتصل به خبرها وتواتر لديه
وقوعها فصارت من المعلومات بالضرورة .

مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ . مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِيَّ بِهِ
صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ ، وَبَعْدَ
الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ ١ ؟ فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى
لُبْسَتِهَا ؛ فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيْبَهَا ٢ ، وَأَعَشَتْ
الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنْ الْقَوْلِ ٣
ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ ؛ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُهَا مِنْكَ عِلْمٌ
وَلَا حِلْمٌ ، أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ ٤
وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ ، وَتَرَقَّيْتُ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةٍ

(١) اللبس - بالفتح - : الخلط ، واللبسة - بالضم - : الاشكال .

(٢) يقال : اغدفت المرأة قناعها : ارسلته على وجهها فسترته ، واغدفت الليل ارضي
سدوله : اي اغطيته من الظلام ، والجلابييب جمع جلباب : وهو الثوب الاعلى يغطي ما تحته ،
واعشت الابصار رؤيتها : اي اكتسهاها الفشاء : وهو ظلمة العين .

(٣) افانين القول : اساليبه المختلفة ، والسلم - هنا - : الاسلام اي : لم تصدر تلك
الافانين المختلفة من مسلم ، والاساطير : الاباطيل واحدها اسطورة واسطورة - بالكسر والالف
بعد الطاء - ، وحوك الكلام : صنعته ونظمه ، والحلم : العقل والمعنى ما صدر هذا الكلام والمجر
الفاسد عن عالم ولا عاقل .

(٤) الدهاس - كسحاب - : ارض رخوة لا هي تراب ولا رمل ولكن منهما يعسر فيها
السير ، والدديماس - بفتح فسكون - : السرب المظلم تحت الارض ، والخبط في السير : المشي
على غير هدى .

المرام ١ نازحة الأعلام ، تقصُر دونها الأنسوق^٢
ويحاذي بها العيوق .

وحاشَ لله أن تليَ للمسلمينَ بعديَ صدرًا أو وردًا^٣
أو أُجريَ لكَ على أحدٍ منهمَ عقدًا أو عهدًا !! فمنَ
الآنَ فتداركَ نفسكَ وأنظرَ لها ، فإنَّك إن فرطتَ حتَّى
ينهدَ إليكَ عبادُ الله ؛ أرتجتَ عليكَ الأمورَ ، ومنعتَ
أمرًا هوَ منكَ اليومَ مقبولٌ ؛ والسلامَ هـ .

قال ابن ابي الحديد : وهذا الكتاب جواب كتاب وصل من معاوية
اليه عليه السلام بعد قتل علي عليه السلام الخوارج ، وفيه تلويح بما كان
يقوله من قبل ان رسول الله ﷺ وعدني بقتال طائفة اخرى غير اصحاب
الجمل وصفين وانه سماهم المارقين ، فلما واقعهم عليه السلام بالنهروان ،

(١) المرقبة - بفتح فسكون - : مكان الارتقاب وهو الموضع العالي يقف فيه الرقيب ،
والاعلام جمع علم : وهو ما ينصب ليهتدي به ، ونازحة : بعيدة .
(٢) الانوق - كأقول - : طائر قيل هو الرخمة ، يقال : « اعز من بيض الانوق »
لأنها تحرزه ولا يكاد احد يظفر به لان اوكارها في رؤوس الجبال والاماكن الصعبة
البعيدة ، والعيوق - بفتح فضم مشدد - : نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن يتلو الثريا
لا يتقدمها .

(٣) حاش لله ، اي : معاذ الله ، والاصل في رسمها اثبات الالف ولكنهم اتبعوا رسم
المصحف . الورد - بكسر الواو - : الاشراف على الماء والصدر - بالتحريك - الرجوع
بعد الشرب .

(٤) ينهد اليك : بمعنى ينهض وارتجت الامور اغلقت .

(٥) ذلك الامر هو حقن دمه باظهار الطاعة .

وقتلهم كلهم بيوم واحد وهم عشرة آلاف احب ان يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل ، ويعد به أصحابه وخواصه فقال له : قد آن لك ان تنتفع بما عاينت وشاهدت ، معاينة ومشاهدة : من صدق القول الذي كنت اقوله للناس ويبلغك فتستهزىء به (١) .

فهذا نص من ابن ابي الحديد على ان هذا الكتاب كان جواباً لكتاب كتبه معاوية اليه عليه السلام ولا جرم انه رأى كتاب معاوية وجواب الامام له عليه السلام في مصدر آخر ولكنه لم يذكره ، والشريف الرضي لم يشر إلى ذلك فلاحظه جيداً .

٦٦- ومن كتابه عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس

وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ
لَيَفُوتَهُ ٢ وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ،
فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نَلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ
أَوْ شِفَاءٍ غَيِظٍ ، وَلَكِنْ إِطْفَاءُ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءُ حَقٍّ !!

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٢٢٢ .

(٢) علق الشيخ محمد عبده على هذا الكتاب بما هو آت :

قد يفرح الانسان بنيل مقدور له لا يفوته ، ويمزن لحرمانه مما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه ، فاذا وصل اليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به ان كان لذة او شفاء غيظ ، بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وانما تفرح بما كان احياء حق ، وابطال باطل ، وعليك الاسف والحزن بما خلقت - اي تركت - من اعمال الخير ، والفرح بما قدمت منها لآخرتك .

وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ ،
وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ .

تقدمت مصادر هذا الكتاب برقم (٢٢) ج ١ ص ٣٢٧ من هذا الكتاب
وانما اعاده الرضي هنا لاختلاف الرواية كما اشار إلى ذلك . ونضيف إلى
مصادره هنا ان المأمون رواه عن ابيه عن آبائه عن ابن عباس كما في « صفة
الصفوة » ج ١ ص ٣٤٧

ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » في احوال علي عليه السلام
بطريقين الاول ينتهي إلى ابي عبيدة عن يونس قال بلغني ان عباس كان
يقول : كتب إلي علي بن ابي طالب بموعظة ما سررت بموعظة سروري
بها الخ ، والثاني عن ابراهيم بن سعيد بن المأمون عن آبائه كما مر .

٦٧ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى قُشَمِّ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ
أَمَّا بَعْدُ ؛ فَاقْسِمَ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ
اللَّهِ ١ ، وَاجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِي ، وَعَلِّمْ
الْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ الْعَالِمَ ؛ وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ
سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ ، وَلَا تَحْجِبَنَّ
ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَانْهَازْهَا عَنْ أَبْوَابِكَ فِي

(١) امره ان يذكرهم بايام الله وهي ايام الانعام وايام الانتقام لتحصيل الرغبة والرهبة ،
والعصران : الغداة والعشي من باب التغليب .

أَوَّلِ وَرْدِهَا ۱ لَمْ تُحَسَدَ فِيهَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا .

وَأَنْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى
مَنْ قَبْلَكَ ۲ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ
الْفَاقَةِ وَالْخَلَائِ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا
لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا .

وَمَنْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا ، فَإِنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : (سَوَاءٌ أَلْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ)
فَالْعَاكِفُ : الْمُقِيمُ بِهِ ، وَالْبَادِي : الَّذِي يَحْجِجُ إِلَيْهِ مِنْ
غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابَّتِهِ ۳ . وَالسَّلَامُ .

هذا الكتاب رواه بعد الرضي القطب الراوندي في كتاب (فقه القرآن)
بصورة تدل على انه لم ينقله عن (نهج البلاغة) (٤) .

(١) ذيدت دفعت ومنعت مبني للمجهول من (ذاده يذوده) اذا طرده ودفعه ووردها -
بالكسر - ورودها ، والحاجة اذا منعت او لا ثم قضيت ثانياً لم ينصرف صاحبها في الغالب
الاكثر الا بالذم .

(٢) قبلك - بكسر ففتح - اي : عندك ، والفاقة : الفقر الشديد ، والحلة - بالفتح -
الحاجة .

(٣) محاب - بفتح الميم - مواضع محبته من الاعمال .

(٤) انظر (مستدرك الوسائل) : م ٢ / ١٤٤ .

٦٨- ومن كتابه عليه السلام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسْهًا قَانِلٌ
سَمَّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ
مِنْهَا ، وَضَعْ عِنْدَكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا
وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا ١ أَحْذَرِ مَا
تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُورٍ
أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ ٢! أَوْ إِلَى إِيْنَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ
إِلَى إِيْحَاشٍ ، وَالسَّلَامُ .

روى صدر هذا الكتاب قبل الشريف الرضي ثقة الاسلام الكليني في كتاب
(الايمان والكفر) من (اصول الكافي) : ج ٢ - ١٣٦ ولم يذكر انه
كتبه إلى سلمان رضي الله عنه . ورواه بعد الرضي المفيد في (الارشاد)
ص ١٢٤ ، والقاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ٣٧ ، والشيخ
ورام في (تنبيه الخواطر) : ١ - ١٣٣ بألفاظ تختلف قليلا عما في (النهج)
مما يدل أن مصادرهم غيره ، ونقل الرضي بعض هذا الكلام في الباب
الثالث من ابواب (نهج البلاغة) تحت رقم : ١٩٩ كما سيأتي إن شاء الله .

(١) اي فليكن اشد حذرک منها في حال شدة انسک بها .

(٢) اشخصته : اذهبتة .

٦٩- ومن كتابه عليه السلام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحَهُ ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ ،
وَحَرَّمَ حَرَامَهُ ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ ؛ وَاعْتَبِرَ
بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا ، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ
بَعْضًا ، وَآخِرَهَا لَأَحَقُّ بِأَوَّلِهَا ! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ
وَعَظَّمَ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ٢ ، وَأَكْثَرَ ذِكْرَ
الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطِ
وَثِيقٍ ٣ وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ
لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ يَعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ
وَيَسْتَحْيِ مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ وَأَحْذَرُ كُلِّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ

(١) حائل : زائل .

(٢) اي : لا تحلف به سبحانه الا على الحق تعظيماً له وفي الحديث : « ان عيسى عليه السلام قال : بحق اقول لكم : ان موسى كان يأمركم ان لا تحلفوا بالله كاذبين وانا اقول لكم : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولكن قولوا : لا ونعم » .

(٣) قال ابن ابي الحديد : هذه كلمة شريفة عظيمة القدر اي لا تتمن الموت الا وانت واثق من اعمالك الصالحة انها تؤدبك إلى الجنة وتنقذك من النار ا هـ .

وفسرها الامام الشيخ محمد عبده بمعنى آخر قال : اي : لا تقدم الموت رغبة فيه الا اذا علمت ان الغاية اشرف من بذل الروح ، والمعنى : لا تخاطر فيما لا يفيد من سفاسف الامور .

صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوْ اعْتَدَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً
لِنِسَائِلِ الْقَوْلِ ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ
فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِباً وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ
بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا ، وَأَكْظِمِ الْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ
الْمَقْدَرَةِ . وَأَحْلَمْ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَأَصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ ١
تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ
عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ
عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ ٢
وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذَخْرُهُ ،

(١) اي : عندما تكون لك السلطة ، « وهذه كانت شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيمة علي عليه السلام أما شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظفر بمشركي مكة ومعا عنهم ، وأما علي عليه السلام فظفر بأصحاب الجمل وقد شقوا عصا الاسلام عليه ، وطعنوا فيه ، وفي خلافته ففعا عنهم مع علمه عليه السلام بأنهم يفسدون عليه امره فيما بعد ، ويعيدون إلى معاوية اما بانفسهم او بأرائهم ومكتوباتهم وهذا اعظم من الصفح عن اهل مكة ، لان اهل مكة لم يبق لهم — لما فتحت — فئة يتحيزون اليها ، ويفسدون الدين عندها » .

ومعنى قوله عليه السلام « واستصلح كل نعمة » اي استدمها لانه اذا استدامها فقد اصلحها فان بقاءها صلاح لها ، واستدامتها بالشكر ، واضاعة نعمة الله : الغفلة عنها ، والتقصير في شكرها . وظهور اثر النعمة عليه : اظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها إلى اهل الاستحقاق .

(٢) تقدمه — كتجربة — مصدر قدم — بالشديد — اي بذلا وانفاقا والمعنى : ان افضل المؤمنين افضلهم صدقة يقدمها من نفسه باقواله وافعاله وامواله ومن اهله كذلك ، ثم بين له ان ما يقدمه يكون خيره له وما يؤخر يكون خيره لغيره .

وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِّغَيْرِكَ خَيْرُهُ ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ .
 رَأْيُهُ ١ وَيُنْكِرُ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ .
 وَأَسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَاحْذَرْ
 مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ،
 وَأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَغْنِيكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ
 فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ ٢ ، وَأَكْثَرُ أَنْ
 تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضِّلْتَ عَلَيْهِ ٣ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ
 الشُّكْرِ ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا
 فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٤ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وَأَطِيعِ اللَّهَ
 فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا ،

(١) قال الرأي يفيل اي : ضعف ، وجماع المسلمين : مجتمعهم .

(٢) المعارض : جمع معارض - كحراب - وهو سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ
 الوسط يصيب بعرضه دون حده ، والاسواق كذلك لكثرة ما يمر على النظر فيها من مثيرات
 اللذات والشهوات .

(٣) اي : إلى من دونك ممن فضلك الله عليه ، ووجه كونه باباً للشكر انه يكون سبباً
 للدخول اليه منه وكل ما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته .

قال ابن ابي الحديد : وصدق عليه السلام لانك اذا رأيت جاهلاً وانت عالم أو غافلاً وانت
 اعلم منه ، أو فقيراً وانت أغنى منه ، أو مبتلى بسقم وانت معافى كان ذلك باعثاً وداعياً إلى الشكر .

(٤) نهاء عن السفر يوم الجمعة لان صلاة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التأهب لها
 فوضعه للسفر وضع للشيء في غير موضعه ، واستثنى فقال : الا فاصلاً : اي خارجاً ذاهباً
 في سبيل الله اي شاخصاً إلى الجهاد ، قال : او في امر تعذر به اي لضرورة دعتك إلى ذلك ،
 والمراد بجمل اموره : جميعها .

وَخَادِعَ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا ،
وَاخْذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنْ
الْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مُحَلِّهَا ،
وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آتِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي
طَلَبِ الدُّنْيَا ، وَإِيَّاكَ وَمَصَاحِبَةَ الْفُسَاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالْشَّرِّ
مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ اللَّهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ
جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ؛ وَالسَّلَامُ ٢ .

قال الشيخ ميثم البحراني في شرحه على (نهج البلاغة) ج ٥ - ٢٢١ بعد
فراغه من ايراد ما رواه الرضي من هذا الكتاب : « اقول : وهذا الفصل
من كتاب طويل اليه ، وقد امره فيه بأوامره وزجره بزواجره ، مدارها
على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب » وفي قوله (رحمه الله) :
(من كتاب طويل) برهان على انه رآه في مكان آخر ولكنه لم يشر اليه ،
هذا وقد نثر الآمدي هذا الكتاب في مواضعه من كتاب (غرر الحكم)
وفيما رواه فقرات لم ترو في (نهج البلاغة) مع مغايرة في بعض الالفاظ
وفي ذلك برهان آخر على ان له مصدراً غير (النهج) وسنشير إلى
بعض هذه الزيادات والمغايرات فيما يأتي بوضعها بين قوسين :
١ - تمسك بجبل القرآن (وانتصحه) (٣) وحلل حلاله ، وحرم حرامه

(١) الآتي : العبد المهارب من سيده .
(٢) حذره من الغضب ونفره منه بوصفه من جنود ابليس لعنه الله لان الغضب يوجب
الاضطراب في ميزان العقل ، ويدفع صاحبه للتورط فيما لا يرضي الله وهذا اكبر عون
لابليس على اضلاله .
(٣) رواية النهج : (استنصحه) .

« واعمل بعزائمه واحكامه » (١) : ص ١٥٦

- ٢ - ائذو (مصاحبة) كل من (يقبل) (٢) رأيه ، وينكر عمله . (الغور)
٣ - اقصر « همك على » (٣) ما لا يلزمك ولا تنقص فيما لا يعنيك » (الغور ٦١)
٤ - إياك ومقاعد الاسواق فانها « معارض » (٤) الفتن ومحاضر الشيطان «
(الغور - ٧٦) فلاحظ .

٧٠ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الانصاري ه وهو عامله على المدينة
في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية
أَمَّا بَعْدُ ، فَهَكَذَا بَلَّغْنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَمَلَّلُونَ

- (١) عثت رواية الشريف الرضي من هذا البسلة .
(٢) في (التهج) ائذو صحابة من يغفل وقد ذكرنا معناها ، اما معنى رواية الآمدي :
ان يئذو صحبة من تعرف آراؤه وتذكر أفعاله اي يفعل المنكر مع انه يرى انه منكراً والعياذ بالله .
(٣) ما رواه الرضي : « اقصر رأيك على ما يعنيك » .
(٤) في (تهج البلاغة) : « فانها محاضر الشيطان ومعارض الفتن » .
(٥) سهل بن حنيف - بأحاء المهمة المضمومة - الانصاري ، من خيار الصحابة شهد
بدرآ ، وابل يوم احد بلاه حسناً ، ولزم امير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ،
واستخلفه على المدينة لما خرج عليه السلام لحرب اصحاب الجمل ، ثم شهد معه صفين وتوفي
بالكوفة سنة ٣٨ بعد رجوع امير المؤمنين عليه السلام من صفين فوجد عليه وجداً كثيراً وكان من
احب الناس اليه عليه السلام وقال : « لو احبني جيل لتهافت » وهذه الكلمة من كلمة القصار
وقد رواها الشريف الرضي في الباب الثالث من ابواب (تهج البلاغة) كما سيأتي ذلك ان شاء
الله تعالى برقم (١١١) ج ٤ ص ١٠٣ .
وصل عليه امير المؤمنين عليه السلام وكبر عليه خمساً ثم ادركه بعض من لم يصل عليه من
الناس فوضعه فصل عليه وهكذا حتى كبر عليه خمساً وحشرين تكبيرة في خمس صلوات .
(٦) قبلك - بكسر ففتح - اي في جهتك ، ويتسللون ، يخرجون واحداً بعد واحد
في خفية واستتار .

إِلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ،
وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكُفَى لَهُمْ غَيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ
شَافِيًا . فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ ، وَإِيْضَاعُهُمْ إِلَى
الْعَمَى وَالْجَهْلِ ٢ ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ،
وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا ٣ ، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ ،
وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ ،
فَهَرَّبُوا إِلَى الْآثَرَةِ ٤ ، فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُخْفًا .

إِنَّهُمْ - وَاللَّهِ - لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرِ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا
بِعَدْلٍ ، وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُدَلِّلَ اللَّهُ لَنَا
صَعْبَهُ ، وَيَسْهَلَ لَنَا حَزْنُهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ .

روى هذا الكتاب قبل الرضي البلاذري في « أنساب الأشراف » ص
١٥٧ ط الإعلمي في ترجمة علي عليه السلام كما روى بعضه ابن واضح في
تاريخه ج ٢ ص ١٩٢ .

-
- (١) النفي : الضلال .
(٢) الإيضاع : الإسراع من وضع البعير إذا أسرع ، والعسى : الضلال .
(٣) اطّلع : أسرع .
(٤) الآثرة - بالتحريك - اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها والسيق -
بضم السين - البعد .
(٥) الحزن : ما غلظ من الأرض وغدده السهل ، والمراد به هنا الأمر الصعب .

٧١ - ومن كتابه عليه السلام

إلى المنذر بن الجارود العبدي ١ وقد خان في بعض

ما ولاء من أعماله

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرْنِي مِنْكَ ، وَظَنَنْتُ
أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ ٢ ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا

(١) هو المنذر بن الجارود العبدي ، واسم الجارود بشر بن خنيس ، وانما سمي الجارود لما قاله بعض الشعراء فيه ، « كما جرد الجارود بكر بن وائل » ووفد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ٩ او ١٠ في جماعة من عبد القيس وكان نصرانياً فأسلم وحسن اسلامه ، وسكن الجارود البصرة وقتل بفارس في احد البعث الاسلامية سنة ٢١ وكان رجلاً صالحاً ووصف امير المؤمنين له في كتابه إلى المنذر يدل على ايمانه وصلاحه ، وفيه يقول عمر بن الخطاب : لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان هذا الامر لا يكون الا في قریش لما عدلت بالخلافة عن الجارود ولا تخالجي في ذلك الامور » اما ولده المنذر فقد ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد مع علي عليه السلام واقعة الجمل وولاه اصطخر كما في المتن - ثم عزله عنها ، وولاه عبيد الله بن زياد الهند في إمرة يزيد بن معاوية فمات في آخر سنة ٦١ ، وكان المنذر متهماً في دينه وصفات امير المؤمنين عليه السلام له تعطينا صورة من ايمانه ، ومن شنيع اعماله : ان الحسين عليه السلام كتب اليه يدعوه إلى نصرته وارسل الكتاب مع مولى له يقال له سليمان ويكنى ابا رزين فقبض على الرسول وسلمه إلى ابن زياد فصلبه فكان اول رسول صلب في الاسلام ، وكان عبيد الله يومئذ يريد التوجه إلى الكوفة للقبض على مسلم بن عقيل رضوان الله عليه ، وقال من اعتذر عن المنذر . انه خاف ان يكون الكتاب دسياً من ابن زياد ، والله اعلم . وان كان لا يبعد ان المنذر دفعه الى ابن زياد تقرباً اليه ، والا فما ضره لو اغلظ للرسول ومزق الكتاب ، فان كان الرسول دسياً فسيبلغ ابن زياد وان لم يكن كذلك نجاً وكم المنذر الخبر . ومن عرف المنذر حق المعرفة ، وقرأ تفاصيل احواله ، فسيوافقي على هذا الرأي خصوصاً وان ابن زياد كان قد تزوج ابنة المنذر في تلك الايام ، والى الله ترجع الامور .

(٢) الهدى - بفتح فسكون - الطريقة والسيرة .

رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ ١ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْقِيَادًا ، وَلَا تَبْقِي
لَاخِرَتِكَ عَتَادًا ٢ ، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ . وَتَصِلُ
عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَلَكِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ
حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ ٣ ، وَمَنْ كَانَ
بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يَنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ ،
أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى
جَبَايَةِ ٤ فَاقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ
شَاءَ اللَّهُ .

قال الرضي والمنذر هذا هو الذي قال فيه امير المؤمنين عليه السلام :
« إنه لنظار في عطفه ، مختال في برديه (٥) ، تفال في شراكيه » .

كان المنذر بن الجارود والياً لامير المؤمنين عليه السلام على اصطخر
فبلغه عليه السلام عنه الامور التي ذكرها في هذا الكتاب ، فلما اقبل المنذر
عزله أمير المؤمنين عليه السلام وأغرمة ثلاثين ألفاً ثم تركها لصعصعة بن

(١) رقي إلي : اي فيما رفع إلي .

(٢) العتاد : العدة .

(٣) كانت العرب تضرب المثل بالجمل في الذلة والهوان والجهل وكذلك ضربوا المثل
بالذلة بشع النمل : وهو سير تشد به .

(٤) جباية : هي تحصيل اموال الخراج ونحوه .

(٥) المطف - بالكسر - : الجانب ، البردان ، ثنية برد - بالضم وهو الثوب .

صوحان العبدي^(١) ، بعد أن أحلفه عليها فحلف وذلك أن علياً عليه السلام دخل على صمصمة بعوده فلما رآه علي عليه السلام قال : « إنك ما علمت حسن المعونة ، خفيف المؤونة » فقال صمصمة : وانت والله يا امير المؤمنين عليم ، وإن الله في صدرك عظيم ، فقال له علي عليه السلام : « لا تجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك » قال : لا يا امير المؤمنين ولكنه من الله على ان عادني اهل البيت^(٢) وابن عم رسول رب العالمين .

ثم قال له صمصمة : يا امير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك اخاها المنذر ، فأخرجه وانا ضامن ما عليه من اعطيات ربيعة ، فقال له علي عليه السلام : « ولم تضمنها وزعم لنا انه لم يأخذها ؟ فليحلفني ونخرجه » فقال له صمصمة : اراه والله سيحلف قال : « وانا اظن ذلك »

روى ذلك ابن واضح في (التاريخ) ج ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ وذكر الكتاب الذي ذكره الرضي في هذا الموضع كما روى ذلك البلاذري في (انساب الاشراف) ص ٣ ١ ط . الاعلمي وزاد على ذلك فقال : فلم يشكر المنذر في امره لصمصمة ما صنع فقال الاعور الشني :

هلا سألت بني الجارود اي فتى عند الشفاعة والثار ابن صوحانا

(١) كان صمصمة من سادات عبد القيس وكان خطيباً فصيحاً نسباً ، وقد وصفه امير المؤمنين عليه السلام بقوله : « هذا الخطيب الشحشح » اي الماهر في الخطبة الماضي بها وكفلاء فخرآ ان يشهد له مثل امير المؤمنين بالمهارة وفصاحة اللسان ، وكان ديناً فاضلاً جليل القدر في اصحاب علي عليه السلام . وروي عن الصادق عليه السلام انه قال : « ما كان مع امير المؤمنين من يعرف حقه الا صمصمة واصحابه » وكان له مواقف خطابية مشهورة في مجلس عثمان ، وبين يدي امير المؤمنين عليه السلام وعندما دفن امير المؤمنين ، وفي الشام في محضر معاوية يضيق المجال باستعراضها . توفي رحمه الله أيام معاوية .

(٢) لعل الاصل سيد اهل البيت او ما في معنى ذلك او انه كان مع امير المؤمنين عليه السلام بغض ولده او قرابته عند عيادته له .

هل كان الاكام أرضعت ولداً عقت فلم تجز بالاحسان احسانا
لا تأمن على سوء فتي ذمراً يجزي المودة من ذي الود كفراًنا
اما الكلمات التي رواها الرضي عنه عليه السلام في المنذر : « أنه نظار
في برديه ... » الخ فقد رواها ابن واضح والبلاذري ايضاً في الكتابين
المذكورين وكلاهما سابق للرضي

٧٢- ومن كتابه عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ ، وَلَا مَرْزُوقٍ
مَا لَيْسَ لَكَ ، وَأَحْلَمَ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ،
وَيَوْمٌ عَلَيْكَ . وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ ١ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا
لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ
تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

سياقي القول في مصادر هذا الكتاب في الحكمة (٣٩٦) إن شاء الله تعالى.

٧٣ - ومن كتابه عليه السلام

إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ ، وَالْأَسْتِمَاعِ

(١) جميع دولة - يضم الدال - ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد .

إِلَى كِتَابِكَ لَمْوَهْنٌ رَأْيِي ، وَمُخْطِئٌ فِرَاسَتِي ١ ، وَإِنَّكَ
إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ ٢ وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَشْقِلِ النَّائِمِ
تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ ، أَوِ الْمُتَحِيرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ ؛ لَا
يَذَرِي آلَهُ مَا يَأْتِي أُمَّ عَلَيْهِ ، وَلَسْتُ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ
شَبِيهِ ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الْأَسْتِبْقَاءِ ٣ لَوَصَلَتْ
إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ : تَقَرَّعُ الْعَظْمَ ، وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ !
وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ
أُمُورِكَ ٤ ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

رواه الامام اليماني في (الطراز) ج ٢ ص ٢٩٤ في (فصل الاستدراجات)
بتفاوت مع رواية الرضي مثل : « ولست به غير انه كل شبيه » و « مثال
نصيحتك » ، والمخالفة في الرواية تدل على الاختلاف في المصدر .

(١) التردد إلى الشيء : الرجوع إليه مرة بعد اخرى ، وموهن - بالتشديد - : مضجع ،
والفراسة - بالكسر - صدق الظن .

(٢) حاول الامر : طلبه ورامه ، ويبهظه : يثقله .

(٣) الاستبقاء : الابقاء ، والقوارع : الدواهي ، وتقرع العظم : تصدمه فتكسره ،
وتهلس اللحم : تذيبه وتنهكه وتروي بتقديم اللام فتكون بمعنى تلتحمس ابدلت الحاء هاء وهو من
لحست كذا بلساني الحسه ، اي تأتي على اللحم حتى تلحسه لحساً ، وتروي تنهش - بالمهمله
والمعجمة والمعنى بالمهمله : اخذ اللحم باطراف الاسنان ، وبالمعجمة الاخذ بجميعها .

(٤) اي : اقلدك عن مراجعة احسن الامور لك وهو الطاعة ، وتأذن - هنا - تسمع .

٧٤ - وَمِنْ حَلْفٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ١

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام

ابن الكلبي ٢

هَذَا مَا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيُهَا ،
وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيُهَا ٣ أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ : يَدْعُونَ
إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لَا
يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلًا ، وَأَنَّهُمْ يَدُّ وَاحِدَةً
عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنَّهُمْ أَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةٍ عَاتِبٍ ،
وَلَا لِعُصْبٍ غَاضِبٍ ، وَلَا لِأَسْتِذْلَالٍ قَوْمٍ قَوْمًا وَلَا

(١) الخلف : العهد ، وقول الرضي : ومن حلف له عليه السلام تقدير ومن كتاب حلف

فحذف المضاف .

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي نسابة ابن نسابة عالم بإيام العرب واخبارها ،

توفي سنة ٢٠٥ او ٢٠٦ وهو احد الجامعين لكلام امير المؤمنين وخطبه كما تقدم في الجزء الاول
من هذا الكتاب ص ٥٨ .

(٣) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي المتردد في البادية ، واللفظ لفظ المفرد والمعنى

الجمع .

لِمَسْبَةِ قَوْمٍ قَوْمًا ۱! عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ ، وَسَفِيهِهِمْ
وَعَالَمُهُمْ ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ
عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ اللَّهِ كَانَ مَسْئُولًا ، وَكَتَبَ عَلَيَّ
أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ :

قد كفانا الرضي قدس الله روحه مهمة التنقيب عن مصدر هذا الحلف
إذ ذكر أنه نقل من خط هشام بن الكلبي .

قال ابن أبي الحديد : «واعلم أنه قد ورد في الحديث عن النبي ﷺ
« كل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة ولا حلف في
الإسلام » لكن فعل أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالاتباع من خبر الواحد
وقد تحالفت العرب في الإسلام مراراً ومن أراد الوقوف على ذلك فليطلبه
من كتب التواريخ » .

٧٥ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إلى معاوية في أول ما بويع له

ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ :

(١) المعتبة : الغيظ : والعاتب : المفتاظ ، والمعنى : لا يؤثر في هذا العهد الخلف ولا
ينقضه أن يعتب أحدهم منهم على بعضهم لأنه استجداه فلم يجده ، أو طلب منه أمراً فلم يقم به ،
ولا لأن أحداً منهم غضب من أمر صدر من صاحبه ، ولا لأن عزيزاً منهم استذل ذليلاً منهم ،
ولا لأن انساناً منهم سب أو هجا بعضهم ، فإن مثل هذه الأمور يتعذر ارتفاعها بين الناس ، ولو
كانت تنقض الحلف لما كان حلف أصلاً

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ أَوْ إِعْرَاضِي
عَنْكُمْ ، حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ
طَوِيلٌ ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَذْبَرَ مَا أَذْبَرَ ، وَأَقْبَلَ مَا
أَقْبَلَ ، فَبَايَعُ مَنْ قَبْلَكَ وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَقْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

نقل الرضي رحمه الله هذا الكتاب من كتاب (الجمل) لمحمد بن عمر
ابن واقد المدائني الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ وقد تعرضنا لكتاب الواقدي هذا
في الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٤١ ومما هو جدير بالذكر ان الواقدي
من جملة من جمعوا كلام امير المؤمنين عليه السلام وخطبه (٢).

٧٦- وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

لعبد الله بن العباس^١ ، عند استخلافه إياه على البصرة
سَمِعَ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ^٣ ، وَإِيَّاكَ
وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ^٤ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ
مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ
مِنَ النَّارِ .

اول هذه الوصية « اوصيك بتقوى الله عز وجل ، والعدل على من ولاك

(١) الاعذار : الاقامة على العذر

(٢) انظر ج ١ ص ٥٧ من هذا الكتاب

(٣) روي : وحلمك .

(٤) طيرة من الشيطان - بفتح الطاء وسكون الياء - اي خفة وطيش .

الله امره ، سع الناس بوجهك : الخ » .
 روى ذلك قبل الرضي ابن قتبية في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ٨٥
 والمفيد في الجمل ص ٢٠٨ . ورواها السيد في (الطراز) : ج ٢ ص ٢٩٣
 بوجه يغاير بعض ما في « النهج » مثل (وحلمك) بدل (حكمك) و
 (بعدك) مكان (يباعذك) وفي آخرها (والسلام) ويتضح من هذا أن له
 مصدراً آخر .

٧٧ - ومن وصيته له عليه السلام

لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج
 لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ ذُو وَجْهِ
 تَقُولُ وَيَقُولُونَ ؛ وَلَكِنْ حَاجَجُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ
 يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً ٢ .

هذا الكلام مشهور النسبة إليه عليه السلام .
 قال ابن الاثير في (النهاية) : ١ - ٤٤٤ وفي حديث علي « لا تناظروهم
 بالقرآن فانه حمال ذو وجه » قال : اي يحمل عليه كل تأويل فيحتمله ،
 وذو وجه : اي ذو معان مختلفة ورواه الزمخشري في الجزء الثاني من « ربيع
 الابرار » في باب الجوابات المسكتة وجاء في روايته : (ولكن خاصمهم)
 بدل (حاججهم) . والاختلاف في الالفاظ يشعرنا انهما لم ينقلا ذلك عن
 (نهج البلاغة) .

(١) قال ابن ابي الحديد : هذا الكلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه .

(٢) المحيص : المهرب .

٧٨ - وَمِنْ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَام

إلى أبي موسى الأشعري ١ جواباً في امر الحكمين

ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ ٢ ،
فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ
هَذَا الْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجَباً ٣ أَجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ
أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونُ
عَلَقَاءٌ وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَأَعْلَمُ - أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ،
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأُفْتِهَا مِنِّي ٥ أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ
وَكَرَمَ الْمَالِ ٦ . وَسَافِي بِاللَّيْلِ وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي ٧ ،
وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ٨ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ

(١) راجع ص ٤٤٩ من هذا الجزء .

(٢) أي : حظ السعادة الابدية بنصرة الحق .

(٣) معجباً - بكسر الجيم - يعجب من رآه أي : يجمعه متعجباً منه .

(٤) العلق - بالتحريك - : الدم الغليظ الخامد .

(٥) « احرص » خبر « ليس » وجملة « فاعلم » معترضة .

(٦) المال : المرجع إلى الله .

(٧) وأيت : أي وعدت واخذت على نفسي .

(٨) أي : اذا انقلب من رأي الصالح الذي تفارقنا عليه ، وهو الاخذ بالخذر والوقوف

عند الحق الصريح فانك تكون شقياً ، لان الشقي من حرمه الله نفع التجربة فأخذ الناس بالخديعة .

مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجَرِبَةِ ، وَلِئَنِّي
لَأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ ١ . وَإِنْ أَفْسَدَ أَمْرًا قَدْ
أَصْلَحَهُ اللَّهُ : فَدَعِ مَا لَا تَعْرِفُ ٢ ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ
طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوِيلِ السُّوءِ ، وَالسَّلَامُ .

قد ذكر الرضي - رخصوان الله عليه - انه نقل هذا الكتاب عن (المغازي)
لابي عثمان سعيد بن يحيى بن ابان بن سعيد بن العاص بن احيحة الاموي
البغدادي المتوفى سنة ٢٤٩ . وكتاب (المغازي) معروف النسبة اليه (٣) .

٧٩ - ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا
النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ ٤ ، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ ٥ .
رواه ابن عبد البر في (بهجة المجالس) (١) / ٢٣١ بمغايرة
قليلة ، وقال : (انه اول كتاب كتبه)

انتهى الجزء الثالث والحمد لله

(١) احبه : اي : آلف ، من عبده - بالكسر - اي : انف ، وفسر واقوله تعالى : « وانا
اول العابدين » بذلك .

(٢) اي : ما فيه الريبة والشبهة فاتركه .

(٣) انظر « كشف الظنون » : م ٣ ص ١٧٤٧ و « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي
ج ٩ ص ٩ .

(٤) اي : سجبوا الناس عن حقهم فاضطر الناس لشراء الحق منهم بالرشوة فانقلبت الدولة
عن اولئك المانحين فهلكوا ، و « أنهم منعوا » فاهل اهلك .

(٥) اي : كللهم بآتيان الباطل فأتوه وسار قذوة يتبعها الابناء بعد الآباء .

الفهرس

٥	مما قيل في الكتاب
٥	كتاب كريم من سماحة الاستاذ محمد سعيد دحدوح الحلبي
٨	كتاب وتاريخ تفضل بهما الدكتور الشيخ احمد الوائلي
٩	رسالة كريمة تفضل بها الاستاذ السيد طاهر ابو رغيف
١١	تاريخ اتحفنا به العلامة الخطيب السيد علي الهاشمي
١٢	كتاب كريم من الكاتب الشهير الدكتور مهدي محبوبة
١٤	تاريخ انعم به المرحوم الاستاذ الطيب محمد الحلبي
١٥	كتب وتقايرظ تفضل بها جماعة من العلماء والادباء
١٦	من خطبة له عليه السلام يذكر بالموت ومن مات
١٧	من خطبة له عليه السلام قسم بها الايمان إلى ثلاثة اقسام
١٩	في ان امرهم عليهم السلام صعب مستصعب
٢٠	من خطبة له عليه السلام وعظية ويوصي بها محبيه بالصبر وانتظار الفرج
٢٤	من خطبة له عليه السلام وعظية اخرى
٢٩	الخطبة القاصعة
٥٦	وجه تسمية هذه الخطبة بالقاصعة وبيان مصادرها
٥٨	خطبة همام
٦٥	شروح خطبة همام

- ٦٧ من خطبة له عليه السلام يصف فيها المنافقين
- ٧٠ من خطبة له عليه السلام في صفات الباري سبحانه
- ٧٣ من خطبة له عليه السلام في الامر بالتقوى
- ٧٤ من خطبة له عليه السلام في انه لم يرد على الله ورسوله
- ٧٦ من خطبة له عليه السلام في التقوى وبيان ثمراتها
- ٨٣ من كلام له (ع) يوصي به اصحابه في الصلاة والزكاة والأمانة
- ٨٥ قوله عليه السلام : ما معاوية بأدهى مني ... الخ
- ٨٦ كلمة للجاحظ في هذا المعنى
- ٩٠ قوله عليه السلام : انما يجمع الناس الرضا والسخط ومصادره
- ٩١ كلامه عليه السلام عند دفن الصديقة فاطمة عليها السلام
- ٩٣ في ان فاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين
- ٩٦ مصادر كلامه (ع) عند دفن فاطمة عليها السلام
- ٩٨ من كلام له عليه السلام في أن الدنيا دار مجاز
- ٩٩ من كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه
- من كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير في سبب عدم الرجوع إليهما في الرأي
- ١٠٠ .
- ١٠٢ من كلام له عليه السلام ينهى أصحابه عن أن يكونوا سبابين
- ١٠٣ من كلام له عليه السلام وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب
- ١٠٥ من كلام له عليه السلام عند اضطراب أصحابه عليه في الحكومة
- ١٠٥ السبب في هذا الكلام والقول في مصادره
- ١٠٨ من كلام له (ع) لرجل من أصحابه وقد رأى سعة داره
- ١٠٩ التحقيق في ذلك وبيان مصادره
- ١١١ كلامه عليه السلام في اختلاف الناس في الخبر
- ١١٥ مصادر هذا الكلام

- ١١٥ من خطبة له عليه السلام في تمجيد الله ووصف خلق الأرض
 ١١٧ علي عليه السلام أول مكتشف لحركة الأرض
 ١١٨ من خطبة له عليه السلام في تفويض أمر خاذله إلى الله تعالى
 ١١٩ من خطبة عليه السلام له في تمجيد الله وذكر النبي (ص)
 ١٢٠ ومن خطبة له عليه السلام في صفة أهل الخير
 ١٢٢ من دعاء له عليه السلام
 ١٢٤ من خطبة له عليه السلام بصفين وفيها بيان حق الراعي والرعية
 ١٢٧ كلام رجل من أصحابه عليه السلام يكثر الثناء عليه وجوابه له
 ١٢٩ مصدر هذه الخطبة
 ١٣١ من كلام له عليه السلام في الشكوى من قریش
 ١٣٣ قطعة من كلام له (ع) في بعض أعمال أصحاب الحمل
 ١٣٣ كلامه (ع) لما مر على طلحة وعبد الرحمن بن عتاب وهما قتيلان
 ١٣٥ كلامه عليه السلام في وصف ولي من أولياء الله
 ١٣٦ كلامه عليه السلام بعد تلاوته (الحكم التكاثر)
 ١٤٣ تعليق لطيف لابن أبي الحديد على هذا الكلام
 ١٤٣ معنى قول عدي بن الرقاع : قلم أصاب من الدواة مدادها (ح)
 ١٤٤ بسطام بن قيس (ح)
 ١٤٤ عامر بن الطفيل (ح)
 ١٤٥ يوحنا بن المعمدان (ح)
 ١٤٦ ما أخذه أبو العلاء المعري من هذا الكلام
 ١٤٧ مقارنة بين هذا الكلام وكلام للحسن البصري
 ١٤٨ من كلام له (ع) عند تلاوته (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع) الآية
 ١٥١ من كلام له (ع) عند تلاوته (يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم)
 ١٥٦ كلام للسيد صاحب الطراز في براعة الإستهلال في كلام علي عليه السلام

- من كلام له (ع) في تهويل الظلم وما جرى له مع عقيل ورد هدية
الأشعث بن قيس ١٥٦
- من دعاء له عليه السلام في صون الوجه من التعرض للسؤال
١٦٠ مصادر هذا الدعاء ١٦٠
- الصحيفة السجادية وأسانيدها وشروحها ... الخ ١٦١
- من خطبة له عليه السلام في صفة الدنيا ١٦٥
- مصادرها ١٦٧
- من دعاء له عليه السلام في أن الله تعالى آانس الآنسين لأولياته ١٦٩
- قوله عليه السلام : لله بلد فلان والكلام عليه ١٧٠
- من كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة ١٧١
- من خطبة له عليه السلام في التقوى وذكر الموت ١٧٢
- من خطبة له عليه السلام خطبها بذى قار ١٧٦
- من كلام عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وقد سأله مالا ١٧٧
- من كلام له عليه السلام في إحجام اللسان عن الكلام، وأنهم امرء الكلام ،
ووصف بعض الأزمنة ١٧٨
- من كلام له عليه السلام في تباين الناس في أخلاقهم ١٨٠
- من كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله ﷺ ١٨١
- من كلام له عليه السلام في اقتفائه أثر رسول الله بعد الهجرة ١٨٤
- من خطبة له عليه السلام في العمل قبل الأجل ١٨٤
- من كلام له عليه السلام في الحكمين وأهل الشام ١٨٦
- من خطبة له عليه السلام يصف أهل البيت عليهم السلام ١٨٧
- من كلام له عليه السلام لما طلب اليه عثمان أن يخرج إلى ينبع ١٨٨
- من كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد ١٨٩

باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

- ١٩١ وعهوده ووصاياه
- ١٩٣ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره إلى البصرة
- ١٩٤ محمد بن اسحاق صاحب السيرة (ح)
- ١٩٤ محمد بن جعفر بن أبي طالب (ح)
- ١٩٥ من كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة
- ١٩٥ قرظة بن كعب وولده عمرو وعلي (ح)
- ١٩٦ عبيد الله بن أبي رافع (ح)
- ١٩٧ من كتاب له عليه السلام لشريح قاضيه وقد اشترى داراً
- ٢٠٠ من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه
- ٢٠١ من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان
- ٢٠٣ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبد الله البجلي
- ٢٠٤ ما يتعلق بهذا الكتاب
- ٢٠٥ انضمام عمرو بن العاص لمعاوية
- ٢٠٦ كلام للجاحظ وأبي القاسم البلخي في شأن عمرو بن العاص (ح)
- ٢٠٧ انضمام شرحبيل بن السمط رئيس اليمانية إلى معاوية
- ٢٠٧ معنى استنوق الحمل (ح)
- ٢١٠ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً أثناء حرب صفين
- ٢١٣ كونه عليه السلام مأموراً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (ح)
- ٢١٤ من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله وهو بالشام
- ٢١٤ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية مع أبي مسلم الخولاني
- ٢١٦ ما جرى لأبي مسلم الخولاني بالكوفة
- ٢١٦ عبد الله بن توب (ح)

- ٢١٨ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً
- ٢٢٠ بيان أن أكثر الرواة يروون كلامه بالمعنى لا باللفظ
- مرور ابن بطوطة بالنجف الأشرف وما رواه بالمعنى من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٢٢ من وصية له عليه السلام وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو
- ٢٢٣ زياد بن النضر (ح)
- ٢٢٣ نقل تمام الوصية
- ٢٢٣ شريح بن هاني (ح)
- ٢٢٥ من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس ، وطرف من ترجمة معقل
- ٢٢٦ من كتاب له عليه السلام إلى أميرين من أمراء جيشه
- ٢٢٧ أبو الأعور السلمي (ح)
- ٢٢٧ من وصية عليه له السلام لعسكره قبل القتال بصفين
- ٢٢٩ كلامه عليه السلام إذا لقي العدو محارباً
- ٢٣١ من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في بعض أيام صفين
- ٢٣٣ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً
- ٢٣٥ معاوية بن الضحاك كان مع معاوية وهواه مع علي عليه السلام
- ٢٣٥ جابلق وجابر (ح)
- ٢٣٦ أبيات شعر للأشتر
- ٢٣٧ كتاب من معاوية إلى علي عليه السلام بمشورة ابن العاص
- ٢٣٩ بين معاوية وابن العاص في شأن علي عليه السلام
- ٢٣٩ من كتاب له عليه السلام إلى ابن عباس يوصيه ببني تميم
- ٢٤١ من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله وبيان مداركه
- ٢٤٢ من كتاب له عليه السلام إلى زياد وهو خليفة ابن عباس على البصرة
- ٢٤٣ من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه أيضاً ينهاه عن الإسراف

- ٢٤٤ تعليق ابن أبي الحديد على هذا الكتاب (ح)
- ٢٤٥ كتاب له عليه السلام لابن عباس يعظه
- ٢٤٦ من كلام له عليه السلام على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
- ٢٤٧ ذكر هذه الوصية بتمامها
- ٢٥٠ من وصية له عليه السلام بما يعمل في أمواله
- ٢٥١ نقل هذه الوصية بتمامها
- ٢٥٢ رباح وأبو نيزر (موليا علي عليه السلام) (ح)
- ٢٥٢ وادي القرى (ح)
- ٢٥٤ من وصية له عليه السلام كتبها لمن يستعمله على الصدقات
- ٢٥٧ بيان مصادرها
- ٢٥٧ بر يد بن معاوية بن أبي حكيم (ح)
- ٢٥٨ بكاء الصادق عليه السلام لما روى هذه الوصية
- ٢٥٨ عبد الرحمن بن سليمان بن الغسيل (ح)
- ٣٥٩ من عهد له عليه السلام إلى بعض عماله على الصدقة
- ٢٦٠ بيان أن العامل المذكور هو مخنف بن سليم
- ٢٦٠ مخنف بن سليم (ح)
- ٢٦١ من عهد له عليه السلام كتبه لمحمد بن أبي بكر لما ولاه مصر
- ٢٦٤ إعجاب معاوية بهذا العهد
- ٢٦٥ مصادر هذا العهد
- ٢٦٥ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية وهو من محاسن الكتب
- ٢٦٦ معنى (ناقل التمر إلى هجر)
- ٢٧٣ بيان أن هذا الكتاب كان جواباً لكتاب معاوية إليه مع أبي امامة الباهلي
- ٢٧٣ أبو امامة الباهلي (ح)
- ٢٧٤ الهرمزان (ح)

- ٢٧٦ بين ابن أبي الحديد وأبي جعفر النقيب حول الكتاب المذكور
 ٢٧٦ أبو جعفر النقيب (ح)
 ٢٧٨ عامر بن مالك بن زيد (ح)
 ٢٧٩ من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة مع جارية قدامة السعدي
 ٢٨٠ من كتبه عليه السلام إلى معاوية
 ٢٨١ بيان أول هذا الكتاب
 ٢٨٣ من وصية له للحسن عليهما السلام كتبها بخاضرين
 ٣٠٦ مصادر الوصية
 ٣١٢ شروح الوصية
 ٣٠٨ أبو أحمد العسكري (ح)
 ٣٠٩ أبو القاسم المحاملي (ح)
 ٣١٢ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
 ٣١٣ مراسلة بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية
 ٣١٧ تعليق ابن أبي الحديد على هذه المراسلة
 ٣١٧ « أبخل من مادر » (ح)
 ٣١٧ قس بن ساعدة (ح)
 ٣١٨ من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة
 ٣١٩ قثم بن العباس (ح)
 ٣٢٠ عمرو بن أبي المقدام العجلي (ح)
 ٣٢٠ تباعد قبور أبناء العباس (ح)
 ٣٢٠ من كتاب له (ع) إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجده من عزله عن مصر
 ٣٢١ لإجمال قصة موت الأشتر رحمه الله تعالى
 ٣٢٢ من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر
 ٣٢٣ طرف من ترجمة محمد بن أبي بكر
 ٣٢٤ تعليق بن أبي الحديد على هذا الكتاب

- ٣٢٥ أفلاطون ، أرسطو (ح)
- ٣٢٥ سقراط ، خلف بن حيان (ح)
- ٣٢٥ عتبية بن الحارث ، بسطام بن قيس (ح)
- ٣٢٦ من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل
- ٣٢٨ قصة هذا الكتاب
- ٣٢٩ عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ح)
- ٣٣٢ لم يذهب عقيل إلى معاوية في عهد علي عليه السلام
- ٣٣٢ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
- ٣٣٤ من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما وليّ عليهم الأشتر
- ٣٣٦ مصادر هذا الكتاب
- ٣٣٧ من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص
- ٣٣٨ العاص بن وائل السهمي (ح)
- ٣٣٩ تعليق ابن أبي الحديد على هذا الكتاب ، وبيان أن معاوية كان جباراً
- ٣٤٠ من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله
- ٣٤١ من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله أيضاً
- ٣٤٤ وكلام الإمام الشيخ محمد طه نجف حوله
- ٣٤٤ الشيخ محمد طه نجف (ح)
- ٣٤٥ من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة عامله على البحرين
- ٣٤٥ عمر أبي سلمة (ح)
- ٣٤٥ النعمان بن العجلان (ح)
- ٣٤٧ من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة الشيباني عامله على أردشير
- ٣٤٨ من كتاب له (ع) إلى زياد حول خديعة معاوية له بالإسـلتـحـاق
- ٣٥٢ قصة الإسـلتـحـاق
- ٣٥٤ تفسير (كتاركة بالعري بيضها) (ح)

- ٣٥٧ حكم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في الإستلحاق
- ٣٦٢ كتاب (في ميدان الإجهاد) للصعيدي (ح)
- ٣٦٣ من أحكام الصعيدي في (قضايا الكبرى) (ح)
- ٣٦٥ شتاء وصيف في سطح واحد (ح)
- ٣٦٦ من كتاب له عليه السلام إلى عثمان بن حنيف لما دعي إلى وليمة في البصرة ٣٦٦
- ٣٦٦ عثمان بن حنيف
- ٣٦٦ شرطة الخميس (ح)
- ٣٧٣ مصادر كتابه المذكور
- ٣٧٥ من كتاب له عليه السلام إلى الأشتر والسبب في هذا الكتاب
- ٣٧٧ من وصيته عليه السلام للحسين لما ضربه ابن ملجم لعنه الله
- ٣٨١ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً
- ٣٨٤ أول كتاب كتبه عليه السلام إلى عمرو بن العاص
- من كتاب له عليه السلام إلى امرائه على الجيش وفيه حق الراعي والرعية
- ٣٨٧ من كتاب له عليه السلام إلى عماله على الخراج
- ٣٨٩ من كتاب له عليه السلام إلى أمراءه في معنى الصلاة
- ٣٩١ عهده للأشتر لما ولاه مصر
- ٣٩١ لقب مالك بالأشتر (ح)
- ٤٢٦ حول العهد
- ٤٣٠ مصادر العهد وأسانيده
- ٤٣٢ من كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير
- ٤٣٢ عمران بن الحصين الخزاعي (ح)
- ٤٣٤ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
- ٤٣٦ من وصية له عليه السلام وصى بها شريح بن هاني
- ٤٣٧ من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره إلى البصرة

- ٤٣٧ الربذة وحث المؤلف على زيارة قبر أبي ذر (ح)
- ٤٣٨ كتاب عليه السلام إلى أهل الأمصار في حرب صفين
- ٤٣٨ زيد بن صوحان العيدي (ح)
- ٤٤٠ من كتاب له عليه السلام إلى الأسود بن قطيبة أمير جند حلوان
- ٤٤١ من كتاب له عليه السلام إلى العمال الذين تمر بهم جيوشه
- ٤٤٢ من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد عامله على هيت
- ٤٤٣ قرقيسيا (ح)
- ٣٤٣ كميل بن زياد النخعي (ح)
- ٤٤٤ من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع الأشتر لما ولاه أمارتها
- ٤٤٥ لماذا أمسك علي عن المطالبة بحقه
- ٤٦٦ تحرّج الشيخ محمد عبده عن التصريح باسم الوليد
- ٤٤٨ من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري
- ٤٤٩ أبو موسى الأشعري
- ٤٥٠ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً
- ٤٥١ أبو سفيان ويزيد بن أبي سفيان (ح)
- ٤٥٥ تعليق للأستاذ محمد زكي صفوت على كتاب كتبه معاوية لعلي (ع)
- ٤٥٥ الخورنق (ح)
- ٤٥٧ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً
- ٤٦٠ من كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس
- ٤٦١ من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس عامله على مكة
- ٤٦٣ من كتاب له عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله
- ٤٦٤ من كتاب له عليه السلام كتبه إلى الحارث الهمداني
- ٤٦٨ من كتاب له عليه السلام إلى سهل بن حنيف في قوم لحقوا بمعاوية
- ٤٦٨ سهل بن حنيف

- ٤٧٠ من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الحارود العبدي
 ٤٧٠ الحارود العبدي وولده المنذر (ح)
 ٤٧١ قول أمير المؤمنين عليه السلام للمنذر إنه فظار في عطفيه ... الخ
 ٤٧٢ محاورة بين علي عليه السلام وصعصعة بن صوحان العبدي
 ٤٧٢ صعصعة بن صوحان (ح)
 ٤٧٣ من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس يقطه به
 ٤٧٣ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية
 ٤٧٥ من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن
 ٤٧٦ من كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما بويع له
 ٤٧٧ من وصية له عليه السلام إلى عبد الله بن عباس عند استخلافه إياه على البصرة
 ٤٧٨ من وصية له عليه السلام إلى ابن عباس لما وجهه إلى الخوارج للإحتجاج عليهم
 ٤٧٩ من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جواباً في أمر الحكمين
 ٤٨٠ من كتاب له عليه السلام إلى أمراء الأجناد
 ٤٨١ الفهرس

ملاحظة

تجد فهارس الأعلام في آخر الجزء الرابع من الكتاب

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

كلمة

في « نهج البلاغة »^(١)

للدكتور زكي نجيب محفوظ

« ... عرفت (بنهج البلاغة) في صدر الصبا ... ، وبقيت نغمات في الأذن ، ثم أخذت أسمع بعد ذلك - كلما لمع خطيب على منابر السياسة - قول الناس تعليقاً على بلاغة الخطيب : لقد قرأ (نهج البلاغة) وامتلأ بفصاحته وها أنا أعيد القراءة هذه الأيام فإذا البلاغة قد ازدادت في الأذنين حلاوة ، وإذا العبارات كأنما أضافت طلاوة إلى طلاوة ... لست أعني زخرف الكلام ... بل أعني طريقه في اختيار اللفظ الصلب العنيد ، الذي

ملاحظة : نبهني على هذه الكلمة العلامة الكبير الشيخ محمد جواد مغنية فأقتطفتها من كتاب الدكتور محفوظ (المعقول واللامعقول) بين الصفحات ٣١ - ٥٧ وحيث قد فاتني إثباتها في موضعها من كتابي هذا آثرت أن اقتطف فقرات منها أودعها في هذا البياض عساها تعود إلى مطبعها عند إعادة الطبع للمرة الثالثة إن شاء الله ، كما فاتني أيضاً أن أشير لكتاب العلامة مغنية في (ظلال نهج البلاغة) عند عرض شروح النهج فلأشخ (الجواد) الشكر ، واستميحه قبول العذر .

لا يقوى على تشكيله إلاّ ازميل تحركه يدٌ صنّاع ، وكان يمكن للمعنى نفسه أن يساق في لفظ أيسر منالاً ، فصنعة الفنان هنا شبيهةٌ بصنعة المثال في الحضارة المصرية القديمة يتخيّر لتماثيله صم الجلاميد ، فكأنما الكاتب هنا كالنحّاة أراد عملاً أقوى من الدهر دواماً وخلوداً .

... فقلّّب معي الصفحات الرائعة الأدبية من (نهج البلاغة) وقل لي : أين ينتهي الأديب ليبدأ الفيلسوف ، وأين ينتهي الفيلسوف ليبدأ الفارس ، ثم أين ينتهي هذا ليبدأ السياسي ؟ إنّه لا فواصل ولا فوارق ، ففي هذه المختارات خطب ورسائل وأحكام ، وحجاج وشواهد امتزج فيها الأدب بالحكمة ، والحكمة بالأريحية وهاتان بما نسميه اليوم سياسة يسوس بها الحاكم شعبه ، أو يداور بها المفاوض خصمه

وإنّ النصوص ليطول بنا نقلها إلى القاريء ما طال (نهج البلاغة) فخبر للقاريء أن يرجع إليه ليطالع نفساً قد اجتمع فيها ما يصور عصرها من حيث الركون في إدراك حقائق الأمور إلى سلامة السليقة ، وحضور البديهة ، وصدق البصيرة بغير حاجة إلى تحليلات العقل وتعليلاته ، ولا إلى طريقة المناطقة في جمع الشواهد وترتيب الشواهد على المقدمات »

